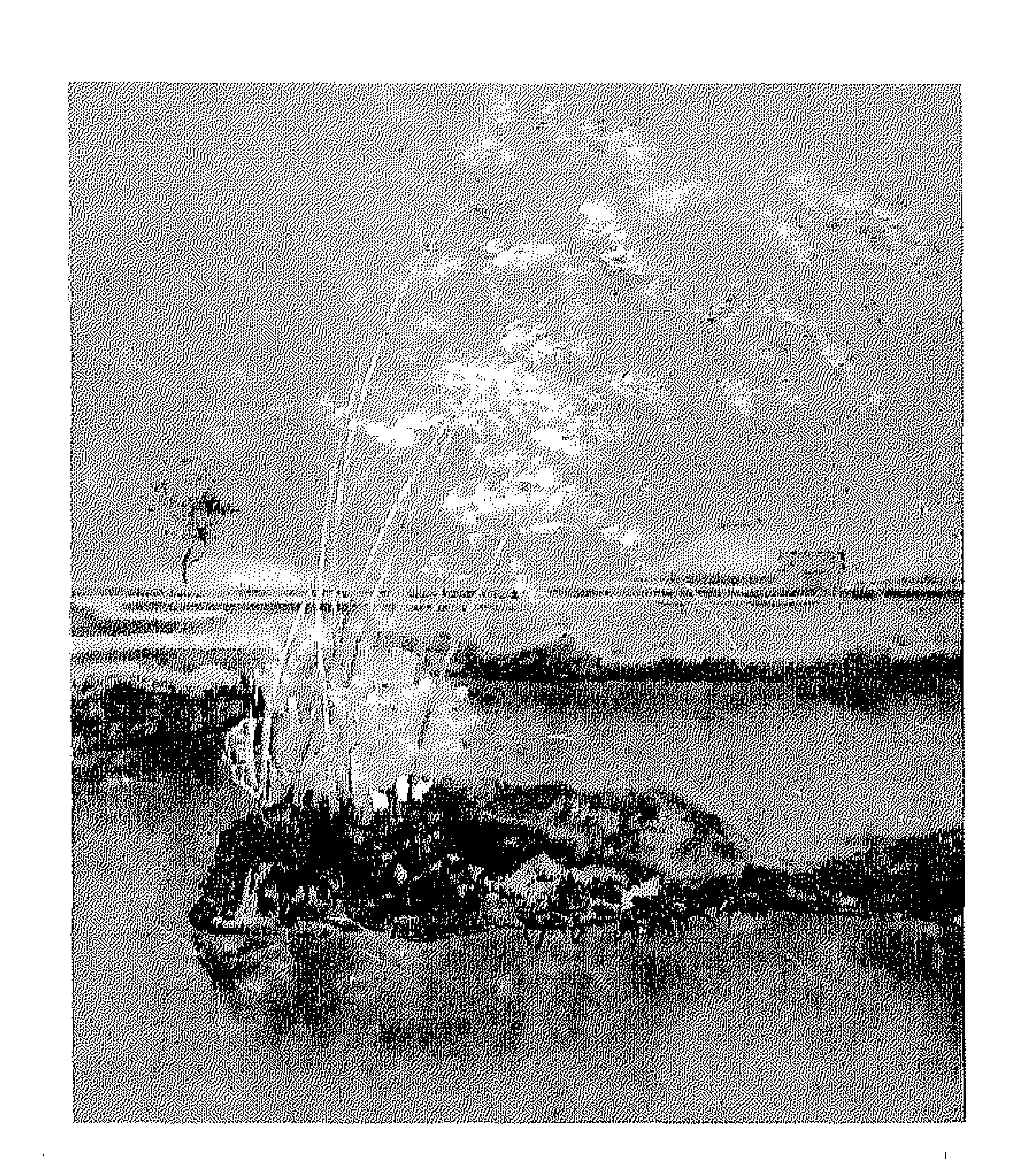
علي فيَّاض



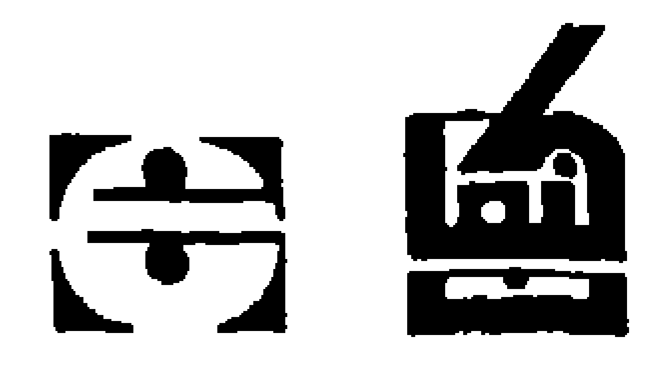


علي فياض

إستراتيجية التفاوض

في التجربة الفيتنامية

الطبعة الثانية



دار كنعان
دمشق - ص.ب (٤٤٣) - هاتف (٢٣٠١٩١)

بالتعاون مع

مؤسسة عيبال للدراسات والنشر
IBAL Publishing institution LTD
Tel: 455242, 455904 Telefax: 455569
Telex. 6517 IBAL CY P O.BOX.9558
70, Makarios Ave. No 401
Cyprus-Nicosia

الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢
الطبعة الثانية: تموز (يوليه) ١٩٩٢
عدد النسخ (٢٠٠٠)

غلاف الكتاب:

اللوحة:
البامبو Bamboo
للفنان الفيتنامي : تران دنه ثو
Tran Dinh Tho – 1957

التصميم:
للفنان الفلسطيني
جمال الأبطح

اهداء

الى القابضين على الجمر ..

الصامدين في آخر المواقع ..

شكر

الى كل الاصدقاء والزملاء الذين ساهموا في اصدار هذا العمل

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية

انقضت حتى اليوم، ستة شهور، على صدور الطبعة الأولى من كتاب «استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية»، تلقيت خلالها العديد من الملاحظات والتعليقات المتنوعة والقيِّمة، التي أسعدتني كثيراً لأنها قبل كل شيء دليل اهتمام كريم من القارىء، وفيها حافز لعملي نحو الأفضل، وإغناء لتجربتي الشخصية، وهو ما يجعلني ممتناً لكل الذين تكرموا فتناولوا هذا العمل، إخباراً أو تعليقاً أو قراءة.

انني أجدها فرصة سانحة لأعبر عن شكري للذين قيَّموا ايجابياً عملي، ومنحوه دعمهم، وأبرزوا أهميته في الفترة الراهنة، واعتقد انهم أعطوني، في بعض اللقطات، أكثر مما استحق من الثناء، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: ان موضوع الكتاب، وعنوانه، وتوقيت صدوره، كان لها الفضل الأول في نجاح الكتاب ونفاد طبعته الأولى، قبل جهد الكاتب أو إبداعيته، أما الذين انتقدوا سلباً هذا العمل، فكشفوا عما به من ثغرات، وبينوا ما اعتراه من نقاط ضعف، فاني اعبر لهم عن احترامي، لأنهم حرضوني على توخي المزيد من الدقة والجدية والمتابعة في أعمالي القادمة بإذن الله.

ولا يسعني في هذا المجال، إلاَّ الاعتذار للذين لن يجدوا في الطبعة الثانية تغطية لما طرحوه من إنتقادات، فقد عالجنا في الفصل الرابع الموسَّع بعضها، وكان متعذراً معالجة البعض الآخر، إما لصعوبة تنفيذها أو لعدم القناعة بموضوعيتها، وتلك تبقى وجهة نظري، على كل الأحوال.

فعلى سبيل المثال:

هل كان موضوعياً، ان أقحم نفسي بين حين وآخر في قلب المشهد الفيتنامي كما طالبني «البعض» بحجة عدم تمكين «البعض الآخر» من الاصطياد في الماء

العكر ؟

مع اقراري بان الكاتب ليس محايداً فيما يجري حالياً على الساحة، وهو خطير ومصيري، ولا يستطيع احدنا التزام دور المتفرج إزاءه، إلاّ انني أرى ان الموضوع المطروح «تجربة المفاوضات الفيتنامية» لا يجب ان يعالج انتقائياً كيفياً أو يؤخذ بالقطاعي، بل يجب ان يقدّم للقارىء بأمانة متناهية، المسيرة التفاوضية سلبياتها وايجابياتها، اما نتائجها فهي التي تعطي لدروسها وخبراتها القيمة والمصداقية، وهنا في تقديري يأتي دور المؤلف للتدخل والمقارنة وابداء الرأي الشخصي بالطريقة التي يراها مناسبة وبالحِرَفية التي يتمكنها.

اني أؤكد على ما طرحه العديد من الناقدين، من ان التجربة الدبلوماسية في الثورة الفيتنامية، لا يمكن فهمها في معزلٍ عن التجارب العسكرية والتنظيمية والسياسية، وهذا ما حرصت على الاشارة اليه في مقدمة الطبعة الأولى وفي النص إختصاراً، أو بين الهوامش، لكن يبقى من غير الممكن، فنياً، تقديم دراسة شاملة متكاملة للتجربة الفيتنامية في مطبوع واحد، مما دفعني إلى تثبيت عدد من المراجع والمصادر الكافية لمن أراد المتابعة والاستزادة، أما وجود خارطة لفيتنام والجوار فاعتقد انه مطلب منطقي.

كما اني لا أنكر ان وجود عدد من الأخطاء اللغوية والطباعية والإخراجية بين دفتي المطبوع، انما يسيء إلى العمل بمجمله، لكن عذري أمام ما اصطاده الأصدقاء من تلك الأخطاء، ان الحرص على تقديم الكتاب في الوقت المناسب كان له الأولوية، فجاء ذلك بالطبع، على حساب التنقيح والتدقيق، دون ان يعفيني هذا العذر من المسؤولية الأدبية.

وأخيراً، هي محاولة متجددة، أضع فيها أمام القارىء الكريم، جهدي وخبرتي المتواضعين، دون أدنى إدعاء احتكارٍ أو وصايةٍ على تراث تجربة ثورية غنية لشعب صديق عظيم إمتلك فيما إمتلك من أسباب النصر، قيادة ثورية حكيمة، يحسد عليها، قُدِّر لي أن أعايشها عن قرب في أغنى سنوات حياتي.

علي فياض

دمشق ١٠/٧/١٩٩٢

مقدمة الطبعة الأولى

أعترف بداية ان مشروع هذا الكتاب قد طرأ عليه أكثر من تعديل خلال العامين الماضيين، فقد كانت المخطوطة في الأصل جزءاً مكملاً لدراسة واسعة انجزت عام ١٩٨٩ حول التجربة الثورية الفيتنامية، وكان القسم الثاني يتناول الجانبين السياسي والتنظيمي،بعد صدور القسم الأول «التجربة العسكرية» عن مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ومع حلول الذكرى المئوية لميلاد الزعيم الفيتنامي هوشي منه في ذات الفترة تعزز الاتجاه لاصدار الكتاب السياسي في تلك المناسبة على اعتبار ان الرجل الذي تحول من قائد فيتنامي إلى رمز عالمي متميز ـ يمثل لشعوب العالم الثالث عنواناً للصمود والصلابة والشجاعة في مواجهة عتاة الاستعماريين والامبرياليين في عصرنا، ويشكل برهاناً ساطعاً على ان انتصار شعب صغير وفقير أمر ممكن اذا امتلك هذا الشعب الشروط الصحيحة لصراعه

لكن التطورات المتسارعة في المنطقة منذ انفجار أزمة الخليج على أبواب النظام العالمي الجديد، وموافقة العرب والفلسطينيين السريعة وغير المشروطة على اجراء المفاوضات التي كانوا يرفضونها، دون ان تلتزم حكومة العدو باعادة الأراضي العربية المحتلة ولو لفظياً، ولا بتنفيذ القرارات الدولية المعنية ولو شكلياً، جعلني أعطي الأولوية للجانب الدبلوماسي في تجربة «هوشي منه».

وبصراحة، فان ما يجري على الساحة العربية، وما يحدث على المسرح الفلسطيني دفعني للاستنجاد بالتجربة التفاوضية الفيتنامية علها تسعفني في اغناء النقاش المحتدم حول مسألة التنازلات «التكتيكية» في اطار استراتيجية العمل الدبلوماسي والتي يطلق عليها البعض «هجوم» السلام العربي !

لكن لماذا التجربة الفيتنامية دون غيرها ؟

يقول بعض العرب والفلسطينين ـ عندما يحشرهم المنطق هنا أو هناك ـ ان كبار الثوريين الذين سبقونا كانوا قد فاوضوا اعداءهم وقدموا لهم التنازلات الصعبة ويستنجدون بين حين وآخر بلينين وماوتسي تونغ وهوشي منه ، الذين تنازلوا تجنباً للهلاك والفناء، وهذا صحيح لا أحد ينكره، لكن الصحيح أيضاً انه حتى في تلك

الأمثلة المقصودة كان هناك حدود للنجاح وكان هناك قدر لا بأس به من الفشل والخيبة؛[1] وأمامنا تجربة هوشي منه، الأكثر عصرية وشبهاً بالنسبة لنا والتي نتناولها بالتفصيل في هذا الكتاب الجديد فيما نعتقد، فقد أتيح للمواطن العربي ان يتعرف على كثير من الدروس الفيتنامية من خلال التعليقات والدراسات والترجمات التي أطلقت في فترة احتدام المواجهة في الهند الصينية، لكن تلك المعرفة اقتصرت في معظم الأحيان على جوانب محددة مثيرة للاهتمام والاعجاب: كالانتصارات العسكرية في ديان بيان فو وهجوم الربيع ومعركة سايجون، وكالانجازات التنظيمية في مجالات بناء التنظيم الطليعي والعمل الجبهوي ودور المرأة في الثورة... وبقي جانب آخر من تلك التجربة مجهولاً من قبل الكثيرين، لم يحظ بما يستحق من الاهتمام، ولم تسلط عليه الأضواء الكافية إلاّ عند قلة من المختصين والباحثين، ونقصد به التجربة الدبلوماسية، بما شملته من اتصالات (سرية وعلنية) ومن مفاوضات (ثنائية ومتعددة الأطراف) ومن اتفاقيات (مؤقتة ومرحلية وجزئية) ومن معاهدات (ثنائية ودولية)، والتي كادت في بعض المفاصل الصعبة ان تكلف هوشي منه حياته، والشيوعيين الفيتناميين رصيدهم الوطني الثمين.

ومع ادراكنا المسبق لاختلاف كبير في الظروف وطبيعة الصراع وطبيعة الفئات القيادية، وكذلك التقدم المذهل في وسائل الدعاية والاعلام وتأثيرها الخطير على المتفاوضين[2]، فان ما يشجعنا على استحضار المثل الفيتنامي ـ اضافة إلى عصريته وأوجه الشبه ـ ان التجربة الدبلوماسية الفيتنامية مع الفرنسيين والامريكيين تحديداً غطت مساحات واسعة من التعبيرات السياسية التي تتناولها مفاوضات اليوم: من مشروع الادارة الذاتية إلى الحكم الذاتي، ومن مشروع الفيدرالية إلى اتحاد بين ولايات حرة، ومن دولة مستقلة إلى دولة ذات سيادة، إلى

---

(١) المقصود هنا تنازلات الاول للالمان في «صلح بريست» و الثاني للكومنتانغ في «التراجع الاستراتيجي» وتنازلات الثالث للفرنسيين في مسائل «الاستقلال والسيادة والوحدة».

(٢) لعب الاعلام في النصف الثاني من الستينيات واوائل السبعينيات دوراً كبيراً في خدمة القضية الفيتنامية وكشف حقيقة التورط الامريكي والجرائم التي يرتكبها الجنود الامريكيون.. امام الرأي العام الامريكي والعالمي.

الدولة المنشطرة نصفين !

لقد خلقت «الرتوش» الامريكية التي اضيفت إلى حفل الافتتاح التلفزيوني لمؤتمر مدريد انطباعاً لدى البعض،بان العرب قد انجزوا شيئاً هاماً ولو في الجانب الدعائي وكسب الرأي العام، بل انها زرعت عند البعض أوهاماً بامكانية تحقيق مكاسب لم تتحقق بالعمل الفلسطيني المسلح، وانجازات لم تستطع القوة الذاتية العربية توفيرها طوال عشرات السنين، ولا شك ان الآلة الاعلامية الغربية المهيمنة قد لعبت دوراً وما زالت في الترويج لهكذا أوهام .

فكيف يحقق العرب وهم أكثر ضعفاً، والفلسطينيون وهم أكثر وهناً، كل ذلك أو حتى بعضه، في الوقت الذي يشكل فيه الاسرائيليون والامريكيون ـ الأكثر قوة وهيمنة ـ الخصم والحكم على مائدة المفاوضات ؟

لقد عاش الفيتناميون فترة شبيهة بهذه التي نعيش اليوم لكنهم كما سنرى حصدوا من تلك الأوهام خيبةً ما بعدها خيبة، ولم يكن رد الفعل التخلي عن العمل الدبلوماسي نهائياً، وهذا ما لا أدعوا اليه في كتابي، فالنضال الدبلوماسي جزء مكمل للنضالين العسكري والسياسي، وفي لحظات محددة يتقدم عليهما مؤقتاً، لكن له أيضاً مقومات وشروطاً ومواصفات لا بد من توفرها .

لا أنكر بالطبع ان في استحضاري للتجربة الفيتنامية في مجال المفاوضات أيضاً رغبة «شخصية» للتعبير عن رأي محدد تجاه ما يجري، لكن تلك الرغبة لم تغرني بالتدخل في «النص الفيتنامي»، ولم تدفعني لاستثمار الوقائع بشكل مجزوء، أي انني لم أقم بلي عنق التجربة أو تكييفها بما يخدم غرضي أو يرجح موقفاً على آخر، بل حاولت جاهداً أن استعرض والقارىء الكريم المراحل التفاوضية الثلاث الرئيسية التي خاضتها القيادة الفيتنامية، بالقدر الذي استطعته من الموضوعية ، وتركت لنفسي الحق في إستظهار وصياغة دروس وخبرات تلك التجارب .

أين فشل المفاوض الفيتنامي ولماذا ؟ أين نجحت الدبلوماسية الفيتنامية وكيف ؟

هذا ما حاولت القاء الضوء عليه في استعراضي لمسيرة التسوية السياسية .

ففي المرحلة الأولى تحدثت عن المفاوضات عندما كان المفاوضون الفيتناميون ضعفاء، كما العرب الآن، وعندما كانت النتيجة عرضاً للاستسلام الكامل لا غير وبالتالي تبخرت أوهام التسوية من عقل القيادة، فقد كانت أولى تجارب هوشي منه

الدبلوماسية هي الأصعب والأكثر تعقيداً حيث قادته «أوهام التسوية» فيها إلى تقديم أكثر التنازلات خطورة في حياته للفرنسيين.

لماذا لجأ إلى الاتصالات السرية مبكراً ؟ وكيف قاد نهج التسوية في مواجهة جبهة الرفض ؟ وإلى أين جرّه سراب الحل السلمي ؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه في الفصل الأول.

ولمعالجة أسباب فشل التجربة الأولى كان لا بد من صعود الجبال مرة ثانية، والعودة إلى العنف الثوري لتعديل ميزان القوى وتحسين الشروط التفاوضية ـ وهذا ما نرجو ان يصبح عليه الحال العربي والفلسطيني ذات يوم ـ كانت معالم التجربة الثانية حيث فتحت حرب المقاومة المظفرة ضد الفرنسيين ملف التسوية من جديد، فكان الطريق إلى جنيف عام ١٩٥٤، لكن أيضاً كان الخيار المر الذي فرض على هوشي منه ! ... لماذا وقع الفيتناميون اتفاق جنيف ؟

ولماذا قبلوا بنصف الانتصار السياسي في الوقت الذي حققوا فيه كامل الانتصار العسكري ؟ ... هذا ما يعالجه الفصل الثاني.

في أواسط الخمسينات تتبخر أوهام الفيتناميين حول استكمال التسوية السلمية مرة أخرى، فيدركون ان عليهم ـ كفيتناميين ـ قبل غيرهم ان يصنعوا مقومات التسوية السياسية العادلة قبل ان يدخلوا المعركة الدبلوماسية من جديد، لذا فقد افردنا الفصل الثالث للتعرف على «كيف» أدى انجازهم لتلك الشروط المادية والسياسية إلى تفوق دبلوماسية «النعوش الطائرة» الفيتنامية على «دبلوماسية القوة» الامريكية، حتى في عقر دارها، وكيف تمكنت من النجاح بابداع ؟ وكيف شاركت في صنع النصر النهائي ؟ واين موقعها في العملية الثورية ؟

كل ذلك بالطبع، على أمل ان يكون في التجربة الدبلوماسية الفيتنامية بعض الدروس والعبر(٣)، وأبسط تلك الدروس في اعتقادي، ان قوة المنطق وبلاغة الكلمة وحذاقة المفاوض وبراعة المخرج من خلفه، على أهميتها، لا تسطيع ان تغير على مائدة المفاوضات ما لم يستطعه أو يتمكنه ذلك المفاوض على الأرض.

دمشق ١٩٩١/١٢/١٠

---

(٣) رأينا أن نفرد قسماً خاصاً بمراجعة الدروس والعبر التي أمكننا رصدها عبر التجارب الثلاث.

الفصل الأول:

اوهام التسوية

هوشي منه وأوهام التسوية :

المفاوضات الصعبة، الطويلة، المعذبة ثم الناجحة التي عرفت باسم «مفاوضات باريس» والتي تكللت بالاتفاقية الشهيرة في مطلع عام ١٩٧٣ ، والتي أمّنت الانسحاب الامريكي من جنوب فيتنام، قبلها كانت مفاوضات أخرى قاسية ومريرة في مؤتمر جنيف أدت إلى تسريع الانسحاب الفرنسي من فيتنام كلها عام ١٩٥٤ ، وقبلها أيضاً كانت مفاوضات أكثر صعوبة وقسوة وقهراً بعد عودة الفرنسيين إلى الهند الصينية عام ١٩٤٥ .

المفاوضات إذاً، هي احدى المحطات الرئيسية في مسيرة النضال الوطني الفيتنامي التي قادها الحزب الشيوعي، لكن في باريس كما في جنيف كان هناك «المفاوض الفيتنامي» وكان خلفه «المقاتل الفيتنامي» كان النضال المسلح يسبق النضال الدبلوماسي، يغذيهيدعمه، يؤكد مصداقيته ثم يساعده على فرض شروطه ـ أو معظمها ـ على مائدة المفاوضات، اما قبل باريس وجنيف فقد كانت المعادلة تختلف،وكانت الشروط المواتية غير متوفرة، لذا كانت البداية الأصعب في تجربة المفاوضات الأولى التي أقدم عليها الشيوعيون الفيتناميون، لقد كان الوضع يختلف تماماً، فنهج التفاوض والتسوية السلمية يمثله تيار محدود داخل القيادة، تيار الأقلية العنيدة الذي كان يشق طريقه بصعوبة بالغة وسط التيارات الأخرى وبين الاتجاهات المتطرفة، وفي جو من الفتوة الثورية العارمة التي وفرتها انتفاضة آب / اغسطس ١٩٤٥ .

وفي تلك التجربة توفرت القوة العسكرية اللازمة للاطاحة ببقايا السلطة الملكية، ومحاصرة الوجود العسكري الفرنسي والياباني وشل فاعليته وحركته والاستيلاء على الادارة واقامة السلطة الثورية واعلان الاستقلال الوطني في فترة زمنية محدودة، لكن تلك القوة لم تكن كافية في فترة لاحقة لدعم المفاوض الفيتنامي ومساعد ته لكي يفرض شروطه أو حتى بعضها.

وبين ان «تفاوض» العدو الفرنسي (ضعيف التواجد العسكري) لكي تكسب الوقت لبناء القوة الذاتية المطلوبة لمواجهة قوته (القادمة على الطريق) وتثبيت السلطة الوطنية، أو ان «تقاتل» العدو الفرنسي (ضعيف التواجد العسكري) قبل ان يتمكن من تعزيز قوته ويتمكن بالتالي من فرض الأمر الواقع . .

انقسمت الساحة الوطنية والقيادة الثورية، بين تيار التفاوض والحل السلمي وبين جبهة الرفض وأنصار العنف الثوري، وكان على هوشي منه زعيم التيار الأول ان يواجه الاتهامات الحادة ضده بالانهزامية والاستسلام والتفريط.

أولاً: محطات تفاوضية في العهد الملكي

مسيرة المفاوضات مع الفرنسيين لم تبدأ على يد هوشي منه[1]، لكنها بدأت قبله بكثير،وحتى تلك المفاوضات الملكية - الفرنسية فإنها لم تكن أول خبرات الفيتناميين في مجال التفاوض، فالتاريخ الفيتنامي يختزن في ذاكرته أمثلة عديدة من حالات التفاوض والمناورة السياسية، قام بها الملوك بانفسهم تارة، والأمراء الاقليميون تارة أخرى، وفي حالات خاصة أخرى كان جنرالات الجيش وقادة الجبهات العسكرية هم الذين حاوروا الأعداء[2].

للاختصار نقول أن الفيتناميين جربوا في تاريخهم السياسي نوعين من التفاوض: مفاوضات مع القوى العظمى كالمغول والصينيين، ومفاوضات مع القوى الاقليمية المجاورة كسيام وشامبا والخمير، في الأولى كان هدف المفاوض الفيتنامي في الاغلب كسب الوقت لتعزيز جبهاته العسكرية أو لاضعاف جبهة العدو الخصم أو حتى للتوصل إلى حل وسط لتجنب الهزيمة الشاملة، وهنا كان لا بد من اللجوء إلى المناورة والحيلة والتلاعب في مواجهة قوة الخصوم وجبروتهم[3] وفي الثانية كان هدف المفاوض في الأغلب عقد تحالفات اقليمية تثبّت انتصاراً عسكرياً،أو ضرب تحالفات معادية.

---

(١) احتفل الشعب الفيتنامي والتقدميون في العالم في أيار / مايو ١٩٨٩ بالذكرى المئوية الأولى لميلاد الزعيم الفيتنامي الذي يعتبر واحداً من أبرز زعماء العالم الثالث في القرن العشرين.

(٢) في التاريخ السياسي القديم لفيتنام ظهرت عدة محاولات دبلوماسية كانت ابرزها، تجربة «تراي داو» في التعامل مع مسألة الغزو المغولي عام ١٢٨٧، وتجربة المستشار «نجوين تراي» مع الجيوش الصينية عام ١٤٢٣، والتجارب مع الدول المجاورة في حينه خاصة مملكة شامبا ومملكة الخمير.

(٣) اللجوء الى المناورة والحيلة من المسائل التي تحدث عنها كل من الرئيس الامريكي الاسبق نكسون ووزير خارجيته كيسنجر بمرارة شديدة واعتراها نقيصة كبيرة بحق المفاوض الفيتنامي.

تجربة المفاوضات مع الفرنسيين لم تكن معزولة بل كانت امتداداً لذلك التاريخ الطويل في الصراع العسكري السياسي الذي خاضه الفيتناميون، لكن أدوات الصراع وتكتيكاته هي التي اختلفت هذه المرة، وادارة الصراع نفسها قد اختلفت وتطورت من حركة قومية ملكية تقليدية مع بداية الغزو الفرنسي إلى حركة قومية اصلاحية مستنيرة في بداية القرن العشرين إلى حركة قومية تقدمية على رأسها الشيوعيون منذ الثلاثينات.

لقد شهدت فيتنام منذ قيادة الامبراطور «تودوك» وحتى زعامة «هوشي منه» أكثر من تسوية ومحاولة تسوية حول مستقبل الوطن الفيتنامي، لكنها جميعاً فشلت حتى تلك التسوية الأخيرة مع الفرنسيين في جنيف ١٩٥٤ لم تصمد طويلاً، وهنا بعض الأمثلة:

- بدأت حركة المقاومة الوطنية ضد المستعمرين الفرنسيين في ظل امبراطور البلاد «تودوك» وقادها رجال بلاطه وضباط جيشه الملكي، ومع أن الامبراطور كان يعرف جبروت الغربيين القادمين عبر البحر إلا انه رفض بإباء التورط في أول مشروع تسوية عرضه عليه القائد البحري الفرنسي «جنولي» بعد احتلاله لميناء دانانغ ١٨٥٨ وكان العرض يقضي بقبول الفيتناميين للحماية الفرنسية على بلادهم، مقابل امتناع الفرنسيين عن فرض الحماية عليها بالقوة المسلحة.

تلك كانت أول مبادرة دبلوماسية في تاريخ الصراع الفيتنامي - الفرنسي، فشلت، فاعتبر الفرنسيون ذلك سبباً وجيهاً لاخضاع الفيتناميين بالقوة طالما يرفضون التسوية السلمية.

- الجولة الأولى من حرب المقاومة الوطنية الملكية (المتخلفة) ضد القوات الأوروبية الفرنسية (المتفوقة) الزاحفة من الساحل جنوباً استمرت ثلاث سنوات احتل الفرنسيون خلالها نصف المقاطعات الجنوبية «كوشين شينا»[٣] الأمر الذي

---

(٤) كوشين شينا Cochin China أكبر الأقاليم الثلاثة التي تتشكل منها فيتنام، تقع في الجنوب وعاصمتها مدينة سايجون، بينما الاقليم الشمالي أطلق عليه تونكين وهانوي هي عاصمته وهايفونغ ميناءه الرئيسي، وبين الشمالي والجنوبي يقع الاقليم الأوسط الذي عرف باسم أنام ويضم مدينة هوي العاصمة الامبراطورية، وهي أصغر تلك الأقاليم مساحة.

اضطر الامبراطور نفسه هذه المرة إلى ارسال مفاوضيه إلى الفرنسيين بهدف العمل على ايقاف زحفهم العسكري عند ذلك الحد، وهكذا تم التوصل إلى أول تسوية سياسية بين الطرفين في حزيران (يونيه) ١٨٦٢،اعترف الامبراطور بموجبها بسلطة الفرنسيين على المقاطعات الجنوبية المحتلة وتعهد بدفع مبلغ عشرين مليون فرنك تعويضاً للفرنسيين عن خسائرهم ! ووافق أيضاً على فتح الموانىء الشمالية والوسطى أمام التجارة الفرنسية.(٥) ولم تمض خمس سنوات حتى اندفع الفرنسيون ـ بعد ترتيب أوضاعهم ـ لاحتلال بقية المناطق الجنوبية بذريعة ان رجال المقاومة يستخدمونها كقواعد انطلاق، ولم تجد نفعاً كل مناشدات الامبراطور لهم بالتقيد بالمعاهدة، ولا حتى تلويحاته بالقوات الصينية المجاورة، فاضطر مرة أخرى للقبول بالأمر الواقع لعله يتمكن من الحفاظ على الاقليمين الشمالي والأوسط من فيتنام.

ـ الجولة الجديدة من المفاوضات حلّت بعد معركة خاسرة خاضتها القوات الملكية في الاقليم الشمالي «تونكين» على اثر افتعال الفرنسيين ـ كالعادة ـ لحادثة تطلبت تدخلهم العسكري هناك، فوافق الامبراطور على اتفاقية التسوية الجديدة (١٨٧٤) التي قبل بموجبها عسكرة القوات الفرنسية في المدن الشمالية الرئيسية ووافق على فتح النهر الأحمر (بين فيتنام والصين) أمام التجارة الفرنسية مع الاعتراف بالسيادة الفرنسية على كل الجنوب وبالوضع الخاص للفرنسيين في الشمال والوسط (٦) ـ ـ ـ ـ بعد ذلك حاول الملك الحفاظ على آخر معاقله في الاقليم الأوسط «انام» واستنجد مرة أخرى بالقوات الصينية إلى جانب اتخاذه الاجراءات الدفاعية اللازمة إلا ان ذلك لم يمنع سقوطها بيد الفرنسيين، لان القوات الصينية التي استنجد بها انسحبت بعد اتفاق صيني ـ فرنسي على حساب الفيتناميين، والقوات الملكية المقاومة انسحبت إلى المناطق الجبلية بعد تدهور أوضاعها وانهيار جزء كبير منها نتيجة للوضع البائس . . وهكذا فرض الفرنسيون على الفيتناميين آخر تسوية سياسية في العهد الملكي عام ١٨٨٣،نصت على قيام ثلاثة أشكال للعلاقة بين الجانبين فالجنوب يصبح مستعمرة فرنسية، والشمال يصبح نصف مستعمرة، والوسط يكون محمية فرنسية (٧)

---

(٥) (٦) (٧) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة الجزء الاول من كتاب :

Joseph Buttinger.Vietnam: A Dragon Embatteled.Pall Mall Press - London

ـ المرحلة التالية شهدت انقسام الحركة الوطنية التقليدية، لان الامبراطور الجديد «هام نجهي» قرر الصعود الى الجبال لقيادة المقاومة المسلحة، فرد الفرنسيون على ذلك بتنصيب امير آخر هو «دونغ خانه» امبراطوراً بديلاً على البلاد، فانقسمت مؤسسات السلطة الملكية من حاشية وقيادة جيش ومندرينات[٨] وبالتالي انقسمت الحركة الوطنية الى جناحين، احدهما يطالب بالتفاوض مع الفرنسيين اتقاء لشرهم وطريقاً للخلاص حتى لو استدعى الامر تسليم اسلحة المقاومة، والآخر يدعو الى مواصلة المقاومة وعدم مهادنة الفرنسيين مهما كلف الامر من تضحيات.

السنوات التالية شهدت افلاس الطرفين، ولم يسجل أي منهما اية انجازات على المستوى الوطني، فجناح الكفاح المسلح لم يستطع تطوير ادوات صراعه، وعجز عن مواصلة المقاومة امام الاختلال الكبير في ميزان القوى لصالح الخصم، وجناح الحل السلمي لم تشفع له نواياه الطيبة فتحولت طموحاته الكبيرة، امام استقرار السلطات الفرنسية وتثبيت ركائز الاحتلال ـ الى مكتسبات صغيرة وهامشية.

وهكذا نرى ان الدبلوماسية الملكية ابتدأت بالرفض القاطع للتعاطي السلمي مع الفرنسيين محبذة الحل العسكري، شاحذة لذلك الشعور القومي لعامة الشعب (الفلاحين بشكل رئيسي) التي كانت وقوداً لحركة المقاومة المسلحة، لكنها امام اول خسارة كبيرة بدأت تتراجع وكان التراجع في البداية تكتيكياً ومبرراً (لاستحضار عوامل القوة) فوافقت اولاً على مبدأ المفاوضات ثم انطلقت مع التنازلات الواحد تلو الآخر، اتفاق ثم معركة ثم تنازل، حتى ضاعت كامل الارض الفيتنامية، ولم يتبق من السلطة الملكية الا اقامة الاحتفالات الدينية وتوزيع الجوائز على المتفوقين في الدراسة وجمع الضرائب الكافية لتغطية النفقات الملكية لا اكثر.

بالتأكيد لم يكن الامبراطور عميلاً للفرنسيين ولا خائناً لوطنه، فقد كان النظام الملكي هو الذي ينظم حركة المقاومة، يقودها كبار ضباطه، يعبىء لها ويحث عليها كبار كهنته واساتذته، وكان الملك يفعل ذلك بلا تردد ـ في اغلب الجولات الحربية ـ لاسبابه الوطنية والسلطوية على حد سواء، وكانت العامة تهب مدفوعة بشعور قومي جارف لتلبية نداء الامبراطور «للدفاع عن ارض الاباء والاجداد ضد الغزاة الاجانب» فتدفع ضريبة الدم المطلوبة، وبعد كل اقتطاع للمناطق يصبح السكان هدفاً للاجراءات

---

(٨) المتدرينات Mandrins تعبير قادم من الحضارة الصينية، ويطلق على طبقة كبار الموظفين الذين يعملون في البلاط الامبراطوري ويحظون بتقدير كبير.

الارهـابية والانتقـامية الفـرنسية، فقـد كانوا وقود الحرب وضحية التسوية وكان الولاء للملك بالنسبـة لهم تعبير ذات طابع ديني ودنيوي عن الولاء للوطن وللقومية. . ومع كل ذلـك فلم تمنـع وطنية الملك ولا تضحيات الشعب انجـاز المشروع الفـرنسي الاستعماري كاملاً.

الـدبلومـاسية الفيتنامية في تلك المرحلة لم تخف افلاسها، فقد كان على رأسها المستشـار الملكي «فـان جيان» الـذي عمل وزيرا لفترة طويلة، لكن حنكته السياسية وبـراعتـه التفـاوضية لم تسعفـه حتى النهـاية، فلم يتحمل الهزيمة وانتهاك الفرنسيين لاتفـاقيات التسوية التي توصل اليها معهم، وغدرهم له ولبلاده فقرر الانتحار تكفيراً عن ذنـوبـه بحق وطنـه، لكن بعـد ان جمع اولاده حوله وحصل منهم على تعهد بالاّ يتعاونوا مع الفرنسيين طوال حياتهم[٩].

اما الدبلوماسية الفيتنامية المعاصرة فقد ولدت من رحم مرحلة عصيبة في مسيرة الثـورة الشعبية حيث واجهت منـذ البـداية جبهـة مفـاوضات واسعة قيادتها معقدة، شبكـاتهـا متـداخلة، وتكثفت امـام المفـاوض الفيتنامي «متواضع الخبرة» مجموعة من المهمات الدبلوماسية المتشابكة خاصة في العامين الاولين:

- مفاوضات مع اطراف معسكر الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية
  مع الامريكيين لكسب تعاطفهم المهم
  ومع الصينيين لتجنب شرهم القاتل
  ومع الفرنسيين لتأمين الحد الادنى من الاستقلال
- مفاوضات مع اطراف الساحة الداخلية الحزبية والوطنية:
  مع الاحزاب القومية والثورية المتحالفة ضد الشيوعيين
  ومع اليمين المتطرف واليسار المغامر لتأمين الوحدة الوطنية
  ومع فرسان الحزب الشيوعي لعقلنة ردود فعلهم وتهدئة مشاعرهم المستفزة.

وفي كل تلك المهمات تحمل هوشي منه المسؤولية الاولى، واخذ على عاتقه السير بمركبه «الوطني» وسط تلك الامواج العاتية والصخور الصلدة حتى النهاية. . لكن اية نهاية؟

---

(٩) تولي اثنان من ابناء فان جيان قيادة حركة المقاومة الشعبية في المناطق الغربية من الميكونغ، مزيد من التفـاصيل حول المقاومة الوطنية بقيادة الملكين تجدها في الفصل الثالث/ الباب الاول ـ التجربة العسكرية الفيتنامية ـ علي فياض ـ الصادر عن مؤسسة عيبال للدراسات والنشر قبرص.

ثانياً: تكتيك الاتصالات السرّية

أ: دبلوماسية المناطق المحررة:

دخل التوجه نحو المفاوضات عند هوشي منه حيز التنفيذ في بدايات عام ١٩٤٥ عندما وافق على اجراء الاتصالات مع الاميركيين ثم مع الفرنسيين، على امل ان تساعده تلك الخطوة على ايجاد مكانة «للفيت منه»[١٠] في الترتيبات المستقبلية للاوضاع في منطقة المحيط الهادىء وتحديداً في شبه جزيرة الهند الصينية.

وقد حرص هوشي منه على ان تجري تلك الاتصالات بعيدا عن الاضواء وعن كثير من الرفاق، فالجو العام المسيطر لم يكن يسمح بهكذا خطوة حيث كانت تنفذ مجموعة من الخطوات السريعة والنشطة لتدعيم القوات الثورية المسلحة وانجاز الانتفاضة الشاملة وتعزيز السلطة الثورية، وكانت مجموعة اساسية من قيادة الثورة على رأسها ترونغ تشنه، نجوين جياب، هوانغ فيت تعطي الاولوية للعمل العسكري، للنضال الثوري المسلح اللامتردد، بينما كانت الرغبة عند قائد الثورة تتركز على تثبيت مركز «الفيت منه» كطرف اساسي معترف به في أية تسوية قادمة بين الكبار، والحصول على مساعدة فاعلة للحركة الوطنية الفيتنامية، وهو لم يتردد في بعض الاحيان في الاستعانة بالمتشددين في خوض المعركة الدبلوماسية كما حدث مع جياب.

كانت بداية دبلوماسية هوشي منه السرية مع الاميركيين الذين كانوا يشرفون انذاك على المسرح السياسي الاكبر في المنطقة، فقد كانت القيادة العسكرية الاميركية في جنوب شرق آسيا والهادي تنشط جاهدة في مراقبة ومتابعة القواعد العسكرية والقوات اليابانية تحسباً من ضربة مفاجئة[١١]، وكانت اجهزة الاستخبارات التابعة للجنرال «ويدماير» المقيم في الصين تحاول بناء شبكة من الاصدقاء والمتعاونين في مختلف مناطق جنوب شرق اسيا لتنفيذ تلك المهمة متعهدة بمساعدة وطنيي تلك البلدان على نيل

---

(١٠) الفيت منه Viet Minh هي التشكيل الجبهوي الذي اقامه الشيوعيون الفيتناميون عام ١٩٤١ لقيادة الشعب في الانتفاضة الشاملة لاستلام السلطة الوطنية، بعد ان فشلت تجربتي الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، وفيت منه تعني بالفيتنامية رابطة استقلال فيتنام: Vietnam Independance League

(١١) ذكرت مصادر غربية ان اسم الضابط هيلول. لكن الكاتب لم يتمكن من الحصول على معلومات اضافية عنه.

استقلالهم الوطني فور هزيمة اليابان، وهكذا التقت المصالح بين الاميركيين والحركة الـوطنية الفيتنامية فاسفرت عن الاتصالات المبكرة التي جرت بين الطرفين في شباط/ فبراير ١٩٤٥ والتي جمعت بين هوشي منه واحد ضبـاط الاستخبـارات الاستراتيجية الاميركية في مدينة كونمنغ الصينية حيث اتفقا على العمل ضد العدو المشترك «القوات اليابانية في الهند الصينية»[١٢].

في تعليقها على هذا الاتصال تؤكد المصادر الغربية ان المساعدات الاميركية التي وعد بها هوشي منه في مجال الاسلحة والامدادات كانت مشروطة بان تستخدم فقط في قتـال اليابـانيين وفي اطـار العـمليات العسكـرية ضدهم والاّ تستخـدم ضد الفرنسيين[١٣]وفي سياق هذا الاتفاق فإن عدداً من الخبراء الاميركيين يجب السماح لهم بالتـواجـد في المناطق المحررة الفيتنامية لخدمة المجهود الحربي ضد اليابانيين ولمساعدة الطيارين الاميركيين الذين يسقطون في المنطقة.

امـا الاتصـالات السياسية المبكـرة مع الفرنسيين عام ١٩٤٥ فقد تمت بوساطة اميركية وبترتيب بعض ضباطهم كما تذكر بعض المصادر حيث جرى اول اتصالات بين هوشي منـه ورئيس البعثة الفرنسية في الصين الوسطى، حيث كان سانتيني Sainteny يبحث عن اصـدقـاء محليين من خلال موقعه الهام في قيادة جنوب شرق اسيا، وكان الفرنسيون يعملون على تحقيق هدفين رئيسين وآخر ثانوي، اولهما التنسيق مع الضباط الامـيركيين ورجـال استخباراتهم من اجل تسهيل التسرب الفرنسي الى الهند الصينية واعـادة السيطرة عليهـا بعـد ان فقـدوهـا منـذ ١٩٣٩ اثر هزيمتهم المخزية في الهند الصينية[١٤]، وثـانيهـما استكشـاف حقيقـة الاهـداف الصينية تجاه جارتهم الجنـوبية

---

(١٢) بعد اعلان امريكا الحرب على اليابان اثر هجوم بيرل هاربر قامت القوات اليابانية بانهاء النفوذ الامريكي في الفلبين بالقوة وعززت سيطرتها على معظم الشرق الاقصى لضمان مجالها الحيوي الاعظم مما استدعى استراتيجية امريكية مضادة. . وقد لوحظ ان اليابانيين والامريكيين اتبعوا نفس التكتيك تجاه شعوب المنطقة حيث وعدوها ـ على التوالي ـ بالمساعدة في التخلص من السيطرة الاجنبية وفي تحقيق استقلالها اذا ماتعاونت معهم.

(١٣) رغم ذلك الشرط الامريكي الاّ ان الفرنسيين شنوا حملة انتقادات واسعة ضد السياسة الامريكية في الهنـد الصينيـة في تلك الفترة بحجة ان الامريكيين في اتفاقهم مع الفيتناميين انما كانوا يرغبون في اعاقة عودة الفرنسيين الى ممتلكات ماقبل الحرب.

(١٤) من اهم المساعدات البريطانية للفرنسيين في سبيل عودتهم الى الهند الصينية كانت تحويل كالكتا Calcutta الى مركـز فرنسي هام مهمتـه ارسـال عدد من العمـلاء الفـرنسيـين العسكـريـين والمدنيين

والسياسة التي قد يتبعون بعد انسحاب اليابانيين لكي يكيفوا خطتهم في العودة، اما الهدف الثالث فتمثل في اقامة اتصالات مع الشخصيات والقوى الفيتنامية المتواجدة في جنوب الصين وبحث امكانية استخدامها ضد العدو الياباني المشترك، وبالفعل جرت الاتصالات مع عدد من الزعماء الفيتناميين هناك. .

تلك كانت البدايات الاولى للدبلوماسية الفيتنامية في المناطق المحررة وهي لاتتعدى مجموعة من الاتصالات السرّية ادت الى بعض الترتيبات المتواضعة.

ب ـ دبلوماسية السلطة الوليدة:

انحصرت المرحلة الثانية في عمر الدبلوماسية الفيتنامية في فترة زمنية قصيرة للغاية، وهي الفترة الفاصلة بين نجاح انتفاضة اغسطس/ اب واعلان قيام جمهورية فيتنام الديمقراطية.

في اواخر آب/ اغسطس وصل الى هانوي المحررة الجنرال سانتيني تحت مظلة الحلفاء، وخلال الاسبوع الاول بدأت المفاوضات الفرنسية الفيتنامية بحضور الاميركيين، حيث جمع اللقاء الاول جياب الذي كان يقوم بمهام وزير الداخلية، وسانتيني الذي اصبح مفوضا فرنسيا لشمال فيتنام والضابط الاميركي المقدم باتي Patti الذي ترأس بعثة OSS (١٥).

في تلك اللقاءات الاولية حاول الجانب الفيتنامي ان يكون معتدلاً الى حد كبير وان يُفهم الطرف الآخر بان سلطة الفيت منه هي اكثر جهة متزنة، وفي نفس الوقت قادرة على ضبط الاوضاع في الساحة الداخلية، وفي هذا المجال أفهم الفرنسيون والاميركيون ان الفيت منه لن تسمح للقوى الفيتنامية المتطرفة بتعكير الامن او الاساءة الى العلاقات مع الاصدقاء. لكن نتائج تلك الاتصالات الاولية لم تكن مثيرة، فقد كانت بالنسبة للاطراف الثلاثة مجرد استطلاع للموقف على الارض من ناحية،

بالطائرات واسقاطهم بالمظلات فوق المناطق الفيتنامية لاعادة السيطرة على المواقع العسكرية والمراكز الادارية الهامة، وكان المركز الهام الآخر في مدينة كانمنغ Kunming الصينية.

(١٥) بعثة OSS مكتب الخدمات الاستراتيجية، اختصار Office of Strategic services ، ومن مهامها البحث عن الطيارين المفقودين خلال الحرب وقد كانت ضمن مجموعة البعثات الامريكية التي وصلت الى هانوي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة.

ولوجهات النظر السياسية من ناحية اخرى، والفيتناميون وحدهم حصدوا بعض ثمارها عندما كسبوا بعض الوقت لاعلان استقلالهم وميلاد جمهوريتهم بحضور بعثة الحلفاء على الاقل دون اعتراض.

اما المرحلة الثالثة من المسيرة الدبلوماسية فقد بدأت بعد ١٩٤٥/٩/٢ وفي هذا الوقت بدأت الاتصالات الفيتنامية الامريكية تتراجع لصالح الاتصالات الفيتنامية الفرنسية(١٦) وقد شارك في الجولة الجديدة رئيس الحكومة هوشي منه ووزير خارجيته هوانغ جيام ومن الفرنسيين الجنرال اليساندر والمستشار السياسي بينون وقد حرص الجانبان ان تجري المفاوضات في البداية بشكل سري لكي لاتصل اخبارها الى الطرف الصيني الذي كانت قواته قد بدأت في الوصول الى هانوي فعلاً، وكذلك لكي لاتعرف بها الاحزاب القومية التي كانت ستتخذ منها ذريعة لمهاجمة «الفيت منه» وانتقاد هوشي منه، تلك هي اسباب الفيتناميين، اما الفرنسيون، فقد كانوا حريصين على الاّ تعطي المفاوضات مع الفيت منه انطباعاً بانهم يعترفون بسلطة هوشي منه على البلاد.

على مستوى متوازن مع الشمال كانت التعليمات الصادرة مركزياً لقيادة الثورة في الجنوب باتباع المرونة مع الفرنسيين والتودد الى الحلفاء، لذلك نرى اللجنة التنفيذية لجنوب فيتنام(١٧) تبدأ ـ في نفس اليوم الذي كان فيه جياب يفاوض سانتيني في هانوي ـ مفاوضاتها مع «سيدل» الذي اطلق اليابانيون سراحه ليصبح المفوض الفرنسي لجنوب فيتنام، ويمكننا تسجيل الملاحظات التالية حول المفاوضات الفيتنامية ـ الفرنسية في تلك الفترة:

اولاً: الجانب الفرنسي استند في مفاوضاته على اساس أنه هو حاكم الهند الصينية وبالتالي فان اية مناقشات تتعلق بمستقبل النظام السياسي في فيتنام لايمكن الحسم فيها الاّ بعد اعادة الوضع في المنطقة الى ماكان عليه قبل الحرب العالمية واعتراف الفيتناميين بذلك والسماح بعودة القوات والادارة الفرنسية.

ثانياً: الجانب الفيتنامي استند الى ان الفيتناميين هم اسياد بلدهم وبالتالي لايمكن مناقشة مستقبل العلاقة بين الطرفين الاّ بعد اعتراف الفرنسيين باستقلال

---

(١٦) اقتصرت الاتصالات الامريكية الفيتنامية بعد ذلك التاريخ على الضباط الموجودين في هانوي، والذين كانوا في الغالب متعاطفين مع الوطنيين الفيتناميين وقد برز منهم المقدم باكلي Buckley ممثل وزارة الخارجية في بعثة OSS الذي شارك في انشاء جمعية الصداقة الامريكية الفيتنامية.

(١٧) اللجنة التنفيذية لجنوب فيتنام هي السلطة التي شكلت في سايجون على انقاض الجبهة الوطنية المتحدة ونتيجة للنفوذ الكاسح الذي حققه الشيوعيون الجنوبيون اثناء انتفاضة آب/ اغسطس ١٩٤٥.

الفيتناميين وان اي اتفاق سيتم بعد ذلك سيكون اتفاقاً بين طرفين متساويين.

ثالثاً: ومع ذلك فإن الجانبين حرصا على استمرار المفاوضات وعدم قطعها، كل ليكسب الوقت الكافي لتثبيت اوضاعه، الفرنسيون كانوا ينتظرون قوات وإمدادات قادمة على الطريق، والفيتناميون كانوا يريدون تثبيت سلطتهم واعلانها رسمياً، ولكن كليهما يتعرض لضغوط حادة في معسكره الداخلي.

وهنا يمكننا الحديث باختصار عن الاوضاع الداخلية للطرفين المتفاوضين:

ـ الفرنسيون المقيمون في سايجون. . وبكل المصالح والروح الاستعمارية كانوا ينظرون الى مسألة عودة الاستعمار الفرنسي بانها حق لايمكن التنازل عنه، وبان غياب السلطة الفرنسية اثر هزيمتها هو غياب مؤقت ينتهي فور هزيمة اليابان، وكانوا ينظرون الى السلطة الفيتنامية الوليدة باحتقار ويعتبرونها مجرد حالة من الفوضى والتخريب يجب ان تنتهي بعودة فيتنام كاحدى ممتلكات فرنسا في الشرق الاقصى، من هنا كانت تنظيماتهم ـ في غالبيتها ـ تعارض فكرة التفاوض مع اللجنة التنفيذية الفيتنامية.

ـ في المقابل هناك عدد كبير من التنظيمات والاحزاب والشخصيات الفيتنامية في سايجون يعارض الخط التفاوضي الذي تقوده اللجنة، وكان التروتسكيون[18] ابرز تلك القوى، وطالبوا بالكفاح المسلح الفوري ضد قوات الحلفاء وعدم اعطائها اية فرصة لالتقاط انفاسها، اضافة الى جماعات هواهاو، كاو داي وغيرهم.

لكن المفاوضات الجنوبية استمرت رغم مناورات الطرفين، وكان الفرنسيون يتصرفون على اساس انهم الحكومة وانهم يبحثون مع الفيتناميين في امكانية مشاركتهم في ادارة البلاد ومدى وحجم هذه المشاركة، والفيتناميون استمروا بالتصرف على اساس انهم بلد مستقل وان هناك مشاكل اقتصادية وسياسية وعلاقات ثنائية مع البلد الذي كان يستعمرهم بحاجة الى ايجاد حلول لها.

وهنا يمكننا ان نسجل الملاحظتين التاليتين:

اولاً: لهجة المفاوض الفيتنامي كانت قد تشددت بعد الهجوم الفيتنامي المعاكس الذي اعاد السيطرة على سايجون[19] فاكد للجانب الاخر ان النصر النهائي قد انجز

---

(١٨) برز في فيتنام منذ اوائل الثلاثينات عدد من التنظيمات التروتسكية بدأت بالرابطة الشيوعية والمعارضة اليسارية (١٩٣١) ثم معارضة اكتوبر اليسارية وشيوعية الهند الصينية (١٩٣٢) ثم جماعة النضال وجماعة اكتوبر (١٩٣٣) واخيرا الرابطة الشيوعية العالمية وحزب العمال الاشتراكي (١٩٤٤).

(١٩) فى اللحظة التي اعتقد الفرنسيون فيها ان الاوضاع في سايجون قد استقرت لهم اثر انقلابهم ◊

الآن في كل فيتنـام وان السلطة الثـورية هي صاحبـة السيادة عبر الحكـومـة الثـورية لجمهورية فيتنام الديمقراطية، وطرح الفيتناميون المطالب التالية:

ان تعـود الامور في الجنوب الى ماكانت عليه قبل الهجوم الفرنسي الأخير، وان يجري تجريد القوات الفرنسية كلها من اسلحتها، وان تجمع في معسكرات خارج المدينة تمهيدا لنقلهـا الى فرنسـا مع الـوقف الفوري لارسال اية قوات او امدادات عسكرية اجنبية الى فيتنام

ثانياً: على امتـداد الاسبـوعـين الممتـدين من وصـول قوات الجنرال «لاكليرك» (١٠/٤) وحتى وقف العمل بالهدنة العسكرية بين الجانبين (١٠/٢١) كان المفاوض الفرنسي يظهر ليونه، ويصدر لهجة ودية حتى يتمكن من توفير المظلة المطلوبة والوقت الـلازم لتعـزيز موقف قيادتـه العسكرية قواتاً وامدادات، لكن في الاسبوع التالي بدأ الفـرنسيون وحلفـاؤهم اول حملة عسكرية كبيرة في الجنوب، واصبحوا بغير حاجة الى التفاوض ولا حتى التعامل مع اللجنة الفيتنامية الجنوبية، عندها اقفلوا الباب في وجه المفاوض الفيتنامي الجنوبي بصلافة معهودة:[20]

ج: تكتيك التشدد المؤقت:

من المفيد ان نذكر ان هوشي منه اتبع في مفاوضاته الشمالية سياسة مرنة تخللتها من حين لآخـر المـواقف المتشددة، وقد حكمت مواقفه تلك عدة عوامل، منها محاولة فرض الامـر الـواقـع وكسب التـأييد الـدبلوماسي لسلطته الوليدة وتجنب الصدام مع الصينيين وتخفيف ضغــطهم عليه والحصـول على اعـتراف امـيركي به او على الاقـل تعـاطف امـيركي يخفف من الموقف الفرنسي، وللحق فقد اثمرت تلك التكتيكات في مراحلها الاولى. وهكذا يمكن القول ان المفاوضات في الشمال مرت عام ١٩٤٥ بعدة مراحـل، بدأت بتبيان الاستعداد للتعاون مع الحلفاء في وجه اليابانيين، ثم بممارسة سلطته الثورية الجديدة بطريقة معتدلة كفلت حماية المصالح والممتلكات الفرنسية، وفي هذا السياق كان الترحيب غير العادي ببعثة الحلفاء، والحفاوة التي قوبل بها الاميركيون

(*) المفاجيء على الفيتناميين في ٩/٢٢ شنت قيادة الثورة في ٩/٢٤ هجوما عسكرياً عاماً مع اضراب شعبي شامل سيطروا خلاله على المدينة مجدداً وعززوا موقعهم التفاوضي من جديد.

(٢٠) لمزيـد من التفـاصيـل حول الظروف التي رافقت عودة الفرنسيين للهند الصينية يمكن مراجعة الفصـل السـادس من الجزء الاول من كتاب

الصادر عن Joseph Buttinger Vietnam: A Dragon Embatteled Pall Mall Press - London

والفرنسيون ثم الهتافات والشعارات التي رفعتها المسيرات «مرحباً ببعثة الحلفاء». و «ساندوا الرئيس هوشي منه» و «ساندوا الحكومة المؤقتة» خاصة يوم الاحتفال باعلان الاستقلال.

لكن امام اصرار المفاوضين الفرنسيين في سايجون وهانوي على التعامل مع فيتنام كمستعمرة لجأ هو الى ابداء الموقف المتشدد. وهكذا نراه يعلن امام حشود يوم الاستقلال استنكاره للسياسة الارهابية الفرنسية ويندد بالمعاهدات الظالمة التي فرضت على الفيتناميين والامتيازات الخاصة للفرنسيين، ويدعو الشعب للوقوف بحزم ضد الفرنسيين والاستعداد للنضال من أجل الحياة الكريمة. ولم تمض بضعة اسابيع حتى عاد الرجل يبدي استعداده لتقديم تنازلات هامة عندما ابلغ سانتيني في ٩/٢٨ ان الفيت منه ستتصرف كطرف مسؤول عن دولة وشعب وعلاقات وليس كمجموعة ثورية متطرفة. وبعد اجتماع آخر عقد في ١٠/١٥ بات سانتيني مقتنعاً بامكانية التوصل الى حل سلمي، واخذ يحاول منع القيادات العسكرية من تصعيد العمل ضد الفيتناميين بل هو الح على القيادة في باريس بضرورة تأجيل الحل العسكري، وكانت فكرته تقوم على اساس ان احتلال الهند الصينية من جديد والاحتفاظ بها سيكلف من الناحية العسكرية توفير ثلاثمائة الف عسكري مجهزين، وهذا مالا تستطيعه فرنسا انذاك، ولذلك لابد من تعاون الفيتناميين في ترتيب العودة الفرنسية.

لكن الجنرال لاكليرك كان يرى من جانبه بضرورة التحرك العسكري السريع والوصول الى مناطق عسكرية واستراتيجية للسيطرة عليها لكي تشكل دعماً للمفاوضات السياسية من ناحية ولمواجهة احتمالات السيطرة الصينية على الشمال من ناحية اخرى، وهنا نلاحظ انه بينما كان الجنرال الفرنسي يحرك قواته لتطبيق وجهة نظره، استمر الزعيم الفيتنامي خلال الشهور التالية يمارس دوراً مزدوجاً: من ناحية يطلق تهديدات نارية وتصريحات شديدة اللهجة ضد الفرنسيين ومن ناحية اخرى يتصدى للقوى والمنظمات الفيتنامية التي تحاول فرض موقف معاد للفرنسيين على الارض.

ورغم ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي كانت قد حددت في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٥ ان فرنسا هي العدو الرئيسي لشعوب الهند الصينية[٢١]،

---

(٢١) جاء ذلك في بيان للحزب بعنوان «حرب المقاومة والبناء الوطني» الذي اصدرته اللجنة المركزية في ٢٥ نوفمبر وحددت فيه المهمات الوطنية العاجلة حزبياً ووطنياً وذلك بعد اسبوع واحد من قرار حل الحزب رسمياً.

المصدر An Outline History of the VN Workers Party P. 42 Foreign Languages Publisling H.

فقد شهد الاسبوع الاول من كانون الثاني/ يناير ١٩٤٦ لهجة اقل تشدداً حيث صرح رئيس الحكومة الفيتنامية بان الفيتناميين لايرغبون في تحطيم الاواصر التي تجمع بينهم وبين الفرنسيين وان على الجانب الفرنسي اتخاذ الخطوة المخلصة الاولى «فشعبنا لا يحمل كرهاً للفرنسيين ونحن معجبين بهم جداً»، وشهد الشهر الثاني من العام الجديد مزيداً من الغزل للفرنسيين في الصحافة الفيتنامية رغم التأكيد على تصميم الشعب الفيتنامي على الدفاع عن نفسه.

ثالثاً: تحييد جبهة الرفض

أ ـ خارطة قوى المعارضة:

منذ وصوله الى هانوي واعلان سلطته واجه هوشي منه وحكومته المؤقتة عدة اشكال من المعارضة التي بلغت في بعض الاحيان درجة المقاومة لسياسته وخطه التفاوضي، ويمكننا في هذا المجال تمييز ثلاثة اشكال من المعارضة:

١ ـ المعارضة غير المنظمة: والمقصود بها العامة، الموجودة على امتداد البلاد وتشمل كل الطبقات والفئات والشرائح التي تضررت من وجود سلطة ثورية جديدة على رأسها وطنيون شيوعيون، وتضم هذه المعارضة خليطا من الاقطاعيين والعقاريين واصحاب الشركات وكبار موظفي الادارات الاستعمارية الفرنسية واليابانية والامبراطورية، ورغم ان هؤلاء يجمعهم السخط على الشيوعية والخوف من السلطة الجديدة على امتيازاتهم ومصالحهم، فانهم امام الانتفاضة الجماهيرية العارمة والهيجان الوطني الجامح لم يجرؤوا على تحدي «الاستقلال الوطني، ودولة فيتنام الديمقراطية» التي اعلنها هوشي منه، وعلى هذا فان ائتلاف او ائتلافاً او تنظيماً مركزياً موحداً لم يضم هذه الفئات او يعبر عن مصالحها، بل ان هؤلاء وفي فترات مختلفة انشأوا او التحقوا او ساعدوا هذا الحزب او ذاك.. ليس اكثر، ومعارضتهم لم تستهدف سياسة التفاوض بل النظام الثوري باكمله.. وهذه ليست موضوعنا هنا.

٢ ـ المعارضة المنظمة: والمقصود هنا تلك المعارضة التي لعبت دوراً واضحاً في التطورات السياسية في السنة الاولى من عمر السلطة الثورية، وشكلت او استخدمت

لتهديد سلطة «الفيت منه» وهي تنقسم الى مجموعتين، شمالية[٢٢] تضم الاحزاب والتنظيمات والشخصيات القومية والموالية للصين، وجنوبية[٢٣] تضم التروتسكيين والقوميين والجماعات الدينية ـ السياسية الكبيرة.

وبالرغم من اشتراك المجموعتين الشمالية والجنوبية في رفع شعار واحد ضد التفاوض مع الفرنسيين ولاسقاط خط التسوية، الا ان الاهداف بينهما كانت مختلفة والنوايا متباعدة واسباب القوة مختلفة.

كما كان لكل كتلة نقطة قوة ونقطة ضعف في مواجهة الفيت منه، ففي الوقت الذي كانت الفيت منه أكثر قوة وسيطرة من الناحية العسكرية في الشمال، كانت المعارضة الشمالية تتمتع بدعم قوات الكومنتانج الصينية الزاحفة حديثا الى تلك المناطق، لكنها كانت في نفس الوقت تفتقر الى التأييد الشعبي الذي احتكرته الفيت منه على الاغلب، وفي الجنوب بينما كانت المعارضة تمتلك تحليلا صحيحا للوضع الناشىء مع الحلفاء وتمتلك موقفا نظريا صحيحاً واكثر تماسكاً مما كان لدى الفيت منه بالاضافة الى تعاطف جماهيري معقول، فانها لم تكن قادرة من الناحية المادية على الوقوف امام نفوذ الفيت منه وامكانياتها ولا على تلبية متطلبات التطورات العسكرية التي تلاحقت في الجنوب.

٣ ـ المعارضة الحزبية الداخلية: ونقصد بها التيارات التي شهدتها الحياة الحزبية منذ سنوات بعيدة، والتي تمحورت خلال الفترة الاخيرة حول اتجاهين، اولهما يعطي اهتماماً خاصاً للمفاوضات كوسيلة لتثبيت سلطة الحكومة ولو كان ثمن ذلك تقديم عدة تنازلات ويتزعمه هوشي منه، وثانيهما يطالب باعطاء الاولوية للجهد العسكري وبممارسة الكفاح المسلح ولا يؤيد سياسة التنازلات ويتزعمه ترونغ تشنه[٢٤].

---

(٢٢) المعارضة الشمالية تتشكل من المجموعات القومية والثورية التي تكاثرت في الشمال الفيتنامي والحدود الصينية، وهي تعود في اصولها الى الحزب القومي الذي تأسس عام ١٩٢٧ على غرار الكومنتانغ الصيني، ورابطة استعادة فيتنام التي تأسست عام ١٩٢٥ واستقرت تلك المجموعات على حزبين رئيسيين هما الحزب القومي والرابطة الثورية.

(٢٣) المعارضة الجنوبية تتشكل من التنظيمات البرجوازية والدينية واليسارية التي افرزتها حركة التروتسكيين وحزب فيتنام الكبرى وجماعات هوا هاو Hoa Hao وكاو داي Cao Dai المتفرعة عن الديانة البوذية بشكل رئيسي.

(٢٤) المعارضة الحزبية كانت تضم هوانغ كوك فيت، هو ماو، تران ليو أما زعيمها ترونغ تشنه واسمه الحقيقي دانغ سوان خو فقد شارك في بناء الحركة الشيوعية الفيتنامية منذ اواخر العشرينات، واعتقل

ب ـ الكومنتانج والمعارضة الشمالية :

بعد اعلان الاستقلال مباشرة كان على أرض فيتنام الشمالية أربع تنظيمات سياسية رئيسة، جبهة الفيت منه بقيادة الحزب الشيوعي ويتحالف معها الحزب الديمقراطي، ثم الحزب القومي الفيتنامي وتتحالف معه الرابطة الثورية الفيتنامية وحضرا في حماية القوات الصينية فانضمت اليهما بقايا الداي فيت التي جرى تصفيتها قبل وصولهما. ورغم ان الوجود الصيني في شمال فيتنام كان افضل الخيارين المطروحين (صيني وفرنسي) في حينه من حيث ان الصينيين سيكونوا اقل معارضة لمنح فيتنام استقلالها بل احتمال تأييدهم لمثل هذا الاستقلال اذا ضمنوا بعض الشروط وأرداً كما وقوفهم في وجه التحرك الفرنسي شمال خط عرض ١٦ وفق اتفاق بوتسدام. . الاّ ان الخطر الذي شكله الصينيون فيما بعد كان يستند الى معرفتهم بحقيقة هوشي منه ومنظمته اكثر من الحلفاء، وبالتالي فإنهم سيحاولون منع قيام نظام شيوعي متحالف مع الشيوعيين الصينيين الذين ينازعون الكومنتانج سلطتهم، مهما حاول الزعيم الفيتنامي اخفاء حقيقة ملامحه ونواياه! وبالتالي فقد كان للمعارضة الفيتنامية الشمالية مهمتين من وجهة النظر الصينية:

الاولى: اداة للصين اذا مانجحت في الاطاحة بنظام هوشي منه وتشكيل حكومة جديدة.

الثانية: عملاء للصين اذا مااستمرت سلطة الفيت منه عبر الحكومات الائتلافية وفي مؤسسات الدولة وأجهزتها.

لذلك لم يكن غريباً ان تبدأ المعارضة الشمالية حملتها ضد حكومة هوشي منه المؤقتة وسياستها المعلنة فور دخول القوات الصينية المناطق الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، حيث اقامت سلطتها الادارية البديلة في تلك المناطق، وانطلقت الخطوة التالية في الحملة المعادية بعد ان تسربت اخبار المفاوضات السرية مما عزز «اتجاه مقاتلة الفرنسيين والتصدي لهم واقامة حكم ثوري مباشر عند الشيوعيين، لكنه بالنسبة

---

(٥) اثر فشل انتفاضة عام ١٩٣١، وقد انتخب كثالث امين عام للحزب عام ١٩٤٠ في واحدة من اصعب المراحل النضالية حيث تعزز تيار الكفاح المسلح وتقدمت مهمة التحرر الوطني لتتصدر المهمات الحزبية، وقد قاد لحملة الاصلاح الزراعي في اواسط الخمسينات ثم تولى رئاسة الجمعية الوطنية خلال الحرب ضد الامريكيين ثم اختير مرة اخرى امينا عاما للحزب بعد وفاة لي ذوان الى ان توفى في تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٨.

للمعـارضـة الشـمالية كانت فرصـة «للمزايدة» برفض المفاوضات مع الفرنسيين وعدم الحاجة اليهم والدعوة لمقاتلتهم بهدف اضعاف دور الفيت منه وتشكيك الجماهير وخلق بلبلة في العـاصمـة التي كانـوا (القـوميون والثوريون) قد سيطروا على بعض احيائها واقفلوا بعض شوارعها حكراً على نفوذهم اثر دخول القوات الصينية اليها.

تعهـد حكـومـة هوشي منـه باجـراء انتخـابات عامة خلال شهرين[٢٥] وسيطرة الفرنسيين على سايجون ومناطق جنوبية اخرى اعطت الاحزاب الشمالية فرصة لتصعيد حملتها على هوشي منه على اعتبار ان اجراء انتخابات في الشمال وحده يشكل عملاً غير قومي ولن يؤدي الى نتـائـج صحيحة. . امام هذا التصعيد لم يجد هوشي منه بدأ من قبـول «نصيحـة» القـائـد الصيني «تيوفـان»[٢٦] بتشكيل حكومة ثلاثية الأطراف تضم الحزبين القومي والثوري اضافة الى الفيت منه، وهكذا تم التوصل الى اول اتفاق مع المعارضة في ١٠/٢٥ الذي لم يعمر طويلا بسبب رفض الحزب القومي التوقيع عليه، بينـما انسحب الحـزب الثوري بعد ذلك، مما ترك الانطباع لدى هوشي منه ان ضربة صينية قادمـة، فحاول تحاشيها عن طريق اتفاق جديد ١١/١٩ لحكومة وحدة وطنية يكون فيها لكل حزب من الاربعة احزاب حقيبتين. . لكن هل اوقفت تلك التنازلات الحملة على حكومة هوشي منه؟

لقـد ثبت من التـطورات اللاحقة ان قبول هوشي منه بتقديم التنازلات أغرى المعارضة بالمزيد من التصلب بحجة المفاوضات مع الفرنسيين فانتشرت اعمال العنف والمظاهرات ـ التي شارك فيها هذه المرة كل القوى الاجتماعية المعادية للشيوعيين ـ ضد الشيوعيين المسـاومـين السلطويين وديكتـاتورية هوشي منه. وقد بلغت الحملة المعادية ذروتها بمحاولة اغتيال احد الزعماء الشيوعيين «تران جياو»[٢٧] واعتقال اثنين آخرين هما

---

(٢٥) صدر الاعـلان الخـاص بالانتخـابات في ٨/ ٩/ ١٩٤٥ ضمن الاجراءات العديدة التي اتخذها هوشي منه بعد الاستيلاء على السلطة مباشرة ليظهر للحلفاء طبيعة النظام الجديد، ومدى تمسكه بالقيم الديمقراطية.

(٢٦) تيـوفـان هو الجنرال الصيني الذي قاد الوحدات المركزية الصينية التي احتلت هانوي ثم اصبح مسؤولاً للشؤون السياسية لشمال فيتنام، وقد حاول هوشي منه استرضائه خلال اقامته في هانوي رغم الاستفـزازات الشخصيـة والاهانات العديدة التي ارتكبتها القوات الصينية، كما عمل هوشي منه على شراء عدد من ضباطه.

(٢٧) تران فان جياو Tran Van Giau كان احد الشيوعيين المتشددين وقد تحالف مؤقتا مع التروتسكيين في سايجـون حتى تولى رئـاسـة الجبهـة الـوطنيـة المتحدة التي تحولت الى اللجنة التنفيذية المؤقتة، وقد

جياب وكان وزيرا للداخلية وتران ليو وزير الدعاية، وقد مهد كل ذلك للاتفاق الثالث مع المعارضة ١٢/٢٢ حيث قدم هوشي منه ثلاثة تنازلات، اعطاء المعارضة سبعين مقعداً من البرلمان بصرف النظر عن نتائج الانتخابات، واعطاءها اربعة حقائب من اصل عشرة ويكون للمستقلين وزارتين بينما الاربعة الاخرى توزع بين الفيت منه والديمقراطيين، واخيرا استبعاد جياب وليو من الوزارة باعتبارهما متشددين ضد المعارضة.. وهكذا تولى هوشي منه رئاسة الحكومة التي أعلنت في اول ايام العام الجديد ١٩٤٦، بينما تولى نجوين ثان[٢٨] منصب نائب الرئيس فيها، واصبح ممكناً اجراء الانتخابات العامة التشريعية رغم التشويش والارباك الذي مارسه القوميون.

منذ الاسابيع الاولى في السنة الجديدة ترسخت لدى هوشي منه قناعة ـ بناء على تحليل ومعلومات ـ ان الصين لابد منسحبة وان الفرنسيين قادمون، وبالتالي فإن هناك امكانية لاستباق التطورات، والحصول على الاستقلال بالمفاوضات لا بالحرب، وهذا يتطلب تقديم بعض التنازلات للفرنسيين، على امل ايضا ان القوى اليسارية الفرنسية ستساعده كما ان القيادة العسكرية الفرنسية قد تفضل توفير حملة باهظة في الافراد والممتلكات لاخضاع الشمال.. لكن هذا التوجه كان له ثمنه الداخلي، فقد تصاعدت من جديد حملة القوميين والثوريين ضد «خيانته ومساومته على الاستقلال وشهوته للسلطة» كما جاء في اوراقها.. لكن المعارضين واجهوا موقفا صعبا عندما اتضح ان حُماتهم الصينيين انفسهم يجرون مفاوضات سرية مع الفرنسيين، لان انسحاب الصينيين من فيتنام كان سيكشف ظهورهم تماماً، فلجأوا الى تعميم شعاراتهم ضد «المفاوضات مع اي طرف» وفي ظل شعار «النصر او الموت» قاموا بسلسلة اعتداءات ضد الافراد والممتلكات الفرنسية، وفي هذا الشأن نجد المصادر الحكومية الفيتنامية

استخدم العنف في مواجهة التروتسكيين والمعارضة القومية والدينية في الجنوب فاستبدل بنجوين بنه في الشهر الاول عام ١٩٤٦ وعين ممثلاً لحكومة الثورة في بلدان جنوب شرق اسيا، اما تران هوي ليو Tran Huy Lieu فقد تسلم حقيبة الدعاية في اول حكومة للثورة ثم طالبت المعارضة باخراجه من حكومة الوحدة الوطنية باعتباره متشدداً وقد عرف عنه في الغرب بانه من الجناح الماوي المتشدد في قيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي.

(٢٨) نجوين هاي ثان Ng. Hui Than فيتنامي من اصول صينية تولى رئاسة الرابطة الثورية الفيتنامية التي تشكلت باشراف سلطات الكومنتانج في الاحزاب والتنظيمات المتواجدة في جنوب الصين ١٩٤٢، وقد عين هوشي منه مكانه بعد خروجه من السجن ضمن صفقة مع الصينيين. بعد طرده من حكومة هوشي منه الائتلافية قام مجدداً ١٩٤٧ بتشكيل تحالف جديد معاد للشيوعيين باسم الجبهة الوطنية المتحدة وكان مقره مدينة نانكين بجنوب الصين.

تقلل من جدية هذا التوجه لاعتقادها أن تلك الشعارات والممارسات كان هدفها دفع هوشي منه لاعلان موقف ضد المفاوضات الصينية ـ الفرنسية، وبالتالي الامتناع شخصيا عن التفاوض مع الفرنسيين مما يعطي الطرفين القويين الصيني والفرنسي فرصة ذهبية لاسقاط حكومة هوشي منه.

لكن احدا لم يستطع ان يفعل شيئاً امام المفاوضات الصينية ـ الفرنسية، مباحثات الجنرال سالان Salan ـ خليفة الجنرال السياندر في قيادة الشمال ـ اسفرت عن دخول بعض الوحدات الفرنسية عبر الاراضي الصينية الى «لاي تشاو» الفيتنامية، ومفاوضات ممثل الصين في الامم المتحدة مع نظيره الفرنسي، والمبعوث الفرنسي الخاص مع حكومة تشيانغ كاي شيك مهدت الطريق امام اتفاق ٢٨ / ٢[٢٩] الذي عجل فيه وصول الاشتراكيين الى السلطة في فرنسا ـ وفي تلك الاسابيع الاخيرة من الشهر الثاني عاش هوشي منه وضعاً صعباً للغاية، فهو لم يستطع ان ينتقد المفاوضات ولا الاتفاق الصيني ـ الفرنسي رغم انه على حساب الفيتناميين، ولم يستطع ان يقمع المعارضة الشمالية للمفاوضات رغم انها ذهبت الى حد مطالبة الامبراطور المخلوع بتشكيل حكومة وحدة وطنية بديلة لحكومة هوشي منه، ولم يرغب في توسيع المواجهة العسكرية مع الفرنسيين رغم انهم اكتسحوا مناطق جديدة.. وعلى العكس من كل ذلك ظل صامداً في سياسة المهادنة للمعارضة والتودد الى الصينيين والمرونة مع الفرنسيين، بل انه رفض التعليق السلبي على اتفاق ٢٨ / ٢ مؤكداً «ان الصينيين كانوا دوماً يتعاطفون مع الحركة القومية الفيتنامية»، وعندما عقد برلمانه الاول اعطى المعارضة اكثر مما تستحق في الحكومة البرلمانية الاولى، اربعة وزارات هامة (الخارجية والاقتصاد والزراعة والاجتماعية) بالاضافة الى نائب رئيس الحكومة[٣٠].

وهكذا ضمن هوشي منه وجود المعارضة في التشكيل السياسي الذي سيشرف على توقيع الاتفاقية (مع الفرنسيين) التي كانوا يعارضونها، بل ابعد من ذلك قام بتوريط

---

(٢٩) المعاهدة الصينية ـ الفرنسية كانت عبارة عن صفقة بين الجانبين تعهدت فرنسا بموجبها بتصفية ممتلكاتها في عدد من المقاطعات الصينية واعادة الاراضي الصينية التي احتلتها اثناء غزوها لشمال فيتنام ومنح بكين حق استخدام ميناء هايفونغ بحرية وشراء سكة حديد يونان وتحسين اوضاع الجالية الصينية في فيتنام.. كل ذلك مقابل الانسحاب الصيني من فيتنام.

(٣٠) المصدر: مذكرات الجنرال جياب بعنوان «ايام لا تنسى» ترجمة سهيلا منصور دار الكاتب بيروت ص٤٠٥

وكتاب Joseph Buttinger Vol. 11 P. 1240

المعارضة في التشكيل الذي سيقر الملاحق العسكرية الناظمة لدخول القوات الفرنسية الى فيتنـام بحيث تولى «فوخانه» من الحزب القومي نيابة هوشي منه في رئاسة المجلس العسكـري الاعـلى الـذي جرى تشكيله، وفي هذا الـوقت كان الصينيون للمفـارقة العجيبة يضغطون على هوشي منه للاسراع في التوقيع على الاتفاق مع الفرنسيين بحجة ان القـوات الفـرنسية اخـذت تتقدم للسيطرة على مناطق التواجد الصيني، وفي ذات الوقت كان الحزبان القومي والثوري يستعدان لتنفيذ آخر فصول المعارضة، فاعلنا عن توحيد قواتهـا واداراتها وتنسيق جهودهما وسياستهما، ثم استمالت المعارضة الامبراطور السابق ـ الذي يعمل مستشاراً لحكومة هوشي منه باسم فنه ثوي ـ وكلفته بالسفر الى الخارج للحصول على دعم اميركي وصيني للمعارضة.

ولم تكن تلك الخطوة سوى الاخيرة في عمـر المعـارضـة الشـمالية، فالعـوامل والاسباب التي دعت هوشي منه لتقديم تنازلاته السابقة لها لم تعد تشكل ضغطاً هاماً، والقـوات الصينية التي جثمت على صدر العـاصمـة والشـمال بدأت رحلة العـودة الى جنوب الصين، والاتفاق مع الفرنسيين أمّن لهوشي منه اعترافا بفريقه وحده ـ وهنا كان لابد من تصفية تلك المعارضة دون هواده:

وقد لوحظ ان التخلص من المعارضة الشمالية تم على ثلاثة أشكال:

الاول: رافق انسحاب القوات الصينية من هانوي والمقاطعات المحيطة بها وتم خلالهـا تصفية الادارات والقـوات التي كان المعـارضـون قد انشـأوهـا في ظل الحماية الصينية، واقيمت من جديد سلطة الفيت منه، وقد بررت حكومة هوشي منه اجراءاتها بإنهاء مثيري الشغب والمتاعب من الحزبين، مساهمة في تخفيف التوتر في العلاقات مع الفـرنسيين ولمنـع السلطات العسكـرية الفـرنسية من استخدام «الاعمال المعادية لهم» حجـة للتحـرك ضد حكـومة هوشي منه، وقد بلغت الحملة ضد «المخربين الرجعيين للاتفـاقية الفـرنسية ـ الفيتنـامية» اوجهـا بتشكيل وحـدات ودوريات فرنسية فيتنـامية لملاحقـة «اعـداء السـلام» والمحـافـظة على الامن العـام ومنـع مسلسـل العنف ضد الفرنسيين، وقد نجح هذا التحالف الجديد المؤقت بين الفرنسيين وحكومة هوشي منه في تصفية انصار الصين واعداء هوشي منه، ساهم الفرنسيون خلاله بالسلاح والذخيرة واحيانـا التـدخـل المباشر ـ حسب المصادر الغربية. . كما حدث في اقاليم لانغ سون وهايفونغ وهونغ يي، بحيث امكن تنظيف المناطق الشمالية من اثار المعارضة قبل نهاية العام.

الثاني: تصفية المعارضة سياسيا عن طريق احداث انشقاقات موالية للفيت منه

في صفوف احزاب المعارضة وقد تمت هذه الخطوة انطلاقاً من الشهر السابع حيث ظهر الى الـوجـود «حزب قومي» جديد، «ورابطة ثورية» جديدة متعاونتين مع الفيت منه، ومتحمستـين في التنـديد بالسياسـات الرجعية للقيادات السابقة، بل انهما اشرفا على اعتقـالات ومحـاكـمات للعديد من انصار الحزبين الذين قاموا بارتكاب «جرائم» ضد الجنود والمواطنين الفرنسيين في العاصمة.

الثـالث: عبر تأسيس تنظيم جبهوي جديد في مايو/ ايار ١٩٤٦ باسم الجبهة الوطنية الشعبية «لين فيت» ذات اطار اوسع من «الفيت منه» واستبعد من هذه الجبهة الـرجعيون «القـوميون» بينـما ضمت نجوين سوان وتشو فونغ من قادة الحزب القومي وبولوان من الرابطة الثورية، بينما لم يتبق من السبعين برلمانيا للمعارضة حتى نهاية العام سوى سبعة وثلاثين موالياً للسلطة.

وهكـذا اصبـح المسرح السياسي في شمال فيتنام مع بداية العام الجديد ١٩٤٧ مقتصراً على القـوى المؤيدة لهوشي منـه، جبهـة فيت منـه، وجبهـة لين فيت والحزب الـديمقـراطي ثم الحـزب الاشـتراكي الذي انشىء في تموز/ يوليو ١٩٤٦، بينما ظل الحـزب الشيوعي محلولاً من النـاحية الـرسمية منـذ اواخر ١٩٤٥ لتمكين القيادة من المناورة بشكل افعل على الصعيدين المحلي والخارجي، وهو مايسهل انضمام العديد من المجموعات الدينية والبوذية والعرقية الى الائتلاف الوطني الواسع.

ج: التروتسكيون والمعارضة الجنوبية:

في الساحة الجنوبية كانت ابرز التشكيلات السياسية لعام ١٩٤٥ الجبهة الوطنية المتحدة التي تضـم الجماعات الدينية السياسية الرئيسية (كاو داي، هوا هاو، داي فيت) اضـافـة الى بعض الـتروتسكيين، وقد قررت الجبهة في مؤتمر عقدته في اواسط الشهر الثـامن اثـر استسـلام اليابـان تولي ادارة الجنـوب بعـد استقـالة حكومة كيم العميلة لليابانيين[٣١]، لكن الجبهة تراجعت عن سلطتها بعد انكشاف السلطة الحقيقية للفيت منـه خلال الانتفـاضـة الشعبية في سايجـون وبـالتالي تسلمت اللجنة التنفيذية المؤقتة لجنـوب فيتنـام[٣٢] السلطة وكـان على رأسهـا تران جياو المسؤول الشيوعي الابـرز في

(٣١) حاول اليـابـانيـون بعـد انقـلابهم على الفـرنسيين في ١٩٤٥/٣/٩ دغدغة مشاعر الفيتناميين بالحديث عن فيتنام الحرة. وقاموا بتشكيل حكومة موالية لهم مقرها في هوي Hue في ٤/١٧ برئاسة تران ترونغ كيم لكنها لم تعمر طويلاً ازاء تسارع الاحداث فاستقالت يوم ضرب هيروشيما في ٨/٧.

(٣٢) اللجنة التنفيذية المؤقتة برئاسة تران جياو كان سبعة من أعضائها التسعة من الشيوعيين فجرى

سايجون، وفي المقابل تحولت الجبهة الوطنية المتحدة ومعها مزيد من التروتسكيين وحزب بنه سوين Binh Xuyen الى المعارضة.

كانت المفاوضات السرية مع الفرنسيين هي القضية التي فجرت العلاقة بين الطرفين منذ الايام الاولى للسلطة الوليدة، فقد اخذت المعارضة على اللجنة التنفيذية اجتماعها مع الفرنسي سيدل بترتيب الشيوعيين الفرنسيين المحليين، واخذت عليها ثانياً ترحيبها المبالغ فيه بالبعثة البريطانية ثم بالقوات البريطانية التي حضرت الى المدينة للاشراف على استسلام القوات اليابانية، لكن اللجنة التنفيذية كانت تتصرف وبتعليمات مركزية من هانوي بهدف:

- محاولة التوصل الى تسوية مع الفرنسيين عبر بعثة الحلفاء تتضمن اعترافا فرنسيا بنوع من الاستقلال لفيتنام.
- الظهور بمظهر وطني عام، غير شيوعي، بالتعرض فقط للعملاء الفيتناميين والرجعيين في الادارات الفرنسية من افراد الجالية الاسيو- فرنسية.
- تجنب مصادرة او تدمير او التعرض للممتلكات الفرنسية اياً كان نوعها. .

وقد جرت عليها هذه السياسة غضب المعارضة التي اعتبرتها «خيانية» وقد اعطى دفعاً للمعارضة الجنوبية الاجراءات المعادية للفيتناميين في سايجون والارباك الجماهيري الناجم عن التعارض بين التعليمات المركزية والشعارات الثورية. وقد ازدادت العلاقة توتراً بين اللجنة والمعارضة عندما استنكر جياو التخريب الذي الحقته الجماهير الغاضبة بالممتلكات الفرنسية وعندما اطلق مسؤول الشرطة الفيتنامي سراح المعتقلين الفرنسيين نتيجة احداث يوم المسيرة وتصاعد التوتر عندما قامت الفيت منه بمهاجمة التروتسكيين واغلاق مكاتبهم واعتقال زعمائهم الذين طالبوا بعدم السماح لقوات الحلفاء (بريطانية او فرنسية) بالنزول الى البر الفيتنامي، ومنعت التنظيمات الاخرى من استخدام اسلحتها او صحافتها لمهاجمة الفرنسيين. . ورغم كل ذلك الفضل، فان موقف الفرنسيين لم يتغير كثيراً، حتى ان قسماً كبيراً منهم اعتبر ان ماجرى كله لايبرر التعاون مع الفيت منه التي اعتبرها بعضهم اخطر من المتطرفين لانها تحاول تهدئة «التوجهات المصممة» في باريس، والنتيجة انه رغم كل بادرات حسن النوايا، فان الفرنسيين الجنوبيين لم يحترموا الفيت منه كحكومة معتدلة بل ظلوا في الاغلب ينظرون اليها كمجموعات عصابات محلية.

(*) توسيع اطارها القيادي في ١٠/ ٩ ليشمل عدد من التنظيمات السياسية غير الشيوعية وتولي رئاستها شخص آخر مستقل!

وقد ادى فشل الجهود الدبلوماسية الجنوبية وسلسلة الارباكات والحملات التي شهدتها المدينة، الى اعادة النظر في القيادة، فاعيد تشكيل اللجنة التنفيذية المؤقتة. وتوسيعها وتطعيمها ببعض القوميين والبوذيين والتروتسكين، وحل فان باك في قيادتها مكان جياو.

المعارضة التروتسكية، اعتبرت هذا التطور تعزيزاً لوجهة نظرها السابقة القائلة بضرورة توفير شرطين لنجاح الثورة في الجنوب، اولهما عدم السماح لقوات الحلفاء بالوصول الى الارض واعتماد الكفاح المسلح لمحاربة القوات الاجنبية الموجودة. وثانيهما تطبيق برنامج الثورة داخل المجتمع الفيتنامي بالاستيلاء على المواقع والممتلكات الاقتصادية الفرنسية ومصادرة الاقطاعيات وتقسيم الاراضي على الفلاحين مع تدريب الجماهير وتنظيمها وتسليحها الفوري للدفاع عن الثورة.

وقد كررت المعارضة تحذيراتها من الاعتماد على وعود الحلفاء لان مهمتهم ستكون مساعدة الفرنسيين على تقوية اوضاعهم العسكرية، واعتبروا ان سلوك هذا الطريق يشكل خيانة للثورة.

لكن التطورات المتسارعة في الساحة الجنوبية لم تسمح للمعارضة بمزيد من الحركة لتعزيز وجهة نظرها، ولم تترك الايام التالية على تشكيل اللجنة الجديدة اي مجال للصراع بين التيارين او الخطين داخل الحركة الوطنية، فقد بدأ الفرنسيون حملتهم العسكرية الكبرى (بعد اسبوعين) بهدف اخضاع الجنوب بأسره انطلاقا من سايجون، واصبح الاشتباك المسلح مع الفرنسيين هو السمة الرئيسة للعلاقات الفيتنامية ـ الفرنسية في المناطق الجنوبية.

رابعاً: قيادة نهج التسوية

أ ـ هوشي منه يقود المفاوضات:

تحدثنا سابقا عن المرحلة الاولى من الاتصالات بين الفيتناميين والفرنسيين والتي شملت الشمال والجنوب، وشارك فيها من الفيتناميين هوشي منه، جياب، جيام، ومن الفرنسيين سانتيني، اليسندر، بينون، سيدل، وفي تلك المرحلة تمترس كل جانب وراء موقفه الحقيقي المتشدد رغم المماطلات والتكتيكات التي لم تستمر طويلا، فالفيتناميون يريدون اعترافا فرنسيا بانهم السلطة الشرعية في البلاد والفرنسيون يريدون اعترافا فيتناميا بسلطة ادارتهم وجيوشهم كاسياد للهند الصينية، وقد انهى الجنرال لاكليرك

المرحلة الاولى من المفاوضات بحملته العسكرية الزاحفة شمالاً والتي استحضرت الحل العسكري والمواجهة المؤجلة.

اما المرحلة الثانية فقد ترافقت مع تبخر اوهام هوشي منه التي علقها على الحلفاء خاصة الاميركيين بامكانية تثبيت سلطته او الاعتراف بها، ومع اقتراب «الحقيقة المرة» القائلة بان فرنسا ـ ولا احد غير الفرنسيين ـ سيكون صاحب القرار في مواجهة الشأن الفيتنامي، وهنا كان على الزعيم الفيتنامي ان يحسم امره بين خيارين لا ثالث لهما، اما القبول بالواقع الجديد ـ الفرنسيين القادمين بقواتهم ـ والتفاوض معهم على شروط تحفظ لحكومته الحد المعقول من الاستقلالية، او اللجوء الى البندقية ـ المقاومة الشعبية المسلحة ـ ضد الفرنسيين الزاحفين من الجنوب والبحر والشمال، لقد كان الهامش المتروك للمناورة محدوداً جداً، والتجربة في التسويف والمماطلة لم تكن مشجعة كثيراً، ومع ذلك فقد اختار هوشي منه طريق المفاوضات.

الجولة التالية من المفاوضات اصطدمت باصرار الفيتناميين على مسألتين، الاستقلال الوطني والوحدة الوطنية، وباصرار الفرنسيين على السياسة التي كان قد أعلنها ديجول (ربيع ١٩٤٥) والقائلة بان فيتنام تضم ثلاث دويلات الى جانب لاوس وكمبوديا حيث تشكل الخمسة دويلات فيدرالية الهند الصينية الفرنسية على ان يكون لكل دويلة ادارتها الخاصة.

وقد بلورت الادارة الفرنسية خطة «الفدرلة»[٣٣] على الشكل التالي:

ـ انشاء مجلس فيدرالي لكل الهند الصينية يضم اكثرية محلية ويقدم المشورة للحاكم الفرنسي العام.

ـ منح الدويلات التابعة المزيد من الاستقلالية بحيث تتشكل الشخصية الخاصة بكل ولاية.

ـ اعادة سلطة الامبراطور ـ حيث كانت ـ لكن على اساس شرفي!

وقد لوحظ ان المفاوض الفيتنامي عندما كان يتشدد في رفضه لخطة العودة الفرنسية، كان يعرف ان الاوراق بيديه قليلة طالما ان الحل العسكري آخر الحلول المطروحة، وبالتالي كان موقفه يضعف تدريجياً، بينما كان المفاوض الفرنسي محكوماً بالحاجة الى الوقت الكافي لحشد القوات الكافية لاجتثاث السلطة الفيتنامية واعادة

---

(٣٣) الفدرلة Federalization هي طريقة السلطة الفرنسية في السيطرة على بلدان الهند الصينية قام بتطبيقها الحاكم العام ديكو Decoux (١٩٤٠ ـ ١٩٤٥) وقد حاز على اعجاب ومباركة المستوطنين الفرنسيين في الهند الصينية الذين عارضوا بشدة سياسة سلفه القاضية ببعض الحريات الديمقراطية.

السيطرة على الشمال كلية، خاصة بعدما تكبدت قواته في الجنوب كثيرا من الخسائر البشرية والحربية، كما كان المفاوض الفرنسي ايضا يضع في حسابه مصير المواطنين والعاملين الفرنسيين (٢٥ الف) وممتلكاتهم التي ستكون تحت رحمة الفيت منه في اية مواجهة عسكرية، ومع ذلك طرح الفرنسيون على المفاوض الفيتنامي احد حلين، اما دخول فيتنام «المستقلة» الاتحاد الفرنسي او الوحدة الفرنسية او دخولها اتحاداً للهند الصينية يقام خصيصاً كمخرج من المأزق التفاوضي، وقد ساعد وصول حكومة اشتراكية الى السلطة في باريس في طرح مواقف اقل تصلباً، واصبح سانتيني في هانوي اكثر قدرة، على التعامل بمرونة مع المسألة الفيتنامية في ظل وجود لاكليرك في سايجون، مكان دارجنلو الذي استدعي الى باريس، وهكذا امكن التوصل الى اتفاق مبدأي مع هوشي منه الذي اختار الحل الاول، عضوية الاتحاد الفرنسي مشترطاً الا يعني ذلك الغاء استقلال فيتنام، وفي الوقت الذي ارسل المشروع الى باريس لاقراره كان الزعيم الفيتنامي يبحث عن طريقة لمواجهة شعبه بالحقيقة التي لايعرفها الا بعض كبار القادة، وهي ان الاستقلال الوطني الموعود تحول في الاتفاق الجديد الى مجرد سلطة وطنية غير كاملة، والسيادة القومية المقدسة ستنتهك بقوات فرنسية سمح لها بالمرابطة في فيتنام، ووحدة البلاد (شمالها وجنوبها) مسألة مؤجلة كما نص احد البنود المتفق عليها.

ب ـ اتفاقية اذار/ مارس: دولة بلا سيادة:

عندما جاءت الموافقة الفرنسية من حيث المبدأ على الاعتراف بشرعية حكومة فيتنامية مستقلة في شباط/ فبراير اصدرت القيادة الفيتنامية بيانها الى الامة (٢٦/٢) ركزت فيه على الجزء المتعلق بفيتنام «المستقلة» ادارة ومالية وجيشاً ضمن الاتحاد الفرنسي باعتباره انجازاً تاريخيا، بل الح الفيتناميون على بعثة الفاتيكان للانتقال من العاصمة الملكية «هوي» الى العاصمة المركزية السياسية «هانوي» للدولة المستقلة، لكن الفرنسيين لم يهتموا كثيرا بمشاعر هوشي منه الاستقلالية فتحرك اسطولهم (٣/٤) نحو هايفونغ الشمالية مما دفع القيادة الفيتنامية الى تقديم تنازلات جديدة كي لايتراجع الفرنسيون عن استعدادهم التسووي السلمي ولكي يمكن انقاذ السلام المهدد، وهكذا اتفق في اليوم التالي (٣/٥) على، استبدال كلمة «سيادة كاملة» بكلمة «حرة» توصيفاً لفيتنام، وعلى ان دخول فيتنام الاتحاد الخاص بالهند الصينية لايتعارض مع مبادىء الفيت منه لكن اصرار المفاوض الفرنسي على دخول الجنوب الفيتنامي الى الاتحاد كبلد مستقل ازعج هوشي منه الذي رفض التوقيع على الاتفاق، لكن هذا

الرفض لم يدم طويلا نتيجة الضغط العسكري على هايفونغ الذي قام به الجنرال فالو، فاقيمت حفلة بسيطة للتوقيع على الاتفاق بوجود مندوبين اميركيين وبريطانيين وصينيين وشيوعيين فرنسيين، الفيتناميون مثلهم هوشي منه، فو خانه، هونغ جيام، والفرنسيون سانتيني وبينون وسالان. القيادة الفيتنامية ذكرت للاتفاق اربعة بنود رئيسة:

١ ـ اعتراف فرنسا بجمهورية فيتنام الديمقراطية دولة حرة لها حكومتها الخاصة وبرلمانها وجيشها وماليتها ضمن اتحاد الهند الصينية والاتحاد الفرنسي.

٢ ـ تعهد الحكومة الفرنسية بالاعتراف بنتائج الاستفتاء الشعبي حول مسألة مستقبل الاجزاء الفيتنامية الثلاث.

٣ ـ موافقة فيتنام على استقبال ١٥ الف جندي فرنسي لتقوم بمهمات القوات الصينية على ان تنسحب القوات كلها خلال وقت محدد.

٤ ـ موافقة الطرفين على وقف اطلاق النار تمهيدا لبدء مفاوضات رسمية، مع بقاء قوات الجانبين في مواقعها اثناء تلك المفاوضات.

وتحدث الفيتناميون عن تنازلات الفرنسيين على النحو التالي:

ـ ان الفرنسيين كانوا يصرون سابقا على الاعتراف بفيتنام كدولة «مستقلة» فقط اما الآن فقد اعترفوا بفيتنام دولة «مستقلة حرة».

ـ ان الفرنسيين كانوا يصرون على ابقاء الجنوب «كوشين شينا» مستقلة اما الآن فإنهم سيقبلون بنتائج الاستفتاء الشعبي القادم.

ـ ان الاتفاقية هي اول اتفاقية دولية توقعها جمهورية فيتنام الديمقراطية مع دولة اجنبية.

ـ ان الاتفاقية ادخلت الى فيتنام ١٥ الف جندي فرنسي لفترة محدودة من اجل التخلص من ١٨٠ الف جندي صيني يقيمون لفترة غير محدودة.

ومع ذلك فإننا نعثر في مذكرات الجنرال جياب على مايفيد بان الرئيس نفسه كان يتألم من حقيقة الاتفاق، عندما اعرب هوشي منه للوفد الفرنسي بعد التوقيع مباشرة عن قناعته بان الاستقلال لم يتحقق بعد «لسنا راضين تماما بعد، لاننا لم نحرز الاستقلال التام، لكننا سوف نحققه»، اما المواطنون الفيتناميون فانهم رغم تبريرات القيادة «بالخوف من اتفاق صيني فرنسي ضد فيتنام ومن ضربات قاسية لتصفية الثورة» فقد استقبلوا اخبار الاتفاق بالذهول والبرود مما استدعى حملة واسعة لشرح فوائد الاتفاق ومزاياه ليس فقط للجماهير الواسعة بل ايضا للمسؤولين والكادرات التي توقفت امام بعض بنوده!

ففي مهرجان مركزي اقيم في اليوم التالي لتوقيع الإتفاق صارح جياب مائة الف مواطن بان الاتفـاق ليس اكثـر من بداية الـطريق الـطويل نحـو الاستقـلال التـام، واستشهد كما المسؤولين الآخرين بصلح بريست الذي اقدمت عليه روسيا ١٩١٨ مع الالمـان، وحـاول فام فان ذونغ باسم الفيت منه ان يحث الجماهير وقواها الوطنية على الوحدة والالتفاف حول الحكومة الائتلافية لانها حكومة المقاومة! اما هوشي منه فكان وضعه مختلفاً في مواجهة الجماهير، فالبعض كان يهتف بسقوط حكومته والبعض الآخر يصفـه بالخـائن شريك الفـرنسيين، لكنـه وبـطريقته الخاصة استطاع ان يسيطر على مشاعر الناس المحتشدين بكلمات بسيطة ومنطق مباشر «لماذا علينا ان نضحي بخمسين او مائة الف رجل من شبابنا من اجل الحصول على الاستقلال، هذا اذا حصلنا عليه بالقوة، بينما نستطيع الحصول عليه في محادثات سلام واتفاقيات هدنة»، واكد الزعيم الفيتنـامي ان المسـألـة هي مسألة وقت، فلماذا العجلة؟ لماذا التهور؟ وخاطب عاطفة الجمهور «زهرة شبابي ضاعت. . وانتم تعرفون في اعماقكم انني لا يمكن ان ابيع بلدي او ابيعكم. . وانني اقسم لكم انني لم ابيعكم»[٣٤] ولحظتها ـ كما قال بعض الحضور ـ بدأت دمـوع الجماهير وقائدها تنهمر. بعد ذلك توسعت الجهود الرامية لشرح الاتفاق وتصـويره على انـه ضربـة للرجعية الفـرنسية التي ستقاومه، وانه لابد من تعزيز الثقة بالاصدقاء الفرنسيين الذين يؤمنون بالعدالة والديمقراطية لكن في المقابل حرص هوشي منـه في اجتـماعـاته مع الكادرات السياسية والعسكرية المتقدمة ان يشرح لهم اسباب توقيع الاتفـاق وضرورة الاستفـادة من الفرصة لتعزيز القوات المسلحة والمحافظة على روح المقاومة لمواجهة كافة الاحتمالات القادمة!

على الجبهة المقابلة كانت الادارة الاستعمارية في الهند الصينية قد انقسمت تجاه الاتفاقية بين مؤيد ومعارض وان كانت اهداف الاتجاهين متفقة بينما الاختلاف حول طريقة اعادة الاستعمار الفرنسي أي أن الخلاف حول التكتيك المتبع.

الاتجاه المعارض عبر عنه دائماً الادميرال دارجنلو المفوض العام الذي وقف ضد اي تنازل فرنسي للفيتناميين مؤكداً ان «المهمة المقدسة لفرنسا في فيتنام هي اعادة النظام والامن» زاعـماً ان المصـالـح المادية والمالية ليست هي التي تحرك العودة الفرنسية لكن الاهداف الانسانية!

---

(٣٤) المصدر . Ho chi Minh: Selected Writings P.66 Foreign Publishing House Hanoi 1977

Joseph Buttinger Vol. I P. 395

اما الاتجاه الآخر فقد عبر عنه الجنرال لاكليرك القائد العام للقوات الفرنسية الذي لم يتوقف ـ رغم ذلك ـ عن تحريض جنوده على «القتال من اجل استعادة عظمة فرنسا» وعن ابلاغ هوشي منه «لقد اصبحنا الفيتناميون والفرنسيون الآن اصدقاء». انتقد دارجنلو الاتفاقية بعد توقيعها مباشرة وعارضها كما ان سيدل المفوض السامي للجنوب اعتبر الاتفاقية مجرد ترتيبات اقليمية بين حكومة هانوي الشمالية والمفوض الفرنسي لتونكين وشمال آنام، وأكد ان «كوشين شينا» ستظل دولة مستقلة في اطار الهند الصينية.

هذا على ساحة الهند الصينية، اما الموقف في المركز فقد كان ايضا غير منسجم، فالحكومة الفرنسية صادقت على الاتفاقية في ٣/٩ باعتبارها اتفاقية تمهيدية، بينما وزيرها لما وراء البحار «موتيه» سارع بعد اسبوع لتبني وجهة نظر رفاقه في سايجون في ان «كوشين شينا ستتمتع باستقلالها كما الشمال»، وبالفعل بدأت خطوات في هذا الاتجاه ابرزها:

ـ تحويل المجلس الاستشاري لكوشين شينا ـ الذي انشىء في ٢/٤ ومعظم اعضائه من الفرنسيين ـ من وضعه الاستشاري ليكون الناطق الرسمي باسم شعب كوشين شينا.

ـ قيام اعضاء المجلس المذكور في ٣/٢٦ بالمطالبة بتشكيل حكومة ذاتية مؤقتة، تدير شؤون الدولة الجنوبية.

ـ جرى تسيير بعض المتظاهرين، ومعظمهم فرنسيون وفيتناميون اغنياء، يهتفون وينادون بان «كوشين شينا لابناء كوشين شينا».

وعلى الجبهة العسكرية طالبت قوات لاكليرك الفيتناميين في مناطق الجنوب وجنوب الوسط بتسليم اسلحتهم، ثم استأنفت قوات فرنسية هجماتها في عدة مناطق مما اسفر عن التهاب المعارك بين الجانبين تبع ذلك صدور اوامر قيادية فرنسية الى قواتها في الشمال بالتحرك دون اذن مسبق من السلطات الفيتنامية، وتتوج ذلك التصعيد بدخول قوات فرنسية الى العاصمة مع اسلحتها وتجهيزاتها، الامر الذي واجهه هوشي منه بهدوء واتزان طالبا الى رفاقه ضبط النفس، وقام باظهار مزيد من التودد الى الفرنسيين عندما اتفق مع لاكليرك على تنظيم عرض عسكري مشترك للقوات النظامية من الجانبين في قلب العاصمة، على امل ان يدفع الفرنسيين الى الدخول في المفاوضات الموعودة.

في مرحلة مابعد اتفاق اذار مارس امكن تنظيم لقاء فيتنامي فرنسي على ظهر السفينة الحربية Bertin في ٣/٢٣ اشترك فيه الى جانب هوشي منه جيام وتام والى جانب

دارجنلو، سانتيني، اراد منه الادميرال استعراضا للقوة البحرية والمدفعية الفرنسية من الجانب العسكري، وابلاغ الفيتناميين ان فرنسا صاحبة السلطة من الجانب السياسي، اما الفيتناميون فقد ارادوا ابلاغ الفرنسيين انهم نفذوا كل مايخصهم من الاتفاقية بدقة وان على الفرنسيين ان يظهروا استجابة مخلصة في المقابل، كما حاول هوشي منه استعجال المفاوضات الرسمية في باريس بينما حاول المفوض الفرنسي المماطلة والتأجيل بحجة ان السلطات المركزية غير مطلعة على الوضع تماماً، واقترح ان تجري مفاوضات تمهيدية في «دالات» بوسط فيتنام حيث انها ستكون العاصمة المركزية لاتحاد الهند الصينية! وبالنتيجة اتفق الجانبان على:

- عقد مباحثات تمهيدية بين وفدين (من هانوي ومن باريس) في دالات في منتصف نيسان/ ابريل.
- قيام وفد برلماني فيتنامي في ذات الوقت بزيارة ودية الى الجمعية الوطنية الفرنسية.
- مباشرة مفاوضات رسمية بين الحكومتين في باريس في نهاية ايار/ مايو.

فما الذي تحقق في هذه الترتيبات؟

بعد مغادرة لاكليرك في اواخر اذار/ مارس عين الجنرال فالو قائداً للقوات الشمالية، فانطلقت سلسلة احتلالات واستفزازات فرنسية داخل العاصمة قابلها الفيتناميون بمذكرة احتجاج رسمية «على انتهاك سيادة الدولة» ثم اضراب عام لمدة يوم. . لا اكثر. بعد مفاوضات عسكرية بين الجانبين في اوائل ابريل/ نيسان اعلن عن الاتفاق على تشكيل لجان ارتباط وانضباط مشتركة ولجان هدنة في جنوب الوسط، الا ان الاتفاق ظل حبرا على ورق واستمرت الانتهاكات الفرنسية العسكرية لسيادة الدولة التي يصادر الفرنسيون صلاحياتها يومياً.

ج: مؤتمر دالات: دولة بلا صلاحيات: [٣٥]

الوفد الفيتنامي الى محادثات دالات المتفق عليها سابقا تم تشكيله برئاسة نجوين تام ونائبه جياب والوفد الفرنسي برئاسة ماكس اندريه، وقد استغرقت من ١٨/٤ حتى ١٠/٥ حاول خلالها دارجنلو ان يفرض سلطته العليا على الوفدين باعتباره «عمدة»

---

(٣٥) دالات Dalat

مدينة فيتنامية جميلة، تقع على المرتفعات الوسطى لفيتنام الجنوبية، اتخذها الفرنسيون ثم الامريكيون منتجعاً خاصاً بكبار ضيوفهم ومسؤوليهم وضباطهم.

الهند الصينية. الاّ ان الوفد الفيتنامي رفض تلك السلطة، وسارت الامور على النحو التالي:
ـ الوفد الفيتنامي كان يهدف الى بحث قضية مستقبل الجنوب اضافة الى وقف اطلاق النـار. بينـما الـوفـد الفـرنسي يمانـع في بحث هاتين القضيتين باعتبارهما خارج نطاق صلاحياته ويركز على مستقبل العلاقات بين الطرفين.
ـ الوفد الفيتنامي كان يرى ان فيتنام دولة حرة، وان مهمة اللجان الاقتصادية والثقافية والسياسية هي تحديد مهـمات اتحـاد الهنـد الصينية التي لاتتجـاوز السمـة الاقتصادية كالتنسيق في الرسوم الجمركية والاعمال الاقتصادية والاشغال العامة بين دول الاتحاد، وبـذلك لايشكل اي مساس بالحقوق السياسية للدولة الفيتنامية، بينما الوفد الفرنسي كان يرى ان مهمـة الاتحـاد تشمل تشريع القوانين والتجارة الخارجية والشؤون المالية والمـواصلات والاتصالات والخدمات العامة والبحوث والعلوم والهجرة، وكذلك اقامة والاشراف على المراكز الثقافية ونشر اللغة الفرنسية كلغة رسمية ثانية في دول الاتحاد.
ـ الفيتناميون كانوا يطالبون بالغاء منصب المفوض العام (الحاكم العام للهند الصينية) وتحويله الى موظف دبلوماسي فرنسي، بينما اصر الفرنسيون على ان يكون المفوض العام ممثلا للاتحاد الفرنسي ورئيساً لاتحاد الهند الصينية في ذات الوقت.
ـ وفي الجانب التمثيلي طالب الفيتناميون بان يكون لهم سفير في باريس يقابله المندوب السـامي في هانـوي ممثـلا لفرنسا في فيتنام، وان يكون لهم حق تعيين سفراء في بلاد الاتحاد الفرنسي والبلدان الاجنبية الاخرى، بينما اصر الفرنسيون على ان يكون هناك ممثـل لفرنسا في فيتنام يعينه المندوب السامي، وعلى ان يقتصر تمثيل فيتنام في البلدان الاجنبية على ممثلي الاتحاد الفرنسي.
ـ وفي الـوقت الـذي كان الجانب الفيتنامي يعتبر الجنوب جزءاً من فيتنام، وان مسألة الاستفتاء تعني فقط تخيير الناس بين ان يظل الجنوب اقليماً متميزاً داخل فيتنام الموحدة او ان يندمج كلية في الوطن، كان الفرنسيون يطالبون باجراء استفتاء في كل الاقاليم الثلاثة حول السيادة لمن تكون؟ وهل سيادة فيتنام ستشمل الجنوب؟

وهكذا نرى ان البون كان شاسعاً بين مايقدمه الفرنسيون على مائدة المفاوضات وبـين مايطمح اليه الفيتناميون، فوجد الوفد الفيتنامي ان كل المباحثات في دالات لم تؤدي سوى الى الفشل فاعلن انسحابه منها.

لقد اتفق عدد من المراقبين الاجانب على ان مؤتمر دالات في تلك الفترة شكل نقـطة تحول هامـة في تاريخ جياب الـذي قرر ان يطلق اوهـام التسوية السياسية عبر

المفاوضات، لصالح التركيز على الاستعداد للحسم العسكري، وانه اعتبارا من ذلك التاريخ قاد التيار المتطرف داخل الحركة الثورية الفيتنامية، واذا عدنا الى مذكرات جياب عن تلك المرحلة «ايام لاتنسى» نجده يسجل امام الوفد الفرنسي «ان المقاتلين الفيتناميين الذين عانوا مشقات لاتحصى في نضالهم من اجل الحرية لامتهم يمكن ان يقبلوا السلام بعدالة وشرف فقط. . انني اؤكد لكم باسم هذه الامة التي تشربت بالعمل والنضال الاف السنين، انه طالما نام بو (الجنوب) منفصلة عن فيتنام، فإن كل فيتنامي سيقاتل بكل عزمه حتى يعيدها الى حضن الوطن، واذا لم يجد صوتنا اي صدى، ولم تحترم الاتفاقية، فلسنا مسؤولين عما يمكن ان يحدث فيما بعد، وسيثبت التاريخ صدق كلماتنا. . .»

وحول الاثر الذي تركته تلك المحادثات عليه يقول جياب: ان حقيقة قد تأكدت لنا وهي ان النشاط الدبلوماسي في النضال العادل من اجل الاستقلال والحرية لأي بلد يعتمد بصورة ثابتة على قوة الشعب. . يجب على شعبنا ان يكون قويا، وعلى وطننا ان يكون قويا، ومن هناك تنبع النشاطات الدبلوماسية. .

د ـ مفاوضات باريس: دولة بلا جنوب

اما الزيارة الاولى المقررة للوفد البرلماني الفيتنامي برئاسة فام فان دونغ الى الجمعية الوطنية الفرنسية، ورغم انها بعثة صداقة الى الشعب الفرنسي الاّ ان القيادة الفرنسية للهند الصينية عمدت الى افقادها مضمونها السياسي الرمزي، فشكلت وفدا آخر يمثل الجنوب «كوشين شينا» برئاسة نجوين سوان لزيارة باريس واطلاع المسؤولين الفرنسيين على مطالب الجنوبيين من الاستقلال الذاتي.

وعندما جاء موعد الزيارة الثانية المقررة كزيارة وفد حكومي رسمية حاول دارجنلو تأجيلها بشتى الوسائل، الاّ ان هوشي منه اصر عليها، بل اصر على ان يرافق شخصياً الوفد الذي يرأسه فام فان دونغ ويضم في عضويته فان آن، تابوي، نجوين هوين، تران بنه، وابقى جياب للسيطرة على الوضع الداخلي والعسكري وكلف هينه خانغ برئاسة الحكومة بالنيابة اثناء غياب الوفد، ولم يكن الوفد قد وصل الى الهند في طريقه الطويلة الى باريس حتى رد عليهم دارجنلو باعلان تشكيل حكومة مؤقتة لجمهورية كوشين شينا برئاسة ثينه، ثم بتوقيع اتفاقية مماثلة لاتفاقية اذار/ مارس ـ معها تعترف فرنسا بموجبها بالجنوب دولة مستقلة لها حكومتها الخاصة وبرلمانها وجيشها وماليتها وتشكل جزءاً من اتحاد الهند الصينية والاتحاد الفرنسي.

ولم تكن تلك الصدمة الوحيدة لهوشي منه بل كانت الاولى، وحلّت الثانية

بسرعة عندما لم تهبط طائرته في العاصمة بل في بياريتز Biarritz حيث كان في انتظاره سانتيني الذي ابلغه ان كبار المسؤولين الفرنسيين مشغولون بمعركة تشكيل الحكومة الجديدة، وبالتالي لا امكانية لاستقبال الرئيس بشكل لائق بينما الوفد الحكومي يستطيع ان يكمل طريقه الى باريس.

في تلك الفترة كان الزعيم الفيتنامي يعول كثيراً على القوى الديمقراطية الفرنسية للمساعدة في تحقيق شروط افضل لاستقلال بلاده كما ذكرنا، لكن التغيير الاخير في السلطة وتولي حكومة جورج بيدو (من حركة الجمهورية الشعبية) بدل الحكومة الاشتراكية، اضافة الى عدم الوفاق بين الاشتراكيين والشيوعيين، وزيادة اعتماد فرنسا على المساعدة الاميركية، وتضاعف نفوذ اليمين، عززَّ الاتجاه المتشدد في الادارة الفرنسية تجاه المستعمرات بما لايسمح لشعوبها بممارسة حقها في تقرير المصير بدعوى ان ذلك سيؤدي الى الفوضى ويفتح المجال امام سيطرة الشيوعيين على تلك المستعمرات! كل ذلك جعل طريق هوشي منه ليست مفروشة بالورود رغم المراسم البرتوكولية والمجاملات الشكلية التي وفرها له الفرنسيون في الايام التالية، وقد كان صعباً على الرجل ان يتجاهل معنى بعض الاشارات الفرنسية، كإرسال الوزير لما وراء البحار المتشدد موتيه لاصطحابه، وكتأخير استقباله رسميا بعد وصوله الى العاصمة بعشرة ايام رغم تصريحاته الودية جداً عند وصوله المطار!

نعود الى المفاوضات الرسمية بين الوفدين الحكوميين التي بدأت في ١٩٤٦/٧/٦ في قاعات «فونتين بلو» والتي لم تكن اقل صعوبة من مفاوضات دالات، فقد لجأ الوفد الفرنسي الذي يرئسه ماكس اندريه ويضم (مسمير، بينون، توريل، جوفون، بارجو، سالان) الى الحديث العام، في قضايا عامة متجنباً اتاحة الفرصة للوصول الى اتفاق حول اي من القضايا المطروحة على جدول الاعمال والتي تشمل، وضع فيتنام في الاتحاد الفرنسي وعلاقاتها الخارجية، اعادة توحيد الاجزاء الثلاثة عن طريق المفاوضات والاستفتاء، وضع مسودة الاتفاقية الفرنسية الفيتنامية الرسمية.

اما الوفد الفيتنامي فقد قدم عرضاً جريئا للمشكلة القائمة، وذكَّر ـ على لسان رئيس الوفد دونغ ـ بخيانة حكومة فيشي الفرنسية وقيام الشعب الفيتنامي بثورته التي قادت الى تأسيس الجمهورية، وكيف تعرضت بدورها لاعتداء الحملة العسكرية الفرنسية التي لم تحترم اتفاقية اذار ـ مارس التمهيدية، وطالب رئيس الوفد الفيتنامي الحكومة الفرنسية بتنفيذ الاتفاق من جانبها ووقف اطلاق النار والكف عن الاعمال العدوانية ضد الشعب الفيتنامي واحتلال اراضيه، كما ندد بشدة بمؤامرة تقسيم فيتنام

واعلان جمهورية الجنوب.

وبينما كان الوفد الفرنسي يراوغ في المسائل المتعلقة بوقف اطلاق النار، والاستفتاء وموعده وشروطه وصلاحيات الحكومة الفيدرالية، قام هوشي منه بخطوة شخصية لتعزيز موقف وفده المفاوض عبر مؤتمر صحفي اعلن فيه برنامج النقاط الست، المطالبة بالاستقلال الفيتنامي داخل الاتحاد الفرنسي، رفض الحكومة الاتحادية في الهند الصينية، اعتبار الجنوب جزءاً لايتجزأ من فيتنام، حماية الممتلكات الفرنسية في اطار الالتزام بقوانين العمل الفيتنامية، الاولوية للفرنسيين عند حاجة الفيتناميين للمستشارين الاجانب، حق فيتنام في التمثيل الدبلوماسي الخارجي المستقل. سنلاحظ طبعاً ان مؤتمر «فونتين بلو» قد شكل عدة لجان جانبية للصياغة، والشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والثقافية، لكن لم تحرز أي تقدم، ولا امكن التوصل الى اتفاق عبر تلك اللجان التي واجهت مصيراً كما لجان دالات، وبدا واضحاً للمفاوضين الفيتناميين ان نظراءهم الفرنسيين يجمعهم قاسم واحد رغم اختلاف لجانهم، وهو اهتمامهم بفرض ملامح السياسة الاستعمارية من جديد على فيتنام.

ولم يكتف الفرنسيون بالتعنت داخل قاعة المفاوضات بل نجد أن رجلهم القوي في الهند الصينية يوجه للفيتناميين المفاوضين ضربتين مؤلمتين، فبعد عودته الى سايجون قادماً من باريس، امر دارجنلو قواته باحتلال مدينتي بليكو وكانتوم في فيتنام الوسطى ثم اعلن المنطقة الوسطى «منطقة حكم ذاتي لسكان الجبال» اما الضربة الثانية فجاءت باعلان دارجنلو عن عقد مؤتمر اتحادي عام في مدينة دالات في اول الشهر الثامن لخمسة وفود تمثل كمبوديا ولاوس وحكومة كوشين شينا الجنوبية ومنطقة الحكم الذاتي الوسطى، ومنطقة أنام الجنوبية[٣٦] وهكذا تكون فيتنام قسمت الى ثلاثة اجزاء بالاضافة الى الشمال.

الوفد الفيتنامي المفاوض جاء رده سريعا لكشف تواطؤ الحكومة المركزية الفرنسية مع ممثلها في الهند الصينية، فقدم فام دونغ مذكرة احتجاج شديدة اللهجة الى الوفد الفرنسي ورفض استئناف المفاوضات حتى يأتي رد الحكومة على مذكرته.

اما هوشي منه فكان موقفه مختلف عن رئيس وفده، فهو كان قد طلب من رفاقه في هانوي الّا يقوموا باستفزاز الفرنسيين او مهاجمتهم ولو اعلامياً ردا على ماجرى في

---

(٣٦) انام الجنوبية Annam المنطقة الممتدة من ميناء دانانغ على الساحل الاوسط حتى هام تان على الساحل الجنوبي.

المنـطقة الوسطى، ثم عمد اليوم الى السفر الى فونتين بلو للضغط على وفده المفاوض واقنـاعه باستئناف المفاوضات دون انتظار الرد الفرنسي على مذكرته، بل انه عمد الى تبسيط الخـلافـات القائمة بين الجانبين مؤكدا لمراسل الاسوشيتد برس في باريس «ان الخلافات الموجودة بيننا والفرنسيين هي من النوع الذي يكثر وجوده في العائلة الواحدة. . »[٣٧].

مرة ثانية حاول فان دونـغ ان يجد شيئاً ايجـابيا في المفاوضات بناء على نصيحة رئيسـه، لكن دون جدوى، فقد وصلت المفاوضات الى طريق مسدود عندما طرحت مسـألـة الجنـوب، فقد رفض الفرنسيون ان يستجيبوا لندائه الحار بالدخول في بحث قضية الاستفتاء، وفي النهاية، تأكد للوفد الفيتنامي استحالة ايجاد اي اساس مشترك للمفـاوضات على اساس ان الوفدين يسيران في اتجاهين متعاكسين، فاعلن فان دونغ انسحابه ووفده من المفاوضات ليلة العاشر من ايلول/ سبتمبر.

في الايام الثلاثة التالية جرت بعض المحاولات اليائسة لجمع المتفاوضين، كان ابـرزها اجتماع المجلس الوزاري الخاص بالهند الصينية برئاسة بيدو، ولقاء هوشي منه مع الـوزير موتيه، لكن دون جدوى، فغـادر الـوفد برئاسة دونغ الى ميناء طولون في ٩/١٣ في رحلته البحرية للعودة.

وهكذا انضم فام دونغ الى نجوين جياب في قناعاته وموقفه من مسألة التفاوض وامكانية الحل السياسي السلمي، اما هوشي منه فان اصراره على البقاء في باريس بعد سفر وفده وحيدا ولو لمدة ٢٤ ساعة اضافية كان يعني انه لم يصل بعد الى ذات قناعة رفيقيه بالضبط، وانه مازال في جعبته بعض المرونة الاضافية!

خامساً: هوشي منه وسراب التسوية

أ ـ اقامة قصيرة لكن حرجة:

خلال وجـوده في بياريتز ثم باريس قام هوشي منـه بسلسلة من النشـاطات السياسية والاعلامية، وكان يلتقي مع الجاليات الفيتنامية والاجنبية الموجودة في فرنسا، ومع رجال سياسة وبرلمانيين وحزبيين كما رجال الصحافة والاعلام، وكان يبذل جهداً لتغـطية النقص في المعلومات ـ عن فيتنام والفيتناميين ونضالهم ـ الذي لاحظه له فام

---

(٣٧) تراجع هوامش Joseph Buttinger VOL.I- P.644

دونغ منذ زيارته الاولى.

لكن سعادة الضيف الفيتنامي بتسامح المضيف الفرنسي معه في اتصالاته ولقاءاته لم تكن كاملة، لان هوشي منه كان عليه ان يواجه او يتجنب نوعين من الاحراجات:

- الاحراج الاول: كان مصدره زعماء الجالية الفيتنامية، السياسيين الذين كان لهم دور قديم في النضال الوطني، فهؤلاء كانوا يوجهون له الانتقادات اللاذعة على مواقفه المتهافتة تجاه الفرنسيين، فعلى سبيل المثال عندما التقى بعضهم في فندق «رويال» عاتبوه، حذروه «. . نحن الذين جعلناك رمزاً للثورة، لكنا ندرك الآن اننا كنا على خطأ، لا يهم سنتابع الطريق بدونك ومع الشعب الفيتنامي»؟[٣٨].

في مواجهة هذا الموقف كان هو يناضل لاقناع الآخرين بان الطريق التي يسلكها هي الافضل في الوقت الحالي على الاقل، وبان فيتنام تقع تحت اقدام العمالقة المتصارعين، بل ان بعض المصادر نقلت عنه قوله بان «الشيطان الفرنسي الذي نعرفه خير من شيطان جديد سنتعرف عليه»[٣٩].

- الاحراج الثاني: كان مصدره بعض زعماء اليسار المتطرف الفرنسي، وهنا حاول هو تجنب الكثير من لقاءات اليساريين الفرنسيين المعارضين للحل السلمي، وكان يعتقد ان ذلك التطرف ليس له مايبرره بل انه يؤذي القضية الفيتنامية اكثر مما ينفعها.

وعلى هذا الاساس انطلق هوشي منه يطالب الفرنسيين باستئناف الحوار بعد سفر وفده، وقدكلف موتيه بمفاوضته، وتبشير المعلومات القليلة المتوفرة عن تلك الساعات الحرجة انه كلما كان المفاوض الفيتنامي يحاول الحصول على اي تنازل عن الموقف الفرنسي المتشدد كان يواجه بموقف اكثر تشدداً لدرجة انه عندما طلب بحث قضية الجنوب اعتبر موتيه ان ذلك «يشكل انتهاكا لسيادة فرنسا، الامر الذي لانقبله»، وعندما حاول المفاوض الفيتنامي المراوغة او المماطلة قليلا، وضعه المفاوض الفرنسي امام الخيار الوحيد، التفضل بتوقيع الاتفاقية المؤقتة تجنباً للانهيار؟

عند منتصف ليلة الرابع عشر سارع هوشي منه لمقابلة موتيه وطلب منه الموافقة على تنفيذ هدنة في الجنوب مقابل توقيعه للاتفاقية المؤقتة، الامر الذي لم يرفضه موتيه، وهكذا وقعت الاتفاقية واقدم هوشي منه على اخطر تنازلات عمره السياسي حتى ذلك

---

(٣٨) المصدر السابق VOL.I- P. 373-436

(٣٩) المصدر السابق

الحين دون موافقة أو حتى معرفة شعبه او حتى حلفائه الوطنيين، لا رفاقه الحزبيين ولا حتى وفده المفاوض!

ب ـ الاتفاقية المؤقتة :

سنلاحظ هنا ان هوشي منه قبل توقيعه الاتفاقية كان قد حذر الفرنسيين من فشله حاثاً اياهم على تقديم بعض التنازلات ليتزود بها في رحلة العودة «اياكم ان تدعوني اعود الى شعبي وجعبتي فارغة. . سلحوني بشيء ما على الاقل لارد به على غلواء المتطرفين»(٤٠)، فهل مثلت الاتفاقية اية استجابة فرنسية؟ وهل احتوت على شيء ما يتسلح به الزعيم العائد الى شعبه؟

قبل الاجابة على هذا التساؤل نستعرض اهم بنود الاتفاقية التي اطلق عليها اتفاقية مؤقتة Modus Vivendi :

- ـ استئناف النشاطات الاقتصادية والثقافية الفرنسية في شمال فيتنام.
- ـ تمتع الفرنسيين في الشمال بنفس حرية التجارة وحقوق التملك التي للفيتناميين. .
- ـ اعادة الممتلكات الفرنسية المصادرة واعادة فتح المدارس والمعاهد الفرنسية المقفلة.
- ـ حرية عمل المدارس والمعاهد الفرنسية دون التدخل الفيتنامي في برامجها ونشاطاتها.
- ـ الموافقة الفرنسية المسبقة على اي تغيير في نشاط الشركات الفرنسية واوضاعها.
- ـ اعتماد القرش الذي يصدره بنك الهند الصينية الفرنسي كعملة رسمية حتى يتفق على غير ذلك.
- ـ الاولوية للمستشارين والخبراء الفرنسيين عند حاجة فيتنام الشمالية.
- ـ حفظ الامن في المناطق التي تديرها الحكومة الفيتنامية مسؤولية فرنسية فيتنامية مشتركة.

من ذلك يتضح لنا ان الفرنسيين قد نسفوا بهذه الاتفاقية كل احلام الفيتناميين في اتفاقية متوازنة، بأن فرضوا عليهم اتفاقية من طرف واحد، وبشروط قاسية على الرجل الذي جاء الى باريس يتحدث عن صداقة مشتركة وعلاقات متكافئة بين الشعبين والحكومتين، وسنلاحظ ان الاتفاقية من الناحية السياسية تجاهلت اية مسائل تتعلق بالمستقبل السياسي لفيتنام، ولم تعد المشكلة خلافا حول دولة ذات سيادة ام دولة حرة كما كان في اتفاقية اذار/ مارس، بل ان كل ماحصل عليه هوشي منه في الجانب السياسي، وعد غير موثق ببدء مفاوضات جديدة بين الطرفين من اجل معاهدة جديدة

---

(٤٠) المصدر السابق VOL. I- P. 646

نهائية قبل يناير ١٩٤٧، وبخصوص المسألة الجنوبية فإن الفرنسيين رفضوا اجراء اي استفتاء او تدخل شمالي في شؤونه، وكل ماوعدوا به أن النظام في الجنوب سيكون اكثر ديمقراطية.. وانه سيجري تعاون مع حكومة هانوي لوضع نهاية للاعمال العدائية في المناطق الجنوبية» وهذا الوعد رأى فيه بعض الفيتناميين تعهداً فرنسيا باطلاق الحريات الديمقراطية والكف عن اعمال العنف في الجنوب.

اما من الناحية العسكرية فان شيئاً لم يذكر لوضع حد للانتشار العسكري الفرنسي ولتثبيت الوجود العسكري الذي توسع كثيراً خلال فترة المفاوضات وعلى العكس من ذلك شرَّع الاتفاق للتدخل العسكري في المناطق الباقية تحت سيطرة الحكومة الفيتنامية بحجة «المشاركة في حفظ الامن والنظام».

ومن الناحية الاقتصادية والثقافية فإن المشكلة لم تعد الى اي مدى يتدخل الاتحاد الفيدرالي في تنسيق النشاطات الثقافية والاقتصادية بين الدويلات اعضاء الاتحاد، بل حصلت فرنسا على امتيازات غير عادية في جمهورية فيتنام «الشمالية» عززت فيها مواقعها الاقتصادية والثقافية، مكملة مع العسكرية قبضتها على البلاد التي ماتبقى من سيادتها الاّ القليل.

لقد رأى بعض الفيتناميين في اتفاقية مارس/ اذار تنازلات غير معقولة قبلتها فيتنام، ورأى الوفد المفاوض في دالات في شروط الوفد الفرنسي انذاك اهانة لايمكن القبول بها، فما الذي دفع هوشي منه الى التوقيع على اتفاقية لم تحفظ من المطالب الفيتنامية في اتفاقية مارس/ اذار. او في مؤتمر دالات واحداً دون الغاء او تشويه!؟

من المفيد ان نسجل هنا ان توقيع هوشي منه على اتفاقية باريس لم يكن مفاجأة للفيتناميين وحدهم بل وللفرنسيين ايضا وحتى اكثرهم تفاؤلاً فوجئوا بموافقة الزعيم الفيتنامي على هكذا شروط مهينة لدولة مستقلة وثورية.

المصادر الفيتنامية كما هو متوقع تدافع عن موقف هوشي منه ذاك، بل هي تسوق الكثير من الاسباب والمبررات التي تكفي لتغطية موقف الرجل.

من الطف المبررات التي نجدها في الوثائق الفيتنامية ان التوقيع على الاتفاقية مكَّن هوشي منه من التخلص من قبضة السلطات الفرنسية وتأمين عودته (والوفد الفيتنامي قبله) الى بلاده سالماً، ومن تلك المبررات انه اثبتت للفرنسيين (خاصة المغرر بهم) كم ان الفيتناميين راغبون في السلام وليس لديهم اية نوايا شريرة او مشاعر عدائية نحو الشعب الفرنسي، لكن الفيتناميين من ناحية اخرى اهتموا بالتركيز على بعض النقاط في الاتفاقية على اساس انها ايجابية وقاموا بتضخيم جانبها الايجابي، فهناك

اعتقاد لدى البعض ان هوشي منه اراد ان يحفظ رأس الثورة سالماً حتى لو كلفه ذلك رأسه او مستقبله السياسي، ويرى البعض الآخر ان اهم مافي الاتفاقية انها مؤقتة ولا تتضمن قرارات حول القضايا المبدأية التي ستناقش لاحقاً.

عناصر اخرى يمكن سوقها في نطاق الدفاع عن خطوة هوشي منه كمحاولة تجنب الحرب، والمواجهة المباشرة والسريعة مع القوات الفرنسية الشرهة والتي كانت ستلحق خسائر كبيرة بالدولة الوليدة، كذلك توفير المزيد من الوقت ـ ولو بضعة شهور ـ لرفاقه في قيادات الحزب والجيش لانجاز الترتيبات والتجهيزات العسكرية والتعبوية المطلوبة لمعركة طويلة واسعة مع القوات الفرنسية، وبعض المصادر الفرنسية اضافت احتمالاً آخر في ان يكون هو قد علق امالاً على انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) الفرنسية بتحقيق نفوذ اكبر للشيوعيين الفرنسيين يساعده على التوصل الى اتفاقية جديدة وبشروط افضل، اي تنازلات كثيرة اليوم من اجل تنازلات اقل غداً، لكن وثيقة حزبية(٤١) تقول بأنه بفشل مفاوضات فام دونغ شعر هوشي منه ان حربا فظيعة قادمة وان خطرها اصبح داهماً لذلك وقع الاتفاقية مع الفرنسيين لكسب الوقت الكافي.

ج: في مواجهة الجماهير:

على امتداد الايام التي قضاها هوشي منه في البحر منذ بدء الرحلة في ٩/١٩ حتى وصوله الى «هايفونغ ١٠/٢٠ كان همه الاكبر مواجهة الجماهير التي قد تكون عرفت بتفاصيل الاتفاقية. فلم يكن اقناع القيادات الحزبية والحكومية بالامر الصعب، فلديه الاسباب التي يمكن تقديمها وشرحها لهم، لكن الشعب الذي لا ير في فرنسا سوى عدواً شريراً لابد من التخلص منه كيف سيتقبل الامر؟

هنا اختلفت الروايات حول رد فعل الجماهير وتوقيته، فالمصادر الاجنبية تقول ان مظاهرات كثيرة نددت بالتنازل للفرنسيين وان اصوات قد ارتفعت بانتقاد هوشي منه واتهامه قبل ان يصل، وان بعض الجهات حرضت الجماهير على قائدها وحلمت باستقبال سيء وبشعارات معادية تصل الى حد اتهامه بالخيانة! اما المصادر الفيتنامية الرسمية فانها تذكر ان الجماهير كانت تثق في وطنية زعيمها، وكانت تبرر له كل ماقدم عليه، وان القضية التي كانت تشغلها هي عودته سالماً الى شعبه، واذا احتكمنا الى

---

(٤١) المصدر An Outline History of the Party

مذكـرات **الجنـرال** جياب حول تلك الفـترة فهـو تحدث عن الترحيب الشعبي الكبير **والاستقبالات الضخمة** لهوشي منه سواء عند وصوله الى هايفونغ وخلال اقامته فيها ليوم واحـد او على طول الطريق منها الى هانوي ثم وصوله الى محطتها المركزية حتى اقامة المهرجان الجماهيري الكبير، لكن المسؤول الفيتنامي يعترف بين سطور مذكراته ببعض المتـاعب. . «كـانت القـوات المسلحـة بكـامها في هايفونغ معبأة للحفاظ على النظام والتغلب على اي طارىء يمكن ان يحدث» ثم يقول بان وحدات الدفاع الذاتي وقوات الامن فرضت نطاقاً على طول الطريق الذي احتشد الناس فيه من هايفونغ والمناطق الـريفية»[٤٢] وفي مكـان آخـر يذكـر جياب انه عندما ظهر هوشي منه للناس انطلقت عواصف من الهتافات بحياته، ولم يتمالك الكثيرون انفسهم بحبس دموعهم!

في هذا الشأن تقول مصادر فرنسية انه بينما كان هوشي منه يقترب من شواطىء بلاده كانت القـوى المعـارضـة للمفـاوضـات قد رتبت نفسهـا لتحـطيمه وانهاء دوره السياسي، لكن النتيجـة جاءت معـاكسـة في اللحـظة التي تم فيهـا الاتصال بين هو وجماهيره، فانقلبت صيحات الغضب والاتهامات بالخيانة والتشكيك في وطنيته الى فرح ودمـوع وهتـافات بحياته، وقد لوحظ ان جياب رغم وجوده في قيادة الاتجاه المعارض انذاك وادراكه ان لا خيار الاّ الكفاح المسلح للخروج من المأزق الاّ انه كان يدافع عن زعيمـه في غيابه، وتذكر بعض المصادر انه كان في مواقفه العلنية يبرر خطوات هوشي منه وتنازلاته بصرف النظر عن قناعته الشخصية فيها.

ويمكن ربط الشهـادات المختلفـة حول رد فعـل الجـماهير وحالة مزاجها العام خلال تلك الفـترة بالاستفـزازات الفرنسية والتعديات على سلطة حكومة الثورة. وقد ساعـدت تعبئـة الجـماهير الشعبية وكوادر الثورة ضد العدوان الفرنسي الماثل والاطماع الفرنسية غير المستورة، على خلق حالة من التحفز الوطني والدفاع عن الذات الفيتنامية.

فقبل وصول هوشي منه باسبوعين كان فام فان دونغ ووفده قد وصل الى البلاد وصـارح قياداتها وكادراتها بما وصلت اليه المفاوضات ورفض الفرنسيين القاطع لتقديم اية تنازلات تكفل للبلاد شيئاً من الاستقلالية، فام فان دونغ استقبلته البلاد بحماس كبير اعتزازاً بمواقفه المتشددة في باريس، وهوشي منه يعود وتفاجئه الجماهير باستقبال لم

---

(٤٢) مذكرات جياب ترجمة ـ سهيلا منصور

تشهده البلاد من قبل رغم «التنازلات المهينة»[٤٣] التي قدمها، والتي كانت قبل اسابيع موضع انتقاد حاد، يقولون انه الحس الجماهيري بان قائدها لن يخون، وان في وجوده الشخصي على رأس العمل تشعر بالامان، ويقولون انما هي الثقة المطلقة ـ التي لاتخضع للحسابات التفصيلية ـ بان هو قادر على قيادة البلاد في الاتجاه الصحيح . . فلم يمض على وجود الرجل في العاصمة اكثر من ٢٤ ساعة حتى عاد يدغدغ عواطف جماهيره ويشدها نحو ترجمته الخاصة لاتفاقية باريس، فيقول بانه ذهب الى هناك من اجل قضيتي استقلال البلاد وتوحيد الوطن، وانه نظراً للظروف السائدة في فرنسا فقد تم تأجيل تسوية المسألتين لبعض الوقت، ثم اقسم لشعبه ان فيتنام سوف تصبح مستقلة، وان توحيد الوطن سيتم عاجلا ام آجلا لأن اجزاء الوطن الثلاثة كثلاثة اخوة من اسرة واحدة ولا احد يستطيع ان يفرقهم او يقسمهم، لكن لم يكن يعلم انه لتحقيق هذا القسم لابد من مرور اكثر من ربع قرن من النضال، ورأينا هوشي منه يذهب الى ابعد من ذلك على المستوى الشخصي مؤكداً انه "لن يستطيب طعاماً ولن ينعم بنوم آمن طالما الوطن ممزق والمواطنون يتعذبون، وطالب بشحذ الهمم وبتصميم موحد لاعادة الجنوب الى الوطن». وقد لوحظ ان هو ظل يتحدث ـ لعدة ايام ـ الى شعبه عن الاستقبال الكبير والودي الذي استقبل به، وعن المعاملة الدبلوماسية ـ البرتوكولية التي قوبل بها كرئيس حكومة، مقللاً في نفس الوقت من قيمة ماجرى من اتفاقيات مؤكداً ان ظروف فرنسا لم تسمح لها بتقديم تنازلات كبيرة، مركزاً على ان الوفد الفيتنامي تمكن من ايصال عدالة القضية الى كل شارع وبيت وشخص في فرنسا! لكن هذا التفاؤل الذي نقله الى الجماهير لم يقابله على ارض الواقع سوى تطورات مضادة على المسرح العسكري اثبتت من جديد ان الفرنسيين لم يعودوا جادين حتى في وعودهم بتخفيف حدة التوتر في الجنوب.

د: التراجع الفرنسي:

صحيح ان القيادة العسكرية الفيتنامية وعلى رأسها جياب كانت قد انجزت في غيابه مهمة تصفية معاقل المعارضة التابعة للصين في المناطق الشمالية وان استعدادات عسكرية واحتياطات قد جرى اتخاذها على مستوى بناء القوات المسلحة الفيتنامية

---

(٤٣) وصفت التنازلات بانها مهينة قياساً ببرنامج «النقاط الست» الذي كان هوشي منه قد طرحه في بداية المفاوضات ويبدو انها كانت بالنسبة له تمثل الحد الاقصى نظرياً.

واعداد وحدات الدفاع الذاتي، لكن التقدم الفرنسي وانتشار قواته في كثير من المناطق سبب للفيتناميين قلقاً كبيراً، فقد عكفت القيادة في الشهر العاشر على عقد سلسلة من الاجتماعات لتقييم الموقف على الجبهتين العسكرية والدبلوماسية لكن تلك الاجتماعات لم تسفر عن التخلي عن خط المفاوضات وعلى العكس تقرر المحافظة على سياسة الانفراج مع الفرنسيين ماامكن ذلك، بينما في الجانب العسكري تقرر الضغط على الفرنسيين لتتقيد بالاتفاقية الاخيرة والالتزامات التي تعهدوا بها.

اما على الطرف الآخر فقد كان المفوض الفرنسي العام دارجنلو يدير المعركتين العسكرية والسياسية بكامل حريته، فهو لم يكن مطلق اليدين من الناحية السياسية فقط كما رأينا سابقا، بل ايضا من الناحية العسكرية بعد ان تم نقل الجنرال لاكليرك بأوامر من «جوان» القائد الاعلى للجيش الفرنسي وتعيين الجنرال فالو مكانه على ان يكون كورلبير قائداً للقوات الشمالية ونيو للقوات الجنوبية. . لذلك وجدنا دارجنلو عسكريا يستمر في قضم المناطق الفيتنامية تدريجيا ودون ضجيج كما استمر في الضغط على الوحدات العسكرية الفيتنامية الشمالية، وسياسيا وجدناه يبدي المزيد من الاستهتار بالاتفاقيات مع هانوي، حتى تلك الاتفاقية المؤقتة بكل تنازلاتها لم يعترف بها، واتبع سياسة بناء مناطق الحكم الذاتي معتمدا على الزعامات العميلة والرجعية والتقليدية.

هوشي منه في خطوة منه لتعزيز موقعه وسلطته التي يتهددها الفرنسيون عمد الى عقد الجمعية الوطنية في اواخر الشهر العاشر ـ بعد ان تخلص من النواب القوميين والثوريين الذين فرضوا عليه في الدورة السابقة ـ لاقرار مسودة دستور الجمهورية الديمقراطية وانتخاب حكومة جديدة، وقبل ذلك اعطاء الثقة الكاملة للرئيس هو باعتباره «المواطن الاول» حيث تسلم ايضا رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية، بينما اعطيت الدفاع للجنرال جياب، واعطي المنشقون عن الحزب القومي حقيبة وزارية واخرى للمنشقين عن الرابطة الثورية اما هوانغ جيام زعيم الاشتراكيين فقد عين مساعداً للرئيس للشؤون الخارجية، وقد لوحظ ان احتفاظ هوشي منه بالخارجية كان مؤشراً على اصراره على المضي في خط التفاوض، وعلى انه لم يفقد الثقة كلية بعد في الفرنسيين خاصة وان الانتخابات البرلمانية عندهم بعد اسابيع، لذلك وجدنا هوشي منه بعد لقائه مع دارجنلو في خليج كمران يسارع بتنفيذ ما اتفق عليه من تشكيل لجان مشتركة للهدنة واعتماد ممثل فيتنامي لدى المفوض العام واصدار الاوامر للقوات الفيتنامية بالتزام وقف اطلاق النار المعلن في آخر الشهر العاشر.

المفاوضات الفرنسية الفيتنامية التي استتبعت ذلك في الشهر الحادي عشر اصطدمت برفض الفرنسيين السماح للفيتناميين بالتدخل في ترتيبات الجنوب الامنية بل والمطالبة بحل اللجنة التنفيذية المؤقتة لجنوب فيتنام باعتبارها هيئة غير شرعية، وعلى خط موازٍ خول فالو(٤٤) صلاحية واسعة للمناورة باصدار تعليمات وقف القتال نظرياً «وباكتساح» مناطق اضافية عملياً، حتى كانت مجزرة هايفونغ الشهيرة عندما امر الفرنسيون باخلاء المدينة وتسليم مناطق السلطة الثورية خلال ثلاث ساعات قامت المدفعية والطيران بعدها مباشرة بقصف المدينة واحياءها مما اوقع ستة الاف قتيل حسب المصادر الفرنسية في الاسبوع الاخير من تشرين الثاني/ نوفمبر.

بعدها استمر الفرنسيون بالضغط العسكري على الفيتناميين في المناطق الواقعة بين الميناء والعاصمة، ورفضوا استئناف المفاوضات قبل ان يسلم الفيتناميون بشروطهم حول حرية حركة القوات الفرنسية على الطرق! الاَّ ان وصول المبعوث سانتيني صديق هوشي منه ترك بعض المرونة المؤقتة عند الفرنسيين عادوا بعدها لمواصلة الاستفزازات والاعتداءات واستقدام قوات جديدة والسيطرة على الطرق الرئيسية، اما مبادرات هوشي منه الدبلوماسية فقد ذهبت ادراج الرياح:

فقد حاول في رسالة جوابية الى المفوض الفرنسي العام في ١١/٧ ان يؤكد له ان اعمال اللجنة التنفيذية المؤقتة «سوف تساعد في سياسة التعاون والود التي ترغب حكومتانا العمل بها ودون ابطاء».

وحاول في برقية الى الحكومة الفرنسية في ١١/١١ الاحتجاج على سيطرة قواتها على الرسوم الجمركية والتجارة الخارجية في هايفونغ باعتبارها غير شرعية.

وحاول في رسالته الى المفوض العام في ١١/١٢ افهامه بان «رئيس الجمهورية يعتقد ان اساليب القوة لن تكون مجدية في تحقيق السلام الذي يتمسك به الشعبان».

وحاول اثناء مجزرة هايفونغ ان يطلب في ندائه في ١١/٢٣ من الجنرال فالو وسائر الجنرالات الفرنسيين ان يوقفوا على الفور اراقة الدماء بين الفرنسيين والفيتناميين.

وحاول في ١٢/٩ ان يحتج على الحكومة الفرنسية لانزال قوات من الفرقة الاجنبية الى فيتنام.. وفي ذات الفترة ابلغ احد الصحافيين رغبته في السلام قائلاً: «ان مواطني وانا

---

(٤٤) الجنرال فالو Valluy عرف بكراهيته الشديدة لحكومة هانوي وسبق له ان اعد خطة للقضاء عليها عن طريق انزال قوات فرنسية مفاجيء الى هايفونغ وفي نفس الوقت شن هجوم مباغت على هانوي لكن قائده العسكري انذاك الجنرال لاكليرك رفضها، وبعد سفر الاخير الى باريس حاول فالو مرة اخرى لكن معركة هانوي حسمت الامر بخروج حكومة هوشي منه الى الجبال.

نرغب في السلام بصدق، ونحن لانريد الحرب. . وانا اعلم ان الشعب الفرنسي لايريد الحرب كذلك، كلنا سنقاتل اذا فرضت الحرب علينا، وستكون الحرب مذابح، وسيتحمل الفيتناميون كل ذلك حتى لايفقدوا حريتهم».

- وفي نفس الاسبوع ارسل نداءً الى الجمعية الوطنية الفرنسية اكد فيه «رغبة الشعب الفيتنامي الصادقة بالتعاون مع الشعب الفرسي» وادان «بعض الرجال الفرنسيين الموجودين في الهند الصينية والذين يخونون روح اتفاقية التسوية المؤقتة، ويمارسون سياسة القوة» ودعا الجمعية الوطنية والحكومة الى اصدار الاوامر بسحب القوات الفرنسية الى مواقع ماقبل العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر.

- وفي منتصف الشهر الأخير اقترح على رئيس الحكومة الفرنسية «ليون بلوم» الاشتراكي تنازلات متبادلة، يقوم الفيتناميون باعادة المهجرين عن المدن، ووقف الاجراءات الدفاعية وتأمين الاتصالات بين مدن هانوي وهايفونغ ولانغ سون، بينما يقوم الفرنسيون باعادة قواتهم الى مواقعها السابقة وسحب الامدادات من دانانغ وانهاء الغارات والارهاب في الجنوب، ويقوم الجانبان بتشكيل لجان مشتركة ووقف الحملات الاعلامية.

- وفي التاسع عشر من ذات الشهر بعث هوشي منه برسالة الى سانتيني، لكن الاخير رفض استقبال المبعوث هوانغ جيام او استلام الرسالة في ذات اليوم مؤجلا الى اليوم التالي حيث كانت معركة هانوي. دون ان يستجيب الفرنسيون لنداء هوشي منه «وسط هذا الخضم من الفوضى اللامعقولة، اتوجه اليك برجائي ان تقوم بما يمكنك من اجل تنقية الجو والعمل على تهدئة الاعصاب، انه لمن المؤسف ايها الصديق الّا يكون بوسع احد منا ان يقوم بشيء» وطلب هو من سانتيني «ان يبحث مع جيام حلاً لتحسين الجو الى ان يأتي الرد من باريس»[٤٥].

ان الذي دفع هوشي منه الى التفاؤل بامكانيات الحكومة الفرنسية الجديدة ذلك الموقف الودي الذي اعلنه «بلوم» تجاه شعوب الهند الصينية عندما اكد ان التسوية العادلة مع تلك الشعوب هو السبيل الوحيد للمحافظة على الحصارة الفرنسية في تلك المنطقة على قاعدة الاستقلال، كذلك كانت مريحة لهوشي منه تأكيدات «بلوم» بان القرارات المتعلقة بالقضية الفيتنامية يجب ان تكون من حق الحكومة المركزية في باريس. وليس بايدي العسكريين والاشخاص الفرنسيين المقيمين في فيتنام، وقد

(٤٥) المقتطفات السابقة والتالية مصدرها مذكرات جياب وهوامش جوزيف بوتنغر P. 421-434-

شجع الزعيم الفيتنامي ايضا عزم الحزب الشيوعي الفرنسي على دعم سياسة بلوم المعلنة تجاه مسألة الهند الصينية، ليس ذلك فحسب بل ان اقدام الحكومة الفرنسية في اوساط الشهر الحادي عشر على اقرار اتفاقية التسوية المؤقتة رغم معارضة السلطات الفرنسية في الهند الصينية وخاصة المفوض العام الذي طار خصيصاً الى باريس، اعطى هوشي منه دفعة جديدة من الامل، لكن ذلك الامل لم يصمد طويلا امام التطورات التالية:

- على المستوى السياسي، استبعد الحزب الشيوعي الفرنسي تماماً من الوزارة، وتراجع رئيس الحكومة اليسارية عن مواقفه المعلنة تجاه المستعمرات، وتثبت «موتيه» في وزارة ماوراء البحار، ودار جنلو مفوضاً عاماً للهند الصينية، وهكذا اصبحت المسافة بين الموقف الرسمي المركزي والموقف الفرعي قصيرة للغاية.

- على المستوى العسكري، وبينما كان المفوض العام عائداً الى سايجون كان فالو يصعد اعتداءاته واستفزازاته العسكرية، باعتداءات على شرطة هانوي، وطلعات جوية استكشافية وهجمات محدودة ثم هجمات اوسع، كما وجهت القيادة العسكرية الفرنسية للفيتناميين في هانوي اربعة انذارات عاجلة تتراوح بين نزع سلاح وحدات الدفاع الذاتي، والتخلي عن أمن العاصمة للفرنسيين، وتخلص هوشي منه من مساعديه المتشددين تأكيداً على حسن نواياه!

هـ: عودة الى التشدد المؤقت:

لكن هل دفعت كل هذه التطورات هوشي منه للتخلي عن تكتيكاته المرنة؟ وهل فقد الامل في امكانية زحزحة المواقف الفرنسية المتصلبة؟ لقد حاول الرجل خلال تلك الاسابيع ان يشد الحبل قليلاً، وان يلوح للفرنسيين ببعض التهديدات، لكنه كان في ذلك ايضا يخاطب شعبه، كان يحاول بتلك التهديدات، ان يمتص الغضب الكامن وان يحاصر ردود الفعل، وخاصة الضغوط التي كانت القيادات العسكرية الفيتنامية تمارسها عليه بينما ظل هو يطالبها ولفترة طويلة بضبط النفس خاصة اثر مجزرة هايفونغ.

لقد مارس هوشي منه تكتيك التهديد عندما عاود دارجنلو ابتزازه في موضوع الجنوب، فألمح الى ان حكومة هانوي لن تتحمل مسؤولية النتائج المترتبة على ذلك.

كذلك مارس ذلك في بعض برقيات ورسائل الاحتجاج عندما كان يصعد من لهجتها الموجهة الى الفرنسيين سواء في باريس او سايجون.

كذلك لاحظنا أن الزعيم الفيتنامي ابدى بعض الحزم عندما تصاعد الموقف

العسكـري في ميناء ومدينة هايفونغ، فقد طلب الى قوات الدفاع الذاتي ان «تستعد للدفـاع عن سيادة وطننا» مؤكداً ان الحكومة ستقف الى جانب الشعب دوماً «للدفاع عن وطننا» ثم ختم نداءه بالهتاف لاستقلال ووحدة فيتنام.

كما أكد هوشي منه في تصريح لاحق «اننا كلنا سنقاتل اذا فرض علينا القتال»، الى ان اصدر نداءه الشهير في العشرين من الشهر الاخير الى الشعب الفيتنامي داعيا الى الثورة المسلحة لاننا نفضل ان نضحي جميعاً على ان نخسر وطننا، ولن نرضى بالعبودية.

واذا تتبعنا تطور موقف هوشي منه من العلاقة مع الفرنسيين سنلاحظ انه ورغم دفـاعـه الاول عن الاتفـاقية الاخيرة امام الامة وفي الجمعية الوطنية الفيتنامية الّا انه حاول بعـد ذلك ان يطور من «فهمه» للاتفاقية عبر ربطه لمسألة التقيد ببنودها بمدى تطور المفاوضات اللاحقة التي نصت عليها تلك الاتفاقية المؤقتة، لكن احداث الشهر الاخير من العام تجاوزت الاتفاقية وفلسفات تفسيرها، الى مسائل عملية تتعلق بمصير حكومة هانوي نفسها كما رأينا.

لقد كانت احداث الشهور الاخيرة من السنة كفيلة ليس فقط بالتأثير على قناعة القيادات الفيتنامية وخاصة العسكرية منها بعدم امكانية الحل السلمي السياسي، بل اكثـر من ذلـك حسمت كثـيراً من الـتردد لدى البعض، لذلك كان مفهوماً ان تتجه الخـطوط الـرئيسية للقيادة الفيتنـامية الى تصليب بنـاء القـوات المسلحـة في الشمال، وتصعيد المقاومة الوطنية في الجنوب ومعاقبة العملاء في المدن المحتلة.

و: المحاولات اليائسة الاخيرة:

ان الذين استمعوا الى نداء هوشي منه الأخير اعتقدوا للوهلة الاولى انه قد طلق المحـاولات العقيمـة للحصـول على حل سلمي للقضية، لكن التـطورات الـلاحقة كشفت عن انه استمر في طريقه لعدة شهور تالية، حتى اسقط في يده وحسم امره نهائياً.

لقد اسفرت رسائل هوشي منه الاخيرة في ٢١، ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) الى الحكومة الفرنسية كما رسائله السابقة ـ التي ذكر انها كانت تتأخر في سايجون قبل ارسالها الى باريس او اتلافها في طريقها ـ عن استجابة جزئية من قبل «ليون بلوم» الذي اوفد لاكليرك الى المنطقة في مهمة تفقدية بعد رفضه استلام مهمات مباشرة[٤٦]، وقد رحبت

(٤٦) جرت محاولة سابقة من جانب ليون بلوم في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٤٦ عندما ارسل الوزير

الاذاعة الفيتنامية بالمبعوث الحكومي الجديد، وعرضت امكانية اللقاء بينه وبين الرئيس هوشي منه «الذي يسره وجود المبعوث» لكن لم يثبت ان هذا اللقاء قد تم بالفعل، وعاد لاكليرك يطرح رأيه بضرورة الحل السلمي عبر المفاوضات مع كل الاطراف السياسية في الشعب الفيتنامي، حيث فهم المعنيون ان المقصود هنا «الفيت منه» ايضا، رغم معارضة القيادة الفرنسية في المنطقة والتي تحظى بدعم ديجول، وقد تنبأ لاكليرك بان فرنسا لن تنتصر على ٢٤ مليون فيتنامي مذكراً بان المشكلة سياسية وليست عسكرية حيث لا يكفي نصف مليون جندي بتجهيز جيد لتحقيق الانتصار، الا ان الفرنسيين في باريس وسايجون اعتبروا هذا الجنرال المحافظ عميلاً «للفيت منه» او رجلاً انتهازياً في احسن تقدير.

لقد دفع تأييد الشيوعيين الفرنسيين لحكومة «رمادية» التي خلفت حكومة بلوم، هوشي منه للتفاؤل بعض الشيء، فبعث بمزيد من الرسائل والنداءات الودية التي لم تخل من الامل في الحل السلمي «.. لقد سقط الكثيرون قتلى وتحولت اماكن كثيرة الى خرائب لاحياة فيها، فماذا علينا ان نفعل انا وانت؟ ان على فرنسا ان تعترف باستقلال فيتنام ووحدة اراضيها حتى تكف جميع اعمال العنف حالاً، ويعود السلام والامن، ونعود بدورنا الى عملنا من اجل الازدهار المشترك لبلدينا..» لكن البرلمان الفرنسي كان قد قطع الطريق، فأقر في ٦ اذار (مارس) ١٩٤٧ سياسة رامادية تجاه الهند الصينية والتي كان محورها اقامة اتحاد فيدرالي لدويلات ذات حكم ذاتي مستقلة فقط داخل الاتحاد الفرنسي، وتكون شؤون الدفاع والخارجية تابعة لفرنسا، وعلى هذا الاساس اخذت الحكومة الفرنسية تحضّر المسرح لتحرك جديد اعتمد تكتيكين: الاول: القيام بخطوات ودية او اقل عدائية تجاه الفيتناميين عبر استدعاء «دارجنلو» الى باريس في اذار (مارس) ثم استبداله ببولارت في نيسان (ابريل) والاخير قام ببعض الاجراءات المناهضة لسياسة سلفه واستبدل بينون، بيول موس الاكثر اعتدالاً.

الثاني: الاتجاه نحو فتنمة الصراع عن طريق خلق حكومة فيتنامية قوية جنوبية في مواجهة حكومة الفيت منه الشمالية، وهذا يستدعي استخدام الامبراطور «باوداي» في مواجهة هوشي منه، اي الوطنية في مواجهة الشيوعية.

ورغم ان لاكليرك اعترض على التكتيك الاخير من منطلق عدم امكانية نجاحه

---

(٥) موتيه Moutet الى هانوي لكن الاخير ادلى بتصريحات غير ودية تجاه الفيتناميين، ومنع اي عضو في وفده من الاتصال بحكومة هوشي منه.

طالما ان المشكلة «الوطنية» لم تحل، وبالتالي لايوجد وطنيون اقوياء في مواجهة الفيت منه «الوطنية والشيوعية» الاّ ان بولارت استمر في خطواته بعد وصوله الى سايجون مباشرة من اجل تدعيم احزاب وطنية متعاونة واقامة حكومة عميلة قوية!

المفاوضات التي بدأت مع باو داي في هونغ كونغ بهذا الشأن لم تسفر عن نتائج ايجابية لأنه اشترط اولاً «الاعتراف باستقلال فيتنام ووحدة اراضيها» كضرورة لابد منها قبل التعاون مع الفرنسيين في تشكيل حكومة وطنية في الجنوب، اما هوشي منه المعتقد بامكانية التحرك نحو التسوية فقد اوعز الى مساعده للشؤون الخارجية «هوانغ جيام» بتوجيه رسالة الى المفوض الفرنسي الجديد في ٤/٢٦ يتحدث فيها عن الصداقة الفيتنامية الفرنسية، ويدعو الى وقف اطلاق النار كخطوة اولى على ان تعود القوات الفرنسية الى مواقعها لما قبل ١٢/٢٠ هذه المرة، لكن آخر آمال هوشي منه تبددت عندما تسلم الرد الفرنسي الذي جاء بعد اختلاف الشيوعيين الفرنسيين مع رامادية وتراجع نفوذهم في البرلمان، وبعد تحذير ديجول لرامادية بتقديمه الى محكمة امن الدولة بتهمة الخيانة العظمى ان هو قدم اية تنازلات في القضية الفيتنامية.

لقد عمد الفرنسيون الى انتداب بول موس لمقابلة هوشي منه وتسليمه الرد، وهذا لم يترك اثرا طيباً لدى القيادات الفيتنامية التي حبذت الاّ يستقبله هوشي منه شخصياً كما ذكرت بعض المصادر الغربية ورغم ذلك حدث اللقاء الذي قصم ظهر البعير، فقد جاء الرد الفرنسي عبارة عن شروط مهينة قدمها المبعوث، فشكلت آخر صفحة في مسلسل الحل السلمي الذي قاده وتحمل مسؤوليته كاملة الزعيم الفيتنامي، يجب تسليم كافة الاسلحة من قبل الثوار، وعليهم التواجد في مناطق محددة وبدون تسليح، وعدم التعرض للقوات الفرنسية على كافة الاراضي، وتسليم المقاتلين غير الفيتناميين الى السلطات الفرنسية (معظمهم جنود ومواطنون فرنسيون تقدميون).
اطلع هوشي منه على الرد الفرنسي، ولخص موقفه كما جاء في رواية فرنسية على الشكل التالي:

«ان بلاد الاتحاد الفرنسي لاتقبل في عضويتها الجبناء وغير الشرفاء، واذا قبلت انا بشروطكم هذه فسأصبح جباناً»...[٤٧]

---

(٤٧)

Joseph Buttinger VOL. II- P. 1017-

الفصل الثاني:

التسوية المؤقتة

شكلت معركة هانوي في اواخر عام ١٩٤٦ نقطة التحول الحاسمة في النضال الـوطني الفيتنـامي بين مرحلتين: مرحلة البحث عن التسوية السياسية السلمية باقل الخسـائـر البشرية والمـادية مقـابل اكثر التنازلات الممكنة، ومرحلة اللجوء الى العنف الثـوري باقصى درجـاته لاجبار العدو على القبول بالتسوية السياسية باقل التنازلات الممكنة من الجانب الفيتنامي.

معـركة هانوي من الناحية العسكرية قادت باتجاه بناء القاعدة الثورية الرئيسية في شمال الوطن الفيتنامي، لتشكل حجر الاساس في استراتيجية حرب الشعب التي قررت قيادة الثـورة اعتمادها في مواجهة الحرب العدوانية الفرنسية، ومن الناحية الدبلوماسية كانت معـركة هانوي سببا مقنعاً وكافياً لاغلاق ملف التسوية السلمية غير الممكنة في ظل اختلال ميزان القوى لصالح معسكر العدو، ومن الناحية السياسية اشرت المعركة على افلاس خط التسوية داخل قيادة الحزب والثورة وصعود تيار الكفاح المسلح الذي كان قد هيأ نفسه لمثل هذا التحول.

وفي العـام التـالي ١٩٤٧ اعتمـدت الخـطوط الـرئيسية لنظرية الحرب الشعبية، وتبلورت تفـاصيلهـا السياسية والعسكرية والتعبوية واصبحت فكراً سائداً في الثورة، باعتبـارهـا الاستراتيجية الاكثر ملائمة لظروف الشعب الفيتنامي «بحيث يتحول كل فيتنامي ـ في ظلها ـ الى مقاتل، وكل قرية الى قلعة»[1] ومهتدين بنظرية حرب الشعب تلك ومعتمدين على تطبيق خلاق يتوافق والظروف الخاصة بفيتنام ومنطقة الهند الصينية، خاض الفيتناميون حرب مقاومة طويلة ومكلفة لكن مظفره استغرقت حتى اواسط عام ١٩٥٤ . . فاين كان هوشي منه من هذه الحرب؟

(١) Ho chi Minh: selected writings P.68

قد تكون الهزيمة التي لحقت بمشروع التسوية السلمية أثرت سلبياً على معنويات هوشي منه، وقد تكون مكانته الادبية بين رفاقه قد اهتزت بعض الشيء لفترة من الوقت وهذا امر طبيعي لكن المؤكد ان الزعيم الفيتنامي استطاع ان يتجاوز الازمة بسرعة كبيرة لانه لم يكن يتصرف على أساس انه زعيم تيار او قائد لبعض الثورة بل على اساس انه صاحب مشروع ثوري متكامل بكل اركانه السياسية والعسكرية والدبلوماسية، لقد تجاوز نكسته الدبلوماسية واتجه بكل طاقاته لقيادة رفاقه وشعبه في مرحلة العنف الثوري الجديدة.

لن نتعرض في هذا الفصل لتفاصيل هذه المرحلة عسكرياً بل سنستعرض أبرز محطاتها ـ باعتبارها شكلت بانجازاتها الحاسمة شروطاً افضل لمعركة دبلوماسية جديدة سيخوضها المفاوض الفيتنامي في ساحة جنيف، ومرة اخرى امام اللاعبين الكبار، وسيكون على الدبلوماسي الفيتنامي «هوشي منه» ان يدفع نصف انتصاره العسكري ثمناً لتأمين الاعتراف الدولي بنصف استقلاله ووحدته الوطنية.

في مؤتمر جنيف وضع هوشي منه امام خيارين احلاهما مر:الانتحار الثوري ام نصف الانتصار،فاختار التاني على مرارته.. لماذا فعل ذلك؟

هذا ماسنحاول الاجابة التفصيلية عليه.

اولاً: العنف في خدمة التسوية

أ ـ الانتصار العسكري الفيتنامي

لقد مرت حرب المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين بثلاث مراحل رئيسية بعد انجاز مرحلة بناء القاعدة الرئيسيةالآمنة(٢) :

أولاً: مرحلة الضعف (٤٩ ـ ١٩٥٠)

تلك كانت اول مراحل النظرية الثورية الثلاثية المشهورة (ضعف ـ توازن ـ

---

(٢) مرحلة بناء القاعدة الآمنه الرئيسية امتدت من اواخر ١٩٤٦ حتى اواخر ١٩٤٨ وقد تم خلالها نقل الوحدات العسكرية النظامية الى منطقة فيت باك Viet Bac الشمالية ـ الشرقية واعادة تنظيم وتقوية الجسم العسكري واعادة بناء المؤسسات الحكومية الانتاجية والاجهزة المركزية، وفي نفس الوقت توسيع المناطق المحررة وشبه المحررة في الوسط والجنوب وتنشيط الحركة الوطنية في المدن.

تفوق) ويمكن تلخيص ملامح تلك الفترة كالتالي: عسكريا بلغ الفرنسيون اوسع انتشار لهم، سياسيا اقام الفرنسيون حكومة «وطنية» مركزية معادية للشيوعيين، دبلوماسياً ارست امريكا اسس تدخلها في شؤون المنطقة، داخليا نمت الدويلات والادارات المستقلة في ارجاء مختلفة من البلاد.

في المقابل بدأت القوات الثورية بالخروج من مرحلة الاعداد والكمون، الى مرحلة اثبات الذات والدفاع النشط وقد اعتمدت القيادة الفيتنامية في مواجهة حرب التهدئة الفرنسية، حرب العصابات الشاملة.. وامام التوسع الفرنسي الذي بلغ اوجه اواسط ١٩٥٠ قررت الثورة الحاق اكبر خسائر ممكنة في قوات العدو وهنا برز دور وحدات الدفاع الذاتي التي كانت منتشرة في مناطق عدة[٣].

لقد تميزت الحركة الفيتنامية منذ سقوط هانوي، بالاعتماد على القوة الذاتية، سواء في الاعداد لحرب مقاومة صعبة وطويلة او في البناء الوطني، وقد طبقت سياسة الاكتفاء الذاتي في المجالات العسكرية والاقتصادية والتعليمية الى ان تغير الظرف الموضوعي على الشكل التالي:

جاء انتصار الشيوعيين ضد الكومنتانج في الصين وسيطرتهم على المناطق الجنوبية في اواخر ١٩٤٩ ثم اعترافهم بحكومة هانوي ليوفر ضمانات جديدة لتعزيز القاعدة الآمنة الرئيسية للثورة الفيتنامية، ثم جاء اعتراف موسكو والبلدان الاشتراكية الاخرى ليعطي الفيتناميين قوة معنوية ومادية جديدة، اما واشنطن التي كانت تدعم جهود اقامة حكومة «وطنية» بقيادة الامبراطور[٤] اعترفت بها، فاعتبرت وصول ماوتسي تونغ الى السلطة سبباً في تصعيد دعمها العسكري والمالي للفرنسيين في الهند الصينية وارسلت بعثة عسكرية امريكية مقيمة في سايجون![٥]

---

(٣) وحدات الدفاع الذاتي هي احدى التشكيلات الشعبية المسلحة وشبه المسلحة التي اعتمدها الشيوعيون الفيتناميون منذ وقت مبكر، وقد تطور حجم ومهمات هذه الوحدات في المراحل النضالية المختلفة.

(٤) حكومة الامبراطور كانت الحل البديل لعجز الحكومة المركزية السابقة لها، ومن اجل التصدي لحكومة هوشي منه وافراغها من العناصر الوطنية المعتدلة، لكنها عجزت عن تحقيق المطلوب منها بسبب صلاحياتها المحدودة ولوجود عناصر سيئة السمعة فيها، وقد فشلت محاولات الامبراطور، والعناصر الموالية لامريكا في حكوماته المتتالية في ابتزاز الفرنسيين لاعطاء درجة معقولة من الاستقلال الموعود.

(٥) كانت الادارات الاميركية تتظاهر بالحيادية تجاه الصراع الفيتنامي الفرنسي منذ ١٩٤٥ لكنها اتجهت تدريجياً لدعم العودة الفرنسية الى الهند الصينية بشكل علني، وقد عمدت الى استغلال الحاجة الفرنسية

ثانياً: مرحلة التوازن (٥١ ـ ١٩٥٢)

تميزت هذه المرحلة من الناحية العسكرية بزيادة التعزيزات الفرنسية وكذلك المساعدات الامريكية وباعادة تنظيم وتقوية الجيش العميل، وتكثيف سياسة التهدئة في المناطق المحتلة، كما اعتمدت خطة «دي لاتر» العسكرية التي تهدف الى صد الهجمات الفيتنامية واعداد فرق عسكرية ضاربة[٦]. في المقابل قامت الثورة بتطوير القوات المسلحة عدداً،تسليحاً وتقنياً، وشنت ثلاث هجمات رئيسية عام ١٩٥١ (هوا تام، كوانغ تونغ، هوابين) بهدف تحطيم الخطوط الدفاعية وضرب تجمعات العدو والحاق اكبر خسائر ممكنة فيها، والحفاظ على هوابين مفتوحة كممر الى المناطق الوسطى والجنوبية.

بعد فشل دي لاتر وخليفته سالان في معركة هوابين قرر الفرنسيون شن حملة رئيسية ونهائية ضد القواعد الرئيسية للثورة عام ١٩٥٢ وشملت الحملة ثلاث عمليات رئيسية (امغيبي، ميركوري، بوكوتوركو) ضد المناطق الشمالية، وقد ردت القيادة الفيتنامية بشن حملة رئيسية في المناطق الشمالية الغربية باسم **«تاي باك»** استمرت شهرين واسفرت عن قيام المنطقة المحررة الرئيسية الثانية «تاي باك» وتقع ضمنها بلدة ديان بيان فو التي حررت في ٣٠/١١/٥٢.

أبرز التطورات الداخلية الفيتنامية كان عقد المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي للهند الصينية الذي اصبح حزب **«العمال»** الفيتنامي على اساس خصوصية النضال في كل قطر من اقطار الهند الصينية، وقد حدد الحزب المهمات المرحلية بطرد المحتلين الفرنسيين وتحقيق الاستقلال بالقوة والتخلص من الادوات الرجعية، وتوحيد الشعب والوطن، وتطوير الديمقراطية الشعبية على اساس اشتراكي، وتقرر رفع شعار «كل شيء للجبهة ـ كل شيء للنصر» واقر خطة التنمية الاقتصادية الثلاثية (٥١ ـ ١٩٥٣) بهدف تثبيت الاقتصاد الوطني وتطويره[٧]

الى دعمها العسكري والمالي فقامت بالتسرب بنفوذها الى المنطقة عبر تلك المساعدات ودعمت بقوة حكومة الامبراطور «الوطنية» لمواجهة هوشي منه «الشيوعية» لمحاصرة المد الشيوعي الصيني. . للمزيد تراجع دراسة المؤلف حول جذور التدخل الامريكي في المنطقة، مجلة الحرية العدد ٢٥٩ ٢٤/٤/١٩٨٨

(٦) خطة دي لاتر Delattre نسبة الى الجنرال جون دي لاتر احد ضباط فرنسا اللامعين، وهو اول مسؤول فرنسي يتولى القيادتين العسكرية والسياسية بفيتنام ونجح في استقدام مساعدات اميركية كبيرة

ثالثاً: مرحلة التفوق (٥٣ - ١٩٥٤)

من النـاحية العسكـرية انتقـل العمل الفيتنامي من مرحلة التوازن تدريجيا الى مرحلة المبادرة النشطة، ومن هجمات مضادة محلية الى عملية عسكرية هجومية كبيرة، ومن الجبهـة الشـمالية الى الجبهـات الاخـرى جنوبا، ومن مهاجمة اهداف ضعيفة الى العمـل ضد مواقـع محصنة ورئيسية، لذلك تطور شكل العمليات من حرب متحركة بقـوات محدودة، الى اشتراك قوات نظامية محدودة. . الى حرب متحركة بقوات نظامية كبـيرة تشـترك في معـارك حصـار واسعـة مع الاحتفـاظ بحرب العصابات النشطة في مؤخرات العدو[٨] واسفرت الحركة الميدانية عن عدة انتصارات في منطقة الدلتا الشمالية، والمناطق الوسطى وفي ساحة لاوس باشتراك الباتيت لاو

لذا استنجد الفرنسيون باشهر عسكرييهم الجنرال نافار الذي اعتمد خطة مشهورة، تعتمد على انشاء قوات محلية كبيرة ومدربة جيداً، وقوات فرنسية مركزية متحركة جداً من اجل ضرب القوات الفيتنامية الرئيسية في شمال الدلتا ثم القوات الفيتنامية النظامية في الشمال الغربي ولاوس العليا، ثم محاصرة القوات الفيتنامية في الجبال الغربية ومنع تمددها الى الجنوب. . وفي هذا الاطار نفذت عدة عمليات، منها عملية كاستور التي اسفرت عن سقوط ديان بيان فو بيد الفرنسيين في ٢٠/١١/٥٣.

القيادة الفيتنـامية اعتمـدت اسـتراتيجية مضـادة تشمـل استخدام جزء من القوات النظامية لشن هجمات على مناطق العدو المكشوفة وتدمير القوات المتحركة للعدو عندما تتوغل في المناطق المحررة، تصعيد حرب العصابات في كل المؤخرات، تجهيز الوحدات المحلية والمليشيا والعصابات للدفاع عن المناطق المحررة، والاحتفاظ بالقوات النظامية الرئيسية للقيام بمهمات مركزية، وفي هذا النطاق خاض الفيتناميون معركة لاي تشاو[٩] في الشمـال الغـربي التي اسفـرت عن تحريرهـا وحصار ديان بيان فو.

---

(٥) وبنى سلسلة تحصينات عسكرية عرفت باسمه.

(٧) المؤتمر الثاني للحزب، التقرير السياسي لهوشي منه: المصدر
Ho chi Minh: selected wtitings P. 101-129

(٨) حول طبيعة العمليات وحجم القوات وتطورها في تلك المرحلة انظر:
المرحلة الثانية في الباب الثالث، كتاب التجربة العسكرية الفيتنامية تأليف علي فياض مؤسسة عيبال للدراسات والنشر قبرص.

وبينما كان الفيتناميون يحاصرون ديان بيان فو في المنطقة الشمالية الغربية، قرر الفرنسيون استكمال خطتهم العسكرية في المناطق الجنوبية ضمن عملية اطلنطة الا ان الفيتناميين فاجأوهم ببدء الهجوم في ديان بيان فو، فخاض الجانبان معركة مواجهة ضارية انتهت بعد ثلاثة شهور باستسلام القيادة الفرنسية فيها وسقوط القاعدة في يد القوات الفيتنامية في ٧ أيار (مايو) ١٩٥٤.

وبذلك الانتصار الفيتنامي وجهت الى حملة نافار أيار (مايو) ١٩٥٣ ـ أيار (مايو) ١٩٥٤ ضربة قاصمة، وكانت حصيلة الحملة اخراج ١١٢ الف جندي من الساحة القتالية بينهم ١٦ الف في ديان، واسقاط وتدمير ٢٣٩ طائرة بينها ٦٢ في ديان، وتشتيت القوات الضاربة التي كان يعتز بها نافار[١٠].

في المقابل كانت النتيجة توسيع المناطق المحرزة لتشمل كل الشمال حتى لاوس العليا باستثناء مراكز دلتا النهر الاحمر، وفي الوسط توسعت المنطقة الخامسة لتمتد من المحيط الهادي حتى لاوس السفلى، وفي المناطق الخلفية للعدو سيطر رجال العصابات على حوالي ثلاثة ارباع الارض، وفي لاوس تحرر اكثر من نصف الارض والسكان.

بعد معركة ديان بيان فو توزعت القوات الفرنسية الرئيسية على عدة مناطق، وهبطت معنويات جنودها، وتهتك الجيش العميل، وفي حزيران (يونيو) قررت القيادة الفرنسية سحب قواتها من الشمال الى جنوب خط عرض ١٨.

ـ من الناحية السياسية في الجبهة الداخلية حاولت الحكومة المركزية العميلة برئاسة نجوين تام، في عام ١٩٥٣ القيام باصلاحات اجتماعية وسياسية والحديث عن الاستقلال الحقيقي المطلوب.. كما حاولت الاحزاب السياسية ـ الدينية المعادية للفرنسيين والشيوعيين اتخاذ مواقف اكثر تطرفا ضد الفرنسيين والامبراطور لايجاد حكومة «وطنية» من اجل استقلال حقيقي وفي أيلول (سبتمبر) عقدت تلك القوى مؤتمرا وطنيا طالب بالاستقلال الكامل وتحدث عن نظام جمهوري.

الامبراطور بدوره دعا لمؤتمر مضاد طالب بالاستقلال التام ايضا، وبالخروج من الاتحاد الفرنسي وتحت ضغط القوى المحافظة، الاقطاعية والاغنياء تخلص الامبراطور من نجوين تام وكلف قريبه بو لوك بتشكيل الحكومة في كانون الاول .

(١٠) خطة نافار Navarre نسبة الى الجنرال هنري نافار وكان من اشهر الضباط الفرنسيين، اعتمدته القيادة الاميركية ايضا لانقاذ الوضع العسكري، وكان يؤمن بضرورة توفير حشد كبير من القوات المتحركة الضاربة واعتماد مبدأ الهجومية الدائمة في مواجهة القوات الثورية.

ب ـ الفرنسيون من الرفض الى القبول

تركت التطورات السابق ذكرها والخسائر الباهضة التي تكبدتها فرنسا في ميادين الهند الصينية مع عدم وجود آفاق مبشرة للعمل العسكري المختار، تركت آثارها على كافة القطاعات الشعبية والبرلمانية وحتى الرسمية الفرنسية مما جعلها تطالب بالعمل على ايجاد تسوية سلمية للمشكلة:

على المستوى البرلماني نلاحظ أن كثيرين من أعضاء الجمعية الوطنية ادركوا بناء على المعلومات التي توفرت لديهم ان الاقتصاد الفرنسي لم يعد قادرا على تحمل اعباء الحرب اذا مااستمرت الى وقت اطول. . ، واصبح كثيرون ينظرون الى حرب الهند الصينية على اساس انها «هاوية بلا قاع»، او مغامرة بلا نتيجة، او تضحية غير منطقية، بل ان كثيرا من القوى الوطنية اخذت تدرك حقيقة مايجري في فيتنام وتعتبره «حرباً قذرة».

اما على المستوى الشعبي فقد تضاعفت موجات الاستنكار والاحتجاج على استمرار الحرب، وخاصة بين اوساط العمال والطلبة والجنود، وتكثفت جهود المثقفين من مختلف الاحزاب والاتجاهات، يسارية، كاثوليكية، بروتستانتية، والاساتذة والفنانين ـ وانضمت اليهم عدد من الصحف مثل اكسبرس، اوبزيرفاتور، لوموند في حملة واسعة النطاق ضد الحرب التي وصفت بانها محاولة للحفاظ على شيء قد تم فقدانه بالفعل وفي احسن حالاتها بطولة غير مفيدة للشعب الفرنسي، وعلى المستوى السياسي حسم الحزب الاشتراكي امره الى جانب الحزب الشيوعي في نضاله من اجل مفاوضات مع هوشي منه. . وهذا اعطى الطبقة العاملة انطلاقة واسعة وقوية وراء مطلب السلام المتفاوض عليه كما أن بعض زعماء احزاب الوسط كالحزب الراديكالي والحركة الشعبية الجمهورية التي تأتلف في حكومة اليمين اتخذوا مواقف ايجابية لصالح التفاوض.

الحكومة الفرنسية بدورها كانت تتابع نمو وتطور الحركة الاحتجاجية بين الاوساط الشعبية والثقافية، ورغم ان حركة المثقفين لم تكن ذات تأثير كبير على القرار السياسي انذاك الا انها كانت مؤشرا على حقيقة المزاج الجماهيري المتصاعد ضد استمرار الحرب، من هنا ظهرت استجابة جزئية من جانب المسؤولين لهذه المشاعر عندما صرح لاتورنيو وزير شؤون الهند الصينية في شباط (فبراير) ١٩٥٢ ان بلاده لا ترفض التفاوض مع الفيتناميين لكنها لن تبدأ الخطوة الاولى. . وفي كانون الثاني (يناير)

١٩٥٣ التقى لاتورنيو ـ الذي اصبح المفوض العام للهند الصينية خلفا لدي لاتر في ١ نيسـان (ابريل) ١٩٥٢ ـ مع نجوين تشي ممثل الحكومة الفيتنامية في باريس، واعقبه لقاء آخر بين مبعوثين فرنسيين وفيتناميين في رانجون بموافقة وزير الخارجية الفرنسي

في ٣ تموز (يوليو) اعلن جوزيف لانيال رئيس الحكومة الفرنسية ان فرنسا تشعر بان الوقت قد حان لانجاز الاستقلال والسيادة للدول المتعاونة في الهند الصينية، وان ذلك سيتم عبر نقل السلطات التي تحتفظ بها فرنسا لصالح هذه الدول ـ وانها مدعوة لحل المسائل المتعلقة بها في الحقول السياسية والعسكرية والقضائية والمالية والاقتصادية عبر التفاوض مع حكومة باريس، وظلت هذه التصريحات مجرد اعلان سياسي ولم تتخذ اية خطوات تنفيذية على امتداد العام.

ورغم ان سياسـة حكومة لانيال ترتكز على تصعيد القتال في الهند الصينية حتى النهاية القصوى والدفع باتجاه تدويل تلك الحرب، الا ان رئيسها صرح في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) بان الصراع في الهند الصينية لايحتاج بالضرورة الى حل عسكري، وهنا رمى هوشي منـه القفـاز في وجه الفرنسيين عندما اعلن في مقابلة مع صحيفة سويدية موافقتـه ،المبدئية على وقف اطلاق النار من منطلق الاقرار بحق الشعب الفيتنامي في الحياة الكريمة وفي وحدة ترابه الوطني، وقال ان الفيتناميين مكرهون على حمل السلاح لكن لايمكن مسـاومة الشعوب على مصائرها. . وحدد انه اذا كانت حكومة فرنسا ـ بعد استيعابها تجربة السنوات السابقة من الحرب، ترغب في التوصل الى اتفاقية هدنة والتفـاوض لحل المسـألـة الفيتنـامية فان شعب وحكـومة فيتنام الديمقراطية مستعدان لبحث اية اقـتراحـات فرنسية. . وان شرط الهـدنـة تلك،الاحـترام الفرنسي الحقيقي لاستقـلال فيتنام والتفاوض بين الحكومتين ووصف بعض الفرنسيين مقترحات هوشي منـه بالقنبلة المفـاجئـة، وشهـدت الاسـابيع التـالية مزيدا من الضغوط على الحكومة الفرنسية للتفاوض مع الفيتناميين، وجاء ابرز الضغط في داخل الحكومة من رينود نائب رئيس الحكومة، و بيلفن وزير الدفاع، ومن خارجها منديس فرانس وساروت، وزاد الامر احراجا ماكشفته الصحافة في كانون الاول (ديسمبر) عن رفض حكومة رامادية مقترحات هوشي منه السلمية عام ١٩٤٧ مما فتح الباب واسعا امام تصعيد الحرب انذاك!

المفـاوضـات مع هوشي منـه اصبحت مع بداية العـام الجـديد ١٩٥٤، خيارا مطروحـا بقوة، واشارت اختبارات الرأي العام الى الرغبة الشعبية المتزايدة لوضع حد

للحرب، وذكرت صحيفة سونداج التي اجرت مثل هذا الاختبار ان ٦٥٪ مع انهاء حالة الحرب بشكل عام، وان ٤٦٪ منهم مع المفاوضات لانهائها، بينما طالب ١٥٪ بالانسحاب الفرنسي الفوري والكامل، اما داخل الجمعية الوطنية فان نسبة انصار الحرب قد انخفضت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٠ كان عددهم ٣٤٩ عضوا مقابل ٢١٨ لكن في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ انخفض الى ٣٢٥ مقابل ٢٥٧ .

بعض الجهات الفرنسية كانت متحمسة لاجراء المفاوضات لكن عبر مؤتمر دولي يشرف عليها وليست مباشرة. . وقد حاول وزير الدفاع ان يقنع رئيس الدولة لاسال بارسال النائب الاشتراكي سافاري لمفاوضة الفيتناميين عبر موسكو لكن وزير الخارجية جورج بيدو عرقل المهمة بحجة ان «حكومة هوشي منه في ايامها الاخيرة» الامريكيون قاموا بدعم وجهة نظر وزير الخارجية وضغطوا على الفرنسيين لكي لايبدأوا التفاوض بحجة ان فرنسا مازال بامكانها كسب الحرب، وان الفيتناميين في وضع سياسي وعسكري اضعف من الفرنسيين في ساحة الصراع. . لكن الجهود السوفييتية والبريطانية خلال مؤتمر برلين في كانون الثاني (يناير) كانت مغايرة للموقف الامريكي، واثمرت في الدعوة الى عقد مؤتمر دولي لاعادة السلام في الهند الصينية رغم المعارضة.تم التحفظ الامريكي.

في آذار (مارس) كانت آمال الفرنسيين المعارضين للمفاوضات في انجاز نصر عسكري هام قد بدأت تتبخر، وتعزز الاتجاه العام نحو المفاوضات الامر الذي اقرته الجمعية الوطنية في ٩ آذار (مارس) عندما وافقت على التفاوض عبر الاشتراك في مؤتمر جنيف، في هذا الوقت حاول الفيتناميون الجنوبيون استغلال الظروف الجديدة للتوصل الى اتفاق مع الفرنسيين حول منحهم الاستقلال التام قبل بدء اعمال مؤتمر جنيف، وحضر لهذا الغرض رئيس الحكومة بولوك وتبعه الامبراطور لكن الحكومة الفرنسية كانت مشغولة انذاك بمحاولة الحصول على دعم عسكري امريكي نوعي يحسن من وضعها المتدهور في جبهة القتال.

وقد حاول رئيس الاركان بول ايلي خلال زيارته لواشنطن التي بدأت في ١٦ آذار (مارس) ان يحصل على دعم امريكي عسكري مباشر في فيتنام وعلى تهديد امريكي صريح بالتدخل المباشر ضد الصين اذا ماحاول طيرانها العمل لصالح الفيتناميين في ديان بيان فو، لكنه فشل كما لم ينجح في دفع الامريكيين لارسال قاذفاتهم وخبرائهم لزيادة فعالية الطيران الفرنسي. . واتضح انه لم يكن يطمح في الانتصار على الفيتناميين بقدر ماكان يريد اطالة عمر المعركة وتمكين قواته المحاصرة من الاستمرار في القتال حتى بدء اعمال مؤتمر جنيف، لكن الادارة الامريكية لم تكن متفقة في داخلها حول

طبيعة وحجم التدخل الامريكي في ديان بيان فو، وعاد ايلي الى باريس لا يحمل معه سوى وعد رئيس الاركان الامريكي بالمحاولة. . وفي ٤ نيسان (ابريل) طلبت الحكومة الفرنسية رسميا من الامريكيين التدخل لانقاذ الموقف لكن الاجابة جاءت في ٥ نيسان (ابريل) بالاعتذار. . وعندما ساء الوضع العسكري اجتمعت الحكومة الفرنسية وطلبت مرة اخرى التدخل الامريكي بواسطة وزير الخارجية الامريكية دالاس الذي كان مارا بباريس في طريقه الى جنيف في ٢٤ نيسان (ابريل)، الا ان رده جاء سلبياً بحجة ان الوقت قد اصبح متأخراً. . ونصح دالاس الفرنسيين بالا يؤثر سقوط ديان بيان فو على فكرة «العمل الموحد» بين الحلفاء فوافقه الفرنسيون على ذلك بهدف استخدامه كتهديد للضغط على الصين في مؤتمر جنيف، وحاولوا اقناع البريطانيين باتخاذ نفس الموقف لكنهم فشلوا.

في بداية أيار (مايو) كانت الهزيمة الفرنسية مؤكدة تماماً، والامريكيون تخلوا عن نجدة حلفائهم، والجمعية الوطنية الفرنسية انخفض فيها عدد دعاة استمرار الحرب الى ٢٨٩ ومع استسلام الحامية انخفض العدد أكثر .

فاستقالت حكومة لانيال في ١٢ حزيران (يونيو) لفشلها في التوصل الى تسوية خلال جنيف حيث كان وزير خارجيتها جورج بيدو احدى عقبات المؤتمر. . وجاءت حكومة منديس فرانس الذي وعد بتحقيق التسوية السلمية لمشكلة فيتنام في موعد اقصاه ٢٠ تموز (يوليو) والا فانه سيستقيل في حالة فشله. . ومن اجل اعطاء الانطباع حول جديته اصدر امرا الى القوات الفرنسية في المانيا بالاستعداد للقتال في فيتنام

العلاقة مع الاميركيين كانت قد دخلت مرحلة من التوتر قبل مهمة ايلي بكثير، فقد شعرت السلطات الفرنسية ان واشنطن غير متحمسة للحفاظ على دور فرنسي في الهند الصينية، وانها تركز على مسألة «انقاذ فيتنام من الشيوعية» بصرف النظر عن الطريقة والوسيلة لذلك كانت الحكومة الفرنسية في موقف او معادلة صعبة، فهي بحاجة الى المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية لاستمرار وجودها ودورها في المنطقة، وفي نفس الوقت تدرك ان الوجود الامريكي المرافق لهذه المساعدات يشكل خطراً ماثلاً وقوة بديلة عنهم. . ومن هنا لم يتحمس ولم يرحب الفرنسيون بوصول الضباط والمستشارين الامريكيين الى المنطقة هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كانوا يعارضون ارسال مساعدات امريكية مباشرة لحكومات وجيوش بلدان المنطقة، لدرجة ان نافار الذي جاء بناء على اتفاق فرنسي ـ امريكي مشترك والذي شن هجماته بالمساعدة الامريكية شكا من التدخل الامريكي في الشؤون الداخلية للفرنسيين في المنطقة، وشكك في قيمة المساعدات الامريكية التي وصلت متأخرة على حد تعبيره.

ثانياً: الامريكيون من الابتزاز الى العرقلة:

الدور الامريكي في هذه المرحلة مضى في اتجاهات نشطة، لدعم الجهد العسكري الفرنسي بالقدر الذي يعزز الوجود العسكري والاستخباري الامريكي، وبتهديد الحلفاء بخطر الزحف الشيوعي اذا لم يبادروا الى العمل المشترك ضد الصين، وبمحاصرة المفاوضات والتوجه التسووي عند الفرنسيين كلما احتاجوا الدعم الامريكي.. قدم الفرنسيون عام ١٩٥٣ سلسلة من طلبات المساعدة العسكرية الى الادارة الامريكية، وتورطوا في مشاريع عسكرية واسعة وطموحه بالتنسيق مع القيادة الامريكية كان ابرزها خطة نافار الشهيرة، وفي المقابل كانت واشنطن تدس بأنفها في كثير من شؤون الفرنسيين في الهند الصينية.

في بداية العام الجديد ١٩٥٤ درس الرئيس الامريكي مع مستشاريه[11] اللائحة الفرنسية الجديدة من الطلبات والتي اعتبرتها القيادة العسكرية الامريكية كبيرة، ومع ذلك جرى تعديلها، او الحسم عليها.

وفي مقابل ذلك يتم تعزيز وضع المجموعة الاستشارية العسكرية الامريكية، ويرسل لقيادتها الجنرال او دانيل، والجنرال دايني لمساعدته وتتوسع مهماتها وصلاحياتها بحيث تساهم في شؤون التدريب، والتخطيط العسكري، كذلك تمت الموافقة على ارسال العقيد لانسديل من الاستخبارات ضمن المجموعة الاستشارية يعمل تحت ستارها، ويجري التنسيق بين المجموعة الاستشارية.. ومجموعة الضباط الخمسة المستشارين للقائد الفرنسي نافار.. في نفس الوقت اعدت اللجنة الخاصة بالتهديد الشيوعي توصياتها للرئيس والتي تضمنت:

- ضرورة بقاء الهند الصينية خارج السيطرة الشيوعية واهمية هزيمة «الفيت منه» لوقف انتشار النفوذ الشيوعي الى جنوب شرق اسيا.
- ضرورة قيام واشنطن باتخاذ الاجراءات مع الحلفاء او بدونهم، لتبيان تصميم الغرب وقدرته على هزيمة الشيوعية.
- اهمية احراز نصر عسكري في الهند الصينية يُحافظ على مركز الغرب، على ان يجري تدعيم بقية بلدان جنوب شرق اسيا.

وطالبت اللجنة الادارة الامريكية الا تقبل باقل من النصر العسكري في الهند

---

(١١) وقد شكلت لذلك الغرض «اللجنة الخاصة بالهند الصينية» والتي كان انشاؤها ايذاناً بدخول السياسة الاميركية في الهند الصينية مرحلة جديدة من التدخل المباشر والمكشوف في الادارة السياسية والعسكرية.

الصينية. . ومن هنـا كان الالحـاح على فرنسـا بقبول هذا الشرط، والا فان الولايات المتحدة سوف تعارض اية تسوية سلمية عبر المفاوضات ولن تكتف بالمعارضة فقط بل ستتفق مع الدول الصغيرة في المنطقة على استمرارها في القتال بدعم نشيط من واشنطن وبدون مساعدة فرنسا اذا لزم الامر. في تلك الفترة كان مؤتمر برلين قد انعقد بين الكبار الاربعة وتقرر فيه عقد مؤتمر جنيف لبحث مشاكل الشرق الاقصى (كوريا ـ فيتنام) في نيسـان (ابـريل) ١٩٥٤ فاتجهت واشنـطن نحـو تخريب المؤتمر او افشاله قبل ان يبدأ وخلال الشهور القليلة التي سبقت المؤتمر تركزت السياسة الامريكية في:

ـ التهديد بالضغط السياسي والاقتصادي على فرنسا لمواصلة الحرب في الهند الصينية، ومعارضة اي اتفاق لوقف اطلاق النار قبل النصر العسكري الغربي او الهزيمة الشيوعية.

ـ تنظيم حملة دعائية واسعة تشارك فيها المخابرات المركزية في منطقة جنوب شرق اسيا لنشر الرعب من خطر الشيوعيين الزاحف جنوبا لابتلاع بلدان تلك المنطقة.

ـ ايجـاد تنـظيم اقليمي بين بلدان جنـوب شرق آسيا ذي طابـع تعـاون اقتصادي في البداية، على ان يشمل اليابان ويصبح حلفاً للامن المتبادل في مرحلة لاحقة، وتقدم له امريكا الدعم الاقتصادي والعسكري المطلوب.

ان الفكـرة الاسـاسية التي سيطرت على مخططي السياسـة الامـريكية في تلك الفترة، هي العمل على «منع سقوط الهند الصينية في ايدي الشيوعيين» بكافة الوسائل المتـاحـة، فرنسيا، امـريكيا، محلياً، لان ذلك اقل تكلفة من العمل على اعادتها الى «العالم الحر» بعد سقوطها كما انه سيجنب الغرب الدخول في حرب مباشرة مع الصين او الاتحاد السوفييتي. .

وكانت الدوائر الاستخبارية الامريكية قد رصدت هبوط الرصيد الامريكي لدى جنـوب شرق اسيا الامـر الـذي يستـدعي منع انهيار الهند الصينية لكي لاتنهار اكثر معنويات الدول المجاورة ودول اسيا الحليفة والصديقة! كما ذكرت تلك المصادر[١٢].

في هذا النـطاق جاءت تصريحات تشارلز ويلسون وزير الدفاع الامريكي في ٩ شباط (فبراير) الزاعمة انه مازال في وسع الفرنسيين كسب الحرب في الهند الصينية. .
وتصريحات هارولد ستاسين رئيس ادارة المساعدات الخارجية بعد عودته من زيارة فيتنام بان قوة المقاتلين من اجل الحرية! تنمو وتتطور، بينما القوات الشيوعية تضعف. . على المستـويات السياسية والعسكـرية. . » وبعد أيام بدأت معركة ديان بيان فو. وذهب

---

(١٢) المصدر، من وثائق البنتاغون، التاريخ السري لحرب فيتنام ـ الجزء الاول ص ٥٥ ترجمة محمد انيس ـ حمدي عبد الجواد ـ المؤسسة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة

الجنرال ايلي رئيس هيئة الاركان المشتركة الفرنسية الى واشنطن يطلب عونا امريكيا مباشرا، لكنه اكتشف تردداً امريكيا واضحا في الاجابة على طلباته واصابه اليأس. فقرر العودة الى باريس الّا ان الادميرال رادفورد رئيس هيئة الاركان الامريكية طلب اليه تأجيل عودته ليوم واحد، ٢٥ ـ ٢٦ آذار (مارس)، لان الرئيس ايزنهاور سيعتمد الخطة التي اعدتها الاركان لتوجيه ضربة جوية امريكية قاصمة ضد القوات الفيتنامية المحاصرة لديان بيان فو. وفي ٢٧ آذار ابلغ ايلي حكومته بالخبر السار. ولكن القيادة الامريكية لم تكن متفقة فيما بينها على طبيعة المساعدة الامريكية للفرنسيين في ديان بيان فو وحدودها ومدى تمشيها مع السياسة والمصلحة الامريكية المقررة تجاه مشكلة الهند الصينية وجنوب شرق اسيا. وكان هناك ثلاث وجهات نظر:

ـ الادميرال رادفورد Radford رغم معارضة دوائر في الكونجرس والاركان اعد خطة «النسر» Vulture التي تقضي بقيام الطائرات الامريكية الموجودة في قواعد الفلبين، وعلى ظهر حاملات الطائرات في المحيط الهادي بالاغارة على القوات والفعاليات والمواقع الفيتنامية وتدميرها. عندما يتطلب الموقف[١٣].

ـ دالاس وزير الخارجية كان يختلف مع رادفورد في تحمسه للضربة الجوية المحدودة، وكان يرى ان التدخل الامريكي يجب ان يوفر الحماية للهند الصينية كلها وذلك باستمرار الحرب حتى هزيمة الشيوعيين وليس لتحسين وضع فرنسا فقط. وهذا يستدعي قيام تحالف غربي واسع بزعامة واشنطن. وقال دالاس في ٢٩ آذار (مارس) «ان العدوان الشيوعي في الهند الصينية يجب ان يوقف فقط عبر عمل موحد بين الدول الغربية والحلفاء الاسيويين»، وفي ٣ نيسان (ابريل) دفع دالاس اجتماع مشترك لمسؤولي الادارة والكونجرس الى اتخاذ قرار ينص على ان اي عمل عسكري امريكي، حتى لو كان ضربة جوية واحدة يجب ان يحظى بتأييد الحلفاء، بذلك افشل جهود رادفورد وألغي خطة النسر.

ـ نيكسون، نائب الرئيس كان يمثل اتجاها ثالثاً يرى ان فرنسا تهدف من وراء المساعدة الامريكية الى تحسين شروطها التفاوضية لا اكثر، وهذا يتعارض مع الخطة الامريكية بهزيمة الشيوعيين، وسياسة عدم تقديم التنازلات لهم. ويرى نيكسون انه طالما الصين الشيوعية موجودة فان الحرب في الهند الصينية ستستمر لذا فعلى امريكا ان تتحرك مباشرة وعبر قواتها المسلحة لوقف الشيوعية في اسيا حتى لو لم يكتمل تأييد

---

(١٣) وقد كانت احدى تلك الحاملات توجهت فعلا الى خليج تونكين، للاطلاع على «خطة النسر» انظر كتاب التجربة العسكرية الفيتنامية ص ١٦٠

الحلفاء . .

بعد عودة ايلي الى باريس تشكل مجلس حربي في ٢٩ آذار (مارس) لمتابعة الموقف العسكري وارسل مبعوثا عنه الى هانوي لبحث الموقف مع نافار الذي طلب التعجيل بقصف وتدمير مواقع المدفعية الفيتنامية المحيطة، وإلاّ فان الحامية الفرنسية لن تصمد كثيراً، وعلى هذا استدعي السفير الامريكي في باريس دوجلاس ديلون في ٤ نيسان (ابريل) وطلب الفرنسيون منه تدخل حاملة الطائرات الامريكية لضرب الفيتناميين حسب الاتفاق مع ايلي لان التدخل الصيني في الحرب قد تم التثبت منه وهو يشمل المستشارين العسكريين على مستوى القيادة والفرق الفيتنامية ومئات المدافع والمضادات والاليات العسكرية والاسلحة والذخائر المختلفة . .

جورج بيدو أبلغ السفير أيضاً «أن مصير الهند الصينية خيراً أو شراً يتوقف على ديان بيان فو»[١٤] لذلك لابد من عمل امريكي جاد خلال ايام قليلة . . وان التدخل الجوي الامريكي ضروري ومصيري حتى لو ادى الى قيام الطيران الصيني بقصف كل مطارات الشمال وفي مقابل ذلك أفهم السفير ان فرنسا لديها الاستعداد لدراسة اقتراح دالاس حول اقامة حلف جنوب شرق اسيا.

لكن الرد الامريكي جاء في اليوم التالي بالاعتذار لعدم وجود الوقت الكافي للتدخل وكما يقول دالاس في برقيته الى سفيره انه من غير الممكن القيام باعمال حربية في الهند الصينية دون تفاهم سياسي كامل مع فرنسا والبلدان الاخرى وأن اي عمل عسكري يتطلب موافقة الكونجرس لذلك فان الادارة الامريكية تقوم باعداد الرأي العام والكونجرس من اجل «العمل الموحد» في الهند الصينية على اساس التحالف بين الدول المعنية ومشاركة الكومنولث البريطاني . .

وعندما تلقى الفرنسيون الرد الامريكي ادركوا حقيقة الشروط الامريكية وطلبوا من السفير الامريكي ابلاغ حكومته ان الفرصة قد فاتت لتشكيل تحالفات جديدة لان مصير الهند الصينية سيقرر خلال عشرة ايام في ديان بيان فو، وان فرنسا رغم الموقف الامريكي مصممة على القتال وحدها . .

الادارة الامريكية ـ ودالاس على وجه الخصوص ـ لم تكن قلقه على مصير الجنود الفرنسيين في ديان بيان فو بقدر ماكان يهمها اخضاع الفرنسيين لسياستها في المنطقة، لذا اعرب وزير الخارجية الامريكي عن اعتقاده ان سقوط ديان بيان فو ليس نهاية

---

(١٤) من وثائق البنتاغون ـ الجزء الاول ص ٥٦

العـالم. . بل انـه يمكن الاستمـرار في خطة نافار والصمود لمدة عام كامل جديد يتم خلاله الاتفاق على وبناء العمل الموحد المنتظر. وانه خلال هذه الفترة يمكن تكتيكياً التهديد بالعمل الموحد للتأثير على مفاوضات جنيف الا ان الفرنسيين رفضوا المشاركة في هكـذا خطوة، واعلنـوا في ٦ نيسـان (ابريل) رفضهم لاقتراح دالاس كذلك فعل البريطانيون في اليوم التالي.

وزير الخـارجية الامـريكية حاول استمالة الـبريطانيين خلال زيارة قام بها للندن واسفرت عن صدور بيان مشترك في ١٣ نيسان (ابريل) يدعو الى بحث امكانيات عمل موحد في اطار ميثاق الامم المتحدة. . دالاس اعتبر ذلك تأييدا لوجهة نظره وفور عودته الى واشنـطن دعا الى عقد لقاء لبحث المشروع مع سفراء الدول المعنية في ٢٠ نيسان (ابـريل) الّا ان الحكـومـة البريطانية طلبت من سفيرها عدم الحضور. . واعتبرت ان الامـريكيين اساءوا فهم البيان المشترك. . وهكذا جمد مشروع دالاس بسبب الرفض الفرنسي والبريطاني.

من برلـين شبـاط (فـبراير) الى جنيف أيار (مايو) ايار حاول الامريكيون عرقلة المفـاوضـات، ومـارسـوا ضغـوطهم على الفرنسيين لكبح توجهاتهم للتفاوض وتقديم التنـازلات للشيوعيين الفيتنـاميين واحيانـا عن طريق خلق الاوهام حول الامكانيات العسكـرية، الاّ ان الجمعية الوطنية الفرنسية حسمت الموقف بتأييد المفاوضات، وهنا انتقل التكتيك الامريكي من عرقلة المفاوضات الى عرقلة التسوية. .

اول تطبيقـات هذه السياسة كانت المعـارضة الامريكية الشديدة لمقترحات بيدو لوقف اطـلاق النار في الهند الصينية، فالموقف العسكري كان قد تدهور نهائيا في ديان بيان فو، والفرنسيون اكثر من غيرهم ادرى بحجم الكارثة التي حلت بهم ومضاعفاتها لذلـك قدمـوا مشروعـاً لوقف ا طلاق النـار الاّ ان واشنـطن قررت في ٧ أيار (مايو) معـارضـة المشروع لانـه «سيحـطم عزيمة المقاتلين الفرنسيين ويزيد الانضمامات الى القوات الشيوعية ولان الشيوعيين لن يتمسكوا به ولن يحترموا وقف اطلاق النار. .»[١٥].

ومرة اخـرى طرحت القيادة الامريكية استمرار القتال كبديل ووعدت بالتدخل لمسـاعـدة الفـرنسيين حتى بالقوات العسكرية اذا وافقت فرنسا على مجموعة شروط، اهمهـا منـح البلدان الثـلاثـة في الهنـد الصينية حرية حقيقية، والتنـازل للعسكـريين الامــريكيين عن شؤون تدريب الجيوش المحلية، ومشاركتهم مسؤولية التخـطيط العسكري مع استمرار الجنود الفرنسيين في القتال. . وموافقة باريس على تدويل المعركة

---

(١٥) المصدر السابق ص ٥٨

لكن الحكومة الفرنسية سقطت قبل ان تبحث الشروط الجديدة وجاءت حكومة البحث عن تسوية برئاسة منديس فرانس، **فحاول الوفد الامريكي في جنيف** عرقلة التنازلات المتبادلة بين الفرنسيين والوفود الاشتراكية التي كانت تصر على الغاء القواعد العسكرية ومنع قيام اي تحالف معادي في جنوب شرق اسيا مقابل الموافقة على تقسيم فيتنام، **ولم يتنازل الامريكيون** في موضوع حلف سياتو كما رفضوا التوقيع على اي اتفاق يعطي الشيوعيين موطىء قدم في الهند الصينية واستمر هذا الموقف حتى اليوم الاخير في مؤتمر جنيف، وتعليمات الادارة الامريكية لوفدها في جنيف كانت مشددة بعدم عقد اتفاقات او اتصالات تشكل اعترافا سياسياً بالصينيين او الفيتناميين، وبان الوجود الامريكي في المؤتمر هو بشكل رمزي كدولة معنية فقط، ليست محاربة ولا اساسية في التفاوض لذلك يجب عدم الموافقة لا الضمنية ولا الصريحة على اي قرار لوقف اطلاق النار او الهدنة او التسوية التي قد تضر بالحكومات الشرعية القائمة او **بالقوات وفي ١٢/٥** عام ٥٤ ابلغ الرئيس ايزنهاور مندوبه في المؤتمر ان مهمة أمريكا مساعدة بلدان المنطقة على التمتع باستقلالها ووحدتها في ظل حكومات حرة ومستقرة بشرط الا ترتبط «بالكتلة الشيوعية» لذلك بامكانه ان يتعاون مع الوفد الفرنسي والوفود الصديقة فقط ضمن تلك الحدود. . ومنحه صلاحية الاحتفاظ بموقف مراقب في المؤتمر او حتى الانسحاب منه اذا اضطرته الظروف! **وسنلاحظ في هذه المرحلة أن الموقف الامريكي وبعد** انتصار الثوار الفيتناميين في ديان بيان فو وقبول الفرنسيين بوقف اطلاق النار دخل مرحلة التهديد المباشر بشن الحرب ضد فيتنام الشمالية والصين، هذا ماتؤكده وثائق البنتاغون. . فقد رفع رئيس الاركان رادفورد تقريرا الى وزير الدفاع تشارلز ويلسون في ٢٦ أيار (مايو) ضمنه ملاحظاته حول طبيعة التحرك الامريكي الممكن في المنطقة . . **ووجدنا دالاس يطلب من مندوبه في جنيف** المماطلة ما امكن ذلك في موضوع الانتخابات العامة المقترحة، واذا امكن ابقاء الفترة الزمنية الفاصلة بين وقف اطلاق النار والانتخابات مفتوحة بلا تحديد. . كذلك حاول الامريكيون الضغط على الفرنسيين داخل المؤتمر لكي لايقبلوا اية شروط تؤثر على «الاشراف الدولي الفعال على تنفيذ الاتفاق، بشكل مباشر او غير مباشر»

بالنسبة للموقف من الاتفاق النهائي ابلغت الادارة الامريكية مندوبها بالاّ يعارض اية تسوية تتفق مع بنود الاتفاق الامريكي البريطاني السري. . لكن ذلك لايعني ان تضمن واشنطن اية تسوية او تؤيدها علناً. . فقط يمكن الاشارة الى ان امريكا لن تمزق التسوية بالقوة، بشكل مباشر او غير مباشر!

ثانياً: الطريق الى جنيف

أ ـ الفيتناميون والخيار المر:

فكرة مؤتمر جنيف انطلقت من مؤتمر برلين (٢٥/١ ـ ١٩٥٤/٢/١٨) الذي لم يسفر عن أية اتفاقيات مهمة في المسألة الالمانية. وشهد محاولات سوفييتية وأمريكية لشد فرنسا اليهما، فكانت موسكو ترغب في ابعاد باريس عن مجموعة الدفاع الاوروبية EDC في مقابل الضغط الامريكي على الفرنسيين للانضمام اليها.

وفي الايام الاخيرة للمؤتمر نوقش اقتراح بعقد مؤتمر حول الشرق الاقصى، لبحث الصراع الشرقي ـ الغربي حول كوريا، وامكانية التوصل الى تسوية بخصوص حرب الهند الصينية، وزيرالخارجية الامريكية دالاس كان المعارض الوحيد، بحجة ان واشنطن لن توافق على اية تسوية يمكن ان تؤدي الى تنازلات «للشيوعية» او تعني حضور الصين الشعبية كاحدى الدول الكبرى، إلاّ ان الجهود التي بذلها كل من وزير الخارجية السو فييتية مولوتوف، والبريطاني ايدين اسفرت عن اقناع الامريكيين بالموافقة على الحضور، على ان تكون دعوة الدول للمشاركة في المؤتمر بصفتها «معنية» بالمشكلة وليست كدولة كبرى، واخرى صغرى، وان تكون طاولة المفاوضات مستديرة تجنباً للاشكالات الدبلوماسية. . . وبعد عودته الى بلاده عاد دالاس ليصرح ان بلاده لن تتقابل مع الصين الشيوعية في المؤتمر المقترح إلاّ اذا تلقت تعهداً كافياً بأن ذلك لن يشكل اعترافاً امريكياً بحكومة بكين. . .

لم تكن امريكا هي العقبة الوحيدة التي احتاجت الى تذليل، بل احتاج السوفييت والبريطانيون جهوداً اضافية منذ شباط/ فبراير حيث تقرر عقد المؤتمر في جنيف، وحتى ٢٦/٤ موعد افتتاح المؤتمر،لاقناع الحكومة الثورية والحكومة الجنوبية بالمشاركة، حيث كان لكل منهما تحفظاته الخاصة، فالجنوبيون بكافة اتجاهاتهم، سواء كانت معادية للشيوعيين، او للفرنسيين، او للامبراطور. كانوا يشعرون ان فرنسا التي ظلت تستخدمهم كاداة في صراعها ضد الشيوعيين، قد قررت التخلي عنهم في صفقة دولية، وانها لن تتردد في التخلص منهم اذا شعرت أنهم عقبة في طريق التسوية. . . لذلك قرروا الاّ يشاركوا، والا يكونوا طرفاً في التسوية، لكن البريطانيين وحلفائهم الغربيين تولوا مهمة اقناع، وتطمين، والضغط على حكومة الامبراطور للمشاركة.

اما الحكومة الثورية فقد كانت تدرك ان موقفها العسكري جيد، وبالتالي فهي تفضل مفاوضات مباشرة وثنائية مع الفرنسيين، تحقق فيها تنازلات فرنسية تتناسب

وميزان القوى في ساحة القتال، وتعكس الامكانيات المستقبلية في تطور الصراع. . .
من هنا كان الفيتناميون يسعون الى تجنب اية تنازلات قد تفرض عليهم في مؤتمر دولي بحضرة الكبار، وفي هذا الاتجاه سجلت توجيهات وتعليقات اذاعة الثورة، لقد كان طموح القيادة كما الكوادر والمقاتلين يصل الى حد انجاز النصر الكامل على الفرنسيين، تلك كانت ايضا اتجاهات تثقيف الكادر السياسي والعسكري وتعبئة الرأي العام

من الواضح ان الاتحاد السوفييتي والصين لعبا دوراً هاماً في اقناع حكومة هوشي منه بحضور المؤتمر وان اتفاقا سوفييتياً صينياً قد تم التوصل اليه في هذا الشأن، وقد فسر المراقبون الغربيون حماسة السوفييت للمؤتمر، بحاجتهم - بعد وفاة ستالين - الى فترة استراحة، وتبريد التوتر الدولي، والاتجاه لانجاز المشروعات التنموية الاقتصادية الكبيرة على المستوى الداخلي، وعرقلة مشروع الدفاع الاوروبي عن طريق اخراج فرنسا منه، وكسب دعم باريس لادخال الصين حلبة المسرح الدولي. .

الصين الشعبية بدورها كانت قد خرجت من تجربة كوريا، التي كلفتها مليون ضحية، ومضت في اتجاه اعادة البناء الاقتصادي، والتحول الاشتراكي، بمشاريع كبيرة وطموحة، تشكل اساسا لقوتها العسكرية والسياسة المنتظرة، كما انها بحاجة الى اعتراف عالمي بسلطتها، يخولها حضور المؤتمر الدولي والانضمام الى نادي الخمسة الكبار في العالم. . وقد رجَّح بعض الغربيين ان بكين لم تكن ترغب في كورية جديدة ولا مؤهلة لمواجهة تدخل امريكي مباشر على حدودها الجنوبية، كما انها كانت مهتمة «بتأمين المساعدات الفنية والاقتصادية من الاتحاد السوفييتي لانجاز خططها»(١٦).

السوفييت والصينيون كانوا يشعرون وبتحليل اوضاع الطرف الغربي، وتناقضاته الداخلية وخاصة الموقف الفرنسي، بامكانية تحقيق انجازات هامة للمعسكر الاشتراكي، ومكاسب مؤكدة للفيتناميين من خلال المؤتمر، ومن هنا تشجيعهم للقيادة الفيتنامية وحثها على الحضور، وبعد ذلك التحرك داخل المؤتمر كجزء من كتلة اشتراكية موحدة ومتماسكة.

وقد لاحظت أن الفيتناميين لم يتحدثوا كثيراً عن تلك الفترة الحرجة في علاقاتهم. مع السوفييت والصين بشكل علني ومباشر، الا بعد الخلافات الحادة **١٩٧٩** مع بكين، حيث اعترفوا بتلك الضغوط في المذكرة التي اصدرتها وزارة الخارجية ووثائق اخرى، لكنهم عزوها الى «قادة الصين الذين استغلوا كون الصين مصدرا هاماً لامدادات السلاح لفيتنام، وفرضوا انفسهم كمفاوضين رئيسيين مع الامبرياليين الفرنسيين. من

---

(١٦) المصدر Joseph Buttinger vol II P. 1089

اجل القيام بدور دولة عظمى في تسوية المعضلات الدولية وخاصة في اسيا»[١٧].

قبيل افتتاح المؤتمر، عقد اجتماع ثلاثي سوفييتي، صيني، فيتنامي للتنسيق بين الاطراف الثلاثة والخروج باستراتيجية تحرك مشتركة داخل المؤتمر، ويبدو ان الاجتماع خرج باقناع الفيتناميين او على الاقل تهيئتهم لقبول تنازلات محددة في المؤتمر، وقد كشفت هانوي لاحقا ان الصينيين قد هددوا في ذلك الاجتماع بأنه لن يكون بمقدورهم تقديم مساعدات مباشرة «مكشوفة» اذا اتسع نطاق النزاع في الهند الصينية اي اذا دخلت الولايات المتحدة طرفا مباشراً في الميدان واتهمت هانوي الصينيين انهم كانوا في ذلك الوقت يدفعون باتجاه عقد مؤتمر جنيف لكي يبدأوا اتصالاتهم الاولية مع الامبرياليين «عبر المفاوضات المباشرة في جنيف ثم في فرصوفيا»[١٨].

الفرنسيون لم يكونوا بحاجة احد لكي يقنعهم بحضور المؤتمر، فرغم الانقسامات التي كانت بينهم في تلك الفترة الا انهم لم يكونوا يرغبون في استمرار الحرب التي كبدتهم خسائر فادحة، وحسب ماأعلنه رئيسهم اوريول فان خسائر فرنسا منذ عام ١٩٤٥ حتى نهاية ١٩٥٢ بلغت في الارواح ٩٠ ألفا بين قتيل وجريح ومفقود واسير، كما كلفتها الحرب خلال نفس الفترة ١,٦ تريليون فرنك، اي ضعف المساعدات الامريكية المقدمة لفرنسا وفق مشروع مارشال، وعشرة اضعاف قيمة الاستثمارات الفرنسية في كل الهند الصينية،ان وجود ١٥٠ الف جندي ضمن القوات الفرنسية في الهند الصينية بشكل دائم ـ انذاك ـ ادى الى اضعاف الوجود العسكري ـ الفرنسي في اوروبا ولم يخلق القلق لدى الدوائر العسكرية الفرنسية وحدها، بل امتد الى القيادات السياسية التي رأت الحرب الفيتنامية تستنزف من الميزانية العسكرية ٣٣,٥ بالمائة ومن الميزانية العامة اكثر من ١٠ بالمائة رغم المشاركة الامريكية في دفع نفقات تلك الحرب.

البريطانيون كما رأينا سابقا كانوا متحمسين لعقد المؤتمر، في اجواء التناقضات التي ظهرت في علاقاتهم مع الامريكيين تجاه عدة مناطق، وكان تشرشل يحاول البحث عن مهرب من الضغوطات الامريكية المتزايدة على لندن لجرها الى عمل عسكري في الهند الصينية، وكان يستغرب ان تقوم بلاده ـ التي فضلت الانسحاب من الهند ومستعمرات اخرى على القتال ـ بارسال قواتها للقتال في المستعمرات الفرنسية . .

---

(١٧) الحقيقة حول العلاقات الفيتنامية ـ الصينية خلال الثلاثين سنة الاخيرة ـ اصدار وزارة الخارجية الفيتنامية الناشر دار الفارابي بيروت ١٩٨٠ ص ١٥

(١٨) المصدر السابق نفس الصفحة .

ب ـ المؤتمر من الدولي الى الثنائي:

دعيت الى الاجتماعات وفود الدول الخمس الكبرى بالاضافة الى وفود فيتنام ولاوس وكمبوديا وكذلك مبعوث هندي بصفة مراقب دعي لاحقا. . وقد شكلت دعوة وفد فيتنامي اول مشكلة صادفها المؤتمر،حيث لا تعترف الدول الغربية بجمهورية فيتنام الديمقراطية، والجنوبيون لا يقبلون بها ممثلا لهم بالطبع، فاتخذ قرار بدعوة وفد شمالي وآخر جنوبي، الوفد الشمالي برئاسة فام فان دونغ نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية بالوكالة وعضوية فان انه، هوانغ هوا، تابوو، ها فان لو، تران ترونغ، كان موجودا في برلين عندما وصلته الدعوة لحضور المؤتمر في ٥/٣ فسافر فورا الى جنيف وانضم الى المؤتمرين دون تردد، اما الجنوبيون فظلوا يرفضون الحضور لكي لايعني ذلك اعترافاً منهم بحكومة هوشي منه وتمثيلها للفيتاميين حتى بعث وزراء خارجية امريكا وفرنسا وبريطانيا برسالة مشتركة الى الامبراطور يطمئنونه الى ان سيادة دولته لن تنتهك، فاوعز الأخير الى وزير خارجيته نجوين دنه ومساعده نجوين خي بحضور المؤتمر. . وخلال جلسات المؤتمر ظل الوفد الجنوبي يحتفظ بمقر اقامته خارج المؤتمر احتجاجا على وجود وفود شيوعية. . وبحجة انهم موجودون في جنيف فقط لاجراء مشاورات مع الحلفاء الغربيين وليس لمناقشة الشيوعيين. الوفد الامريكي كان برئاسة دالاس لكنه غادر المؤتمر بعد اقفال المؤتمرين لملف المشكلة الكورية (٤/٢٦ ـ ٥/٥) أي قبل البحث في مشكلة الهند الصينية بثلاثة ايام، وكلف نائبه بيدل سميث برئاسة الوفد، الصيني كان برئاسة شوان لاي، والسوفييتي برئاسة مولوتوف والفرنسي برئاسة بيدو والبريطاني ايدن وهم وزراء الخارجية، وقد تقرر ان يترأس المؤتمر ايدن ومولوتوف على التوالي لان بقية الكبار الخمسة اما غير مؤهلين او غير موافق عليهم لتلك المهمة.

افتتح ايدن الجلسة الاولى للمؤتمر، أعقبته كلمات الوفود الاخرى ثم اخذ المؤتمر شكل محادثات ثنائية واتصالات، للتعرف على الافكار والمشروعات المطروحة، كان ابرزها اللقاءات بين الفرنسيين والصينيين والتي شملت اربع جلسات، منها ثلاثة في عهد حكومة لانيال والاخير في ٦/٢٣ مع منديس فرانس حيث وضع شوان لاي، نيابة عن الوفود الاشتراكية الخطوط العريضة للاتفاق الممكن. . كذلك برز في تلك المرحلة الاولى من المؤتمر دور الوفد البريطاني الذي كان من انشط الوفود،ولرغبته في التوصل الى اتفاق لن تخسر منه بريطانيا كما انها لم تكن قلقة جداً من النفوذ الشيوعي في الهند الصينية لكن رئيس الوفد الفرنسي بيدو لم يكن متحمساً للتوصل الى تسوية ولا حتى للمشاريع التي تقدمها حكومته.ورئيس الوفد الامريكي يريد افشال المؤتمر وعدم اعطاء

الشيوعيين اي تنازل. . رفض الفرنسيون التحادث مع الفيتناميين الشماليين. . ورفض الامريكيون التحادث مع الصينيين، ولم يساعدا حليفهما البريطاني في انجاح مهمته.

في تلك المرحلة اعلن فام فان دونغ موقف بلاده الذي يتلخص في وقف الاعمال الحربية في كل المنطقة، الهند الصينية، والشروع الفوري في حل سياسي لكل من مشكلة فيتنام ولاوس وكمبوديا على اساس احترام استقلال وسيادة وسلامة اراضي البلدان المذكورة، ورفض اية تنازلات سياسية ذات اهمية. اما وزير الخارجية الجنوبي فقد القى خطابا نارياً امام المؤتمر في ٥/١٢ محدداً معالم التسوية التي تعترف بدولة فيتنامية واحدة لكل الاتجاهات برئاسة الامبراطور وجيش واحد تنضم له القوات الشيوعية والجيش الامبراطوري وحكومة واحدة تتشكل بعد انتخابات عامة ضمن اطار الدولة وبعد استتباب الامن في كل البلاد ويرأسها الامبراطور ـ ثم اعلن معارضة بلاده لمشروع تقسيم فيتنام سواء تم بشكل مباشر او غير مباشر مؤقت ام دائم، كأمر واقع او كتسوية. . ولم يتجاوب مع خطاب دنه من الحضور الآ المندوب الامريكي الذي وقف واعلن تأييد بلاده للمقترحات المذكورة.

كان «تقسيم فيتنام» من اكثر المشاريع المطروحة رواجاً، ويبدو ان الجميع قد وافقوا عليه من حيث المبدأ مبكراً، باستثناء الوفد الامريكي والجنوبي اما **الفيتناميون والفرنسيون** فقد كانوا مختلفين حول التفاصيل، وكان دور الوفد الصيني ايجاد حل وسط، بينما كان البريطانيون يحاولون اقناع الامريكيين بالموافقة على التقسيم.

في كلمة القاها فام دونغ في جلسة فرعية[١٩] في ٥/٢٥ اعلن ان التقسيم امر مقبول لحكومته لكن كحل مؤقت يساعد الطرفين على فصل قواتها واعادة تنظيمها في منطقتين، قبل التوصل الى التسوية السياسية النهائية بتوحيد البلاد عبر الانتخابات العامة. . وفي لقاء صيني ـ فرنسي في اواخر الشهر اقترح الصينيون خط عرض ١٦ للتقسيم ضمن تصور عام لاتفاق وقف اطلاق النار.

وظل المؤتمر يراوح مكانه ولم ينجز شيئاً محدداً، بسبب عدم جدية وزير الخارجية الفرنسي بيدو، والمحاولات الامريكية المستمرة لعرقلة التسوية. . حتى سقطت حكومة لانيال، وكلف منديس فرانس بتشكيل حكومة جديدة جادة في ٦/١٢.

في هذه الفترة دخلت المفاوضات مرحلة حاسمة، التنازلات فالتسوية. . وكانت الصورة كالتالي: الوفود الاشتراكية كانت اكثر تماسكا، اساسه اتفاق سوفييتي ـ صيني كامل حول الاهداف المطلوبة والتنازلات المطلوبة، وتكتيكات ـ متفق عليها ـ اثناء

---

(١٩) المصدر Joseph Buttinger vol II P. 822

المناقشات بين شوان لاي، ومولوتوف في رئاسة المؤتمر، والوفد الفيتنامي، الذي يتجرع التنازلات دون اظهار آلامه أمام الوفود الغربية، . . . . وعلى الطرف الآخر كانت الوفود الغربية، تمزقها الخلافات، فرنسا تريد تسوية مشرفة، بريطانيا تريد نجاح المؤتمر، امريكا تريد افشاله لاجبار حلفائها على الموافقة على خطة العمل المشترك ضد الشيوعيين في جنوب شرق اسيا، وفرنسا بحاجة الى الدعم الامريكي لكن الثمن غال. . توريطها من جديد في الحرب. . والوفود الصغيرة التابعة:فيتنام الجنوبية، لاوس، كمبوديا لا احد يكترث بها.

وقد اتخذت التطورات في المؤتمر بعد ذلك اتجاهين:

البريطانيون ينشطون في الضغط على واشنطن للموافقة على التقسيم. . والسوفييت مع الصينيين ينشطون بين الفرنسيين والفيتناميين للضغط من اجل الاتفاق على تفاصيل التنازلات المتبادلة.

وقد نجحت بريطانيا عندما توصل ايزنهاور وتشرشل خلال محادثاتهما من ٢٤ ـ ٦/٢٩ الى مذكرة تفاهم سرية بوجود وزيري خارجيتهما دالاس وايدن، وافقت فيها واشنطن على قبول تقسيم فيتنام، مقابل العمل المشترك في المؤتمر على المحافظة على جنوب فيتنام على الاقل، بالاضافة الى لاوس وكمبوديا، كدول مستقلة بدون قوات فيتنامية، ويسمح لها بتسليح نفسها ضد العدوان الداخلي والخارجي. . وعلى منع صدور اي نص سياسي عن المؤتمر يسمح للشيوعيين لاحقاً بالسيطرة على المناطق الحرة المذكورة. . كما نصت المذكرة على تنظيم تنقل المواطنين الفيتناميين، ونظام كفؤ للمراقبة الدولية. . مع عدم استبعاد توحيد فيتنام بالطرق السلمية في المستقبل. وعلى الجبهة الاخرى، تكثفت اللقاءات السوفييتية الفرنسية، الصينية الفرنسية، وبدأت اللقاءات الفيتنامية الفرنسية، وفي ٦/١٦ وافق شوان لاي على الطلب الفرنسي بانسحاب القوات الفيتنامية من لاوس وكمبوديا ضمن القوات الاجنبية هناك. . بعدها تدخل رئيس الوزراء الهندي نهرو عبر مبعوثه كريشنلمينون للضغط على الوفد الفيتنامي الشمالي بالتخلي عن طلبه بضرورة حضور ممثلي حكومة المقاومة في كل من لاوس وكمبوديا الى المؤتمر والمشاركة في التسويةوقد ساهم الوفد الصيني بهذه المهمة. . كذلك ابلغ شوان لاي الفرنسيين استعداد بلاده للاعتراف بحكومتين في فيتنام في حالة التوصل للتسوية. . وكذلك بالحكومتين الملكيتين في لاوس وكمبوديا[٢٠] وفي لقائهم مع

---

(٢٠) الحقيقة حول العلاقات الفيتنامية ـ الصينية ص ٣٥

منديس فرانس في ٦/٢٣ اعاد الصينيون التأكيد على امكانية قيام تعايش سلمي بين الجزأين الفيتناميين، وبحث موضوع لاوس وكمبوديا كل على حده. ، . واستعداد الصين للاعتراف بالدول المذكورة في اطار الاتحاد الفرنسي. . مقابل منع اقامة اية قواعد عسكرية اجنبية في الهند الصينية.

اللقاءات السوفييتية ـ الفرنسية لم تكن بعيدة عن الاجواء الفرنسية ـ الصينية، بل انها بلورت التنازلات الاخيرة التي كان على الفيتناميين قبولها بخصوص خط الفصل، وموعد الانتحابات، والتي زعمت المصادر الصحفية الغربية ان اتفاقا سوفييتيا فرنسيا سريا قد تضمنها مقابل تعهد فرنسا بعدم الاشتراك في جماعة EDC لكن ذلك لم يتأكد من جانب الطرفين المعنيين. ومن متابعة مداولات تلك الفترة لوحظ أن المباحثات الفيتنامية ـ الفرنسية كانت تهتم بالامور التفصيلية والميدانية اكثر من السياسية العامة، وقد جرت في كل من هانوي وجنيف وشارك فيها عسكريون من الطرفين لمتابعة المشاكل الفنية المعقدة لمسألة وقف اطلاق النار. وفي لحظة محددة من المساومات وجد فام فان دونغ نفسه غير قادر على الموافقة على تنازلات جديدة، مما استدعى ترتيب لقاء بين شوان لاي وهوشي منه في جنوب الصين في اول تموز (يوليه) وافق فيه هوشي منه على شروط التسوية كما يراها السوفييت والصينيون الذين حذروا من نتائج فشل المؤتمر التي تسعى اليها واشنطن.

رغم ذلك ظل الوفد الفيتنامي متمسكاً بنقطتين: الاحتفاظ بخط عرض ١٣ كحدود هدنة مؤقتة، واجراء الانتخابات العامة التوحيدية خلال ٦ شهور. . مما استدعى شوان لاي الى ارسال برقية استنجاد الى هانوي في ٧/١٠ يطالب فيها «اللجنة المركزية لحزب العمال بالتدخل لتقديم شروط سهلة وواضحة تقود الى التوصل الى الاتفاق، تجنباً لتعقيد الامور لانها تخدم دسائس التخريب التي تديرها واشنطن. .»(٢١)

وفي النهاية وافق الوفد الفيتنامي في احدى الجلسات الختامية للمؤتمر على اقتراح مولوتوف بان تكون الهدنة المؤقتة على خط عرض ١٧، وان تمتد مهلة الانتخابات العامة الى سنتين، ونقل مراسل نيويورك تايمز الذي يغطي المؤتمر امتعاض الوفد الفيتنامي من الضغط الذي مورس على الفيتناميين لقبول اقل ماكان يمكنهم الحصول عليه، بدون مؤتمر دولي. . وذكر المراسل المذكور في رسالته في ٧/٢٥ انها المرة الاولى التي تحدث فيها

---

(٢١) المصدر السابق ص ٣٧

اعضاء الوفد الفيتنامي عن هذه المسألة علانية. . «ان التضامن الشيوعي منع صدور تعبيرات علنية قوية عن عدم رضى الفيتناميين عن تكتيكات مولوتوف وشوان لاي. . » هذا مايراه جوزيف بوتنغر[٢٢]

ج: نتائج المؤتمر:

في الجلسة الاخيرة للمؤتمر في ٧/٢١ جرت قراءة الوثائق التي توصل اليها المؤتمر والتي تتكون من وثيقتين:اولها تتعلق بترتيبات وقف اطلاق النار وفصل القوات، وهي الوثيقة الوحيدة التي وقعت في ٧/٢٠ وتشمل اتفاقات عسكرية بين القيادة العسكرية الفيتنامية والقيادة العسكرية الفرنسية لجيوش فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا الملكية ولم يوقعها سوى طرفين، الفرنسيين والفيتناميين بصفتهما المتحاربين الرئيسيين في الساحة، وحتى وفود فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا لم يطلب احد توقيعها. . عن الجانب الفرنسي وقعها الجنرال ديلتيل نيابة عن الجنرال ايلي رئيس هيئة الاركان المشتركة، وعن الجانب الفيتنامي وقعها تاكوانغ بو نيابة عن الجنرال جياب وزير الدفاع اما الوثيقة الثانية فهي عبارة عن الجانب السياسي وجاءت على شكل البيان الختامي للمؤتمر، وهذه لم يوقعها احد، وجرى التصويت عليها بطريقة «تفقد الاعضاء»، ولم يعترض عليها سوى الوفد الفيتنامي الجنوبي، اما الوفد الامريكي فانه ابدى تحفظه فقط.وفي تلك الجلسة اخذت الوفود الحاضرة علماً بان الاتفاقية العسكرية قد وقعها الطرفان المتحاربان.

● **الاتفاقية العسكرية**

كما قلنا اهتمت الوثيقة العسكرية بمسائل ترتيب وقف اطلاق النار وشؤون فصل القوات والشروط العسكرية للمرحلة التالية؛ ويمكن ايجاز بنود الاتفاقية في الموضوعات التالية التي نصت عليها:

- الموافقة على وقف اطلاق النار واعتبار خط العرض ١٧ شمالاً خطاً للهدنة العسكرية.
- اعادة تجميع وتنظيم القوات المتحاربة في منطقتين رئيسيتين، الفتينامية شمال الخط المذكور والفرنسية جنوبه .
- وضع برنامج زمني لعمليات التجميع في الاقاليم والمناطق الداخلية في فترة لا تتجاوز ٣٠٠ يوم.

---

(٢٢) المصدر Joseph Buttinger vol II P. 1088

- منع اقامة قواعد عسكرية جديدة او ادخال تعزيزات عسكرية.اشخاص او اسلحة او ذخائر او تجهيزات.

- منع استخدام اي من المنطقتين منطلقا لاستئناف عمليات عدائية او سياسية عدوانية ومنع الاجراءات الانتقامية الفردية والجماعية.

- عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية او انضمام اي من المنطقتين الى تحالف عسكري، مع تحديد السلطة الادارية المؤقتة في كل منطقة.

- تشكيل لجنة رقابة دولية «I.S.C» تشرف على تنفيذ وقف اطلاق النار وتضم ممثلين عن الهند وبولندا وكندا على ان يرأسها المندوب الهندي.

- تحديد ١٨/٥/١٩٥٥ كموعد أخير لانتقال المواطنين الفيتناميين الى المنطقة التي يرغبون العيش فيها، على ان تدار الشؤون المدنية في كل من المنطقتين بواسطة الطرف صاحب القوات التي تتجمع فيها.

● **البيان السياسي**

تطرق البيان الختامي - الذي شمل ١٢ فقرة - الى ابرز بنود الاتفاقيات العسكرية واعاد التأكيد عليها وخاصة فيما يتعلق بوقف اطلاق النار، خط الهدنة، القواعد العسكرية، الاحلاف الاجنبية، حرية التنقل - كذلك تحدث البيان عن قضيتين رئيسيتين هامتين، هما احترام استقلال وسيادة ووحدة اراضي فيتنام وكمبوديا ولاوس، واجراء الانتخابات العامة الحرة. . بالاضافة الى عزم فرنسا سحب قواتها من المنطقة.

باستعراض فقرات البيان يمكن اعطاء صورة اوضح :

في المقدمة يشير الى الاتفاقية العسكرية كونها تنهي العمليات العسكرية في البلدان الثلاثة وتنظم رقابة واشرافا دوليا على تنفيذها. . ويعرب المؤتمرون عن سرورهم بانهاء تلك العمليات وعن قناعتهم بان هذه الاتفاقيات سوف تلعب دوراً في استقلال وسيادة كاملة لتلك الدول، ثم يذكر البيان المواقف الايجابية لكل من لاوس وكمبوديا بخصوص الانتخابات العامة المقررة عام ١٩٥٥ وفقاً لاحكام دستورهما وعن طريق الاقتراع السري واحترام الحريات السياسية للمواطنين .

يشير البيان في الفقرات التالية الى مسائل تحريم ادخال قوات عسكرية واسلحة وذخيرة الى فيتنام وفق الاتفاقية العسكرية والى تعهد كل من لاوس وكمبوديا بعدم طلب اية معونة اجنبية الا «بهدف الدفاع الفعال عن اراضيهما» كما يشير الى منع اقامة قواعد عسكرية اجنبية أو الانضمام لتحالف عسكري او استخدام منطقتي التجمع لعمليات

عسكرية او سياسة عدوانية وإلى تعهد كل من لاوس وكمبوديا بالاّ تنصما الى تحالف عسكري او تقيما قواعد عسكرية في اراضيهما،بعد ذلك تأتي واحدة من اهم فقرات البيان حيث يعترف المؤتمر ان خط الهدنة العسكري بخصوص فيتنام ـ والذي نصت عليه الاتفاقية العسكرية ـ مؤقت ولا يمكن تفسيره على انه حد سياسي او اقليمي ويعرب عن قناعته بان تنفيذ ماجاء في هذا البيان وفي الاتفاقية العسكرية يخلق الاساس للتوصل الى تسوية سياسية في فيتنام في المستقبل القريب.

لكن اخطر فقرة، لانها تقبل اكثر من تفسير هي المتعلقة بالانتخابات العامة. فالفقرة السابعة تقول: ان تسوية المشاكل السياسية على اساس احترام مبادىء الاستقلال والوحدة الاقليمية، سوف تسمح للشعب الفيتنامي بان يتمتع بالحريات السياسية التي تضمنها المؤسسات الدستورية التي ستنشأ نتيجة لانتخابات عامة حرة عن طريق الاقتراع السري، ولكي يضمن تحقيق تقدم كاف في عملية استرداد السلام وتوفر كل الظروف المطلوبة لتأمين تعبير عن الارادة الوطنية عبر مؤسسات ديمقراطية. وان يتم ذلك على اساس احترام مبادىء الاستقلال ووحدة الاراضي لفيتنام ونص البيان على عقد مشاورات بين السلطات المعنية الممثلة للمنطقتين اعتباراً من ١٩٥٥/٧/٢٠ وصاعداً. .

ثم تحدد في الفقرة موعد الانتخابات المذكورة في تموز (يوليه)١٩٥٦ تحت اشراف لجنة دولية. . I.S.C ويطالب المؤتمر بعد ذلك بتطبيق البنود الخاصة بحماية الافراد والممتلكات وحرية انتقالهم الى المنطقة التي يرغبون العيش فيها بمنتهى الدقة، ويطلب من السلطات في المنطقتين الفيتناميين، ولاوس وكمبوديا بمنع الاجراءات الانتقامية الفردية او الجماعية ضد الاشخاص او عائلاتهم.

لفت المؤتمر بعد ذلك النظر الى بيان الحكومة الفرنسية حول استعدادها لسحب قواتها من اراضي الدول الثلاث بناء على طلب الحكومات المعنية، وحول مراعاتها لمبدأ احترام استقلال وسيادة ووحدة اراضي الدول الثلاث من اجل تسوية المشاكل الخاصة باعادة السلام وتوطيده.

في فقرته ماقبل الاخيرة، يشمل البيان تعهد كل عضو في المؤتمر باحترام سيادة واستقلال ووحدة اراض الدول الثلاث والامتناع عن اي تدخل في شؤونها الداخلية. .

وفي الاخيرة، يوافق الاعضاء على التشاور فيما بينهم اذا مادعت لذلك لجنة

المراقبة الدولية لكي يتدارسوا الاجراءات اللازمة لضمان احترام وقف العمليات العسكرية . .

وهكذا انتهى المؤتمر الذي استمر ٧٨ يوماً . .

والقت الوفود المشاركة كلماتها بعد تلاوة الوثائق في الجلسة الاخيرة التي شهدت حادثتين كان لهما اثر بالغ على مستقبل الاتفاقيات نفسها والمنطقة التي تشملها.

الحدث الاول، هو موقف الوفد الامريكي، حيث وقف بيدل سميث ليسجل تحفظاته، معلنا ان حكومته ليست مستعدة للاشتراك في اعلان كالذي توصل له المؤتمر، لكنها مصممة على تكريس جهودها من اجل دعم السلام وفقاً لمبادىء واهداف الامم المتحدة، واكد ان واشنطن ستمتنع عن اي تهديد بالقوة او استخدامها وفق ميثاق الامم المتحدة، لكنها ستنظر بقلق لتجدد العدوان في الهند الصينية باعتباره تهديدا خطير للسلام والامن الدوليين. وبخصوص مسألة الانتخابات العامة قال المسؤول الامريكي ان موقف بلاده ثابت! وهو انه «في حالة الامم التي تم تقسيمها الآن ضد رغبتها سنواصل سعينا لتحقيق الوحدة من خلال انتخابات حرة تشرف عليها الامم المتحدة حتى تضمن اجراءها بشكل سليم»، كما أيد سميث موقف حكومة الامبراطور الفيتنامي واعتبره خاليا من اي خروج عن الموقف الامريكي الخاص بان الشعوب يجب ان تقرر مستقبلها بنفسها. . وفي ختام كلمته اعرب عن امله في ان «تسمح الاتفاقية للدول الثلاث ان تلعب دورها في استقلال كامل وسيادة بين مجموعة الامم المحبة للسلام. . »[٢٣].

الحدث الثاني كان موقف وزير خارجية فيتنام الجنوبية الجديد تران دون[٢٤] اعرب عن سخطه وخيبة امله من النتائج التي اعتبرها «كارثية وغير اخلاقية» لمؤتمر جنيف واكد في كلمته التي القاها في الجلسة ان «بلاده تحتفظ لنفسها بكامل حرية العمل لانقاذ الحق المقدس لشعب فيتنام في وحدة اراضيه واستقلاله وحريته». اي ان بلاده غير ملتزمة بهذه الاتفاقيات، وقد طلب ان تسجل كلمته كوثيقة مع البيان الختامي الا ان المندوب الفرنسي رفض ذلك وايده رئيس المؤتمر، البريطاني ايدين. . مما دفعه في اليوم التالي الى ارسال برقية الى رئيس حكومته في سايجون يعترف فيها بفشل وفده ويندد بموقف الحلفاء، وجاء في برقيته «لقد حاربنا جيدا ضد التقسيم، ومن اجل

(٢٣) من وثائق البنتاغون ـ الجزء الاول ص ٦٩

(٢٤) الجنرال تران فان دون Tran Von Don تولى وزارة الخارجية الجنوبية خلفاً لنجوين دنه بعد تشكيل حكومة نجو دييم وقد كان احد اعمدة الانقلاب الذي اطاح بدييم عام ١٩٦٣.

منطقة محايدة للكاثوليك، لكن بسبب عداء العدو، وغدر الصديق المزيف، كان موقفنا صعب، نعرب لكم عن عميق اسفنا لهذا الفشل ونقدم لكم استقالتنا.»[٢٥]

ويمكننا تلخيص ابرز نتائج المؤتمر وفق وثائقه[٢٦]

- اوقف حرب الهند الصينية، عبر وقف اطلاق النار الذي وافقت عليه الاطراف المعنية ووضعت له الترتيبات الكفيلة بتنظيم وتجميع القوات وانسحابها وفق جدول زمني محدد.
- انهى الوجود الاستعماري الفرنسي من فيتنام وبقية المنطقة عبر التعهد بسحب القوات الفرنسية، او قوات الاتحاد الفرنسي من البلدان الثلاثة.
- ازال التبعية والارتباط بالنفوذ الاجنبي المباشر عبر منع اقامة قواعد عسكرية، أو تعزيزات بالاشخاص والتجهيزات العسكرية، او الارتباط بالاحلاف والكتل العسكرية الاجنبية.
- الاعتراف الدولي، وخاصة الفرنسي باستقلال وسيادة ووحدة اراضي فيتنام ولاوس وكمبوديا وتعهد الدول الكبرى بعدم انتهاك سيادتها.
- حدد المستقبل القريب لمنطقتي التجمع الشمالية والجنوبية بان تدار شؤونها كل منها الادارية المدنية بواسطة الطرف صاحب القوات حتى يتم اجراء الانتخابات.
- ربط مستقبل فيتنام السياسي، بارادة ابنائها عبر مؤسسات ديمقراطية، تأتي نتيجة انتخابات عامة تجري بعد سنتين.

---

(٢٥) المصدر Joseph Buttinger vol II P. 840

(٢٦) وثائق مؤتمر جنيف تجدها في:

South vietnam Realities and Prospects Documents P. 337 - 380 Vietnamese studies No 18-19

ثالثاً: نصف الانتصار

أ: المعسكر الغربي

الفرنسيون كانوا احد الاطراف التي اعتبرت نتائج مؤتمر جنيف ايجابية، ورأت فيها انتصارا او مكسباً كبيراً لها، ففي هذا المؤتمر انجز الفرنسيون مالم يكونوا قادرين على انجازه على ارض الواقع بقواهم الذاتية، وقف اطلاق النار عند حدود معينة، تأمين اعادة تنظيم وتجميع قواتهم دون خسائر كبيرة، تنفيذ انسحابات كبيرة، تحاشي الخسائر الفادحة في الارواح والمعدات، الاحتفاظ بمواقع اقتصادية وثقافية متميزة، التخلص من النفوذ والتأثير الامريكي بفعل المساعدة المالية والعسكرية، سحب القوات الثورية من مناطق جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا تأمين كيان سياسي ونفوذ وان كان مؤقت وغير ثابت لاصدقائها المحليين في كل من جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا.

ان الفضل في ذلك يعود في جانب كبير منه الى حكومة منديس فرانس، هذا الرجل الذي اخذ على عاتقه مسؤولية التوصل الى حل سلمي، والمخاطرة بمنصبه ومصداقيته السياسية.. وكان من اوائل النواب الراديكاليين الذين تجرأوا وتحدثوا عن تسوية سلمية مع الثوار الفيتناميين في أواخر عام ١٩٥٠ عندما قال امام الجمعية الوطنية ان امام فرنسا خيارين لحل المشكلة الفيتنامية، اما توفير الامكانيات الهائلة التي يتطلبها النصر العسكري او مفاوضة هوشي منه.. وحيث ان الخيار الاول غير ممكن نتيجة لظروف فرنسا المعروفة كما قال فانه لايوجد عمليا سوى الخيار الثاني.

الخيار الثاني كما تحدث عنه في حينه يتطلب الاعتراف باستقلال فيتنام، اجراء انتخابات حرة ونزيهة بدون تأخير تحت اشراف ثنائي او لجنة محايدة، ومنع الاعمال الانتقامية، وجلاء القوات الفرنسية في وقت محدد، وقيام دولة محايدة اذا امكن، مع الحصول على اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والثقافي مع فرنسا.. بعد حوالي اربع سنوات يقف منديس فرانس امام الجمعية الوطنية يدافع فيها عن اتفاقيات جنيف كمكسب لفرنسا لكن في اطار الهزيمة وليس النصر.. يصارح النواب:

«لا اريد ان يتملك السراب احداً منكم حول محتويات الاتفاقيات، فجزء كبير منها كارثة، لانها عكست حقائق كارثية، وكان لايمكن حصول غير ذلك..»

وبعد نقاش للاتفاقيات تخلله بعض الانتقادات اقرتها الجمعية باغلبية ساحقة، في التصويت الثالث ٤٧١ صوتا مقابل ١٤ صوتا مضاداً بينهم جورج بيدو وبعض الذين عملوا في الهند الصينية.. وكانت القوات الفرنسية قد اكملت في ذات الشهر

معـظم انسحـابـاتها من المقاطعات المسيحية والشمال الفيتنامي مفتتحة بذلك الفصل الاخـير من الـوجـود الاستعماري الفرنسي في فيتنام والهند الصينية. وفي ١٠/٩ انزل العلم الفـرنسي عن حامية هانـوي لاخـر مرة وغادر به آخر عسكري فرنسي ـ العقيد دارجنز ـ حدود العاصمة بحيث تجمعت القوات الفرنسية في منطقة هايفونغ، وبقيت هناك حتى انتهاء عملية تهجير الشماليين الى الجنوب التي استمرت ثلاثمائة يوم، غادر آخر جنود فرنسا هايفونغ في ايار/ مايو ١٩٥٥ وبدلك تحررت مناطق شمال خط عرض ١٧ من الاحتلال الفرنسي تماماً بعد ان تكلفت القوات الفرنسية التابعة والمحلية اكثر من ٣٢٠ الف قتيل وجـريح حسب المصادر الفيتنامية[٢٧] ١٥٠ الف قتيل حسب المصادر الامريكية، اما الفرنسيون فاعترفوا رسميا بمقتل ٩٢ الف واصابة ١١٤ [٢٨].

لم يتبق لفرنسا خلال الشهور التي اعقبت اتفاقيات جنيف سوى بعض المصالح الاقتصادية ،الشركات الخاصة التي تدير الخدمات العامة في شمال فيتنام، وخلال اقل من عام قامت حكومة هانوي الثورية بالتخلص منها، اما عن طريق الشراء او التأميم اما في الجنـوب فان حلفـاء فرنسـا الامـريكيين هم الذين تآمروا على وجودها العسكـري والاقتصـادي والثقافي بالتدريج بعد ان تمت تصفية نفوذها السياسي، عبر الحكومة «الوطنية» الجديدة التي تزعمها دييم في يوليه (تموز) ثم عبر ازاحة الامبراطور عن مركزه وتصفية اتباعه من الادارات والمؤسسات المختلفة.

تحت الضغط الامريكي قام الفرنسيون في اواخر اغسطس آب بتسليم حكومة دييم السلطات القضـائية والبـوليسية والامن والـطيران المدني ـ وبعد اسبوعين الغيت المحـاكم المختلطة وفي أيلول (سبتمبر) وافقت باريس على الانضمام لحلف سياتـو ودفعت لها واشنطن مائة مليون دولار لتغطية نفقات جيشها المتواجد في جنوب فيتنـام. . وخلال الشهور الثلاثة التالية اقنعت واشنطن الفرنسيين بالموافقة على الغاء بنك الهند الصينية، والسماح لحكومة سايجون باصدار عملتها المستقلة. . وتنازلت عن حقهـا في الاشراف على الاقتصـاد والتجـارة والمـالية الفيتنامية كما جرى تصفية النفوذ الفـرنسي في الجيش الفيتنــامي عبر نقـل حق القيادة من الفـرنسيين الى الفيتنـاميين ومسؤولية التـدريب والتنـظيم الى المستشـارين الامـريكيين واخـيرا تنـازلت الحكـومة الفرنسية لحكومة سايجون عن حقها في الاشراف على المساعدات الامريكية لفيتنام.

وفي ١٩٥٦/٤/٨ غادر آخر جندي فرنسي الهند الصينية.

---

(٢٧) المصدر Joseph Buttinger yol II P. 842

(٢٨) الخسائر الفرنسية ـ الاميركية في الحرب الفيتنامية تجدها في التجربة العسكرية الفيتنامية ـ ملحق ٣

الامـريكيون وحكـومـة سايجـون. . هما اكثـر الاطراف المتضررة من اتفاقيات جنيف او على الاقـل الـذين اعلنوا امتعاضهم من نتائج المؤتمر. فالرئيس الامريكي ايزونهاور منذ ابلاغه بالمشروع النهائي للاتفاق اعلن في ٧/٢١ ان بلاده لاتعتبر نفسها طرفاً فيه، ولا هي ملزمة بالقرارات التي اتخذها المؤتمر، وان الاتفاقية «تحتوي على معالم لا نريدها»[٢٩] أما دييم فقد وجه بياناً للشعب من اذاعة سايجون استنكر فيه ماجرى في جيف، واعتبره تواطئا مع الشيوعيين باعطائهم ليس فقط شمال فيتنام، بل اربعة محافظات اضافية من وسط فيتنام كما امر في بيانه المذكور في ٧/٢٣ بتنكيس الاعلام لمدة ثلاثة ايام حداداً على تلك النتائج. . وزير الخارجية الامريكية اعلن في نفس اليوم ان الاتفـاقيات تعكس تطورات الموقف العسكري في الهند الصينية، وان الاتفاقيات «احتـوت على نقـاط كثيرة لا نريدهـا لان الشعب الفـرنسي لا يرغب في اطـالة امد الحـرب». ودعـا الى استغـلال الفـرصـة القادمة بدلاً من نعي الماضي. . لمنع امتداد الشيوعية من الشـمال الى جنـوب شرق اسيا وجنـوب غرب المحيط الهـادي. . وحمـل الفرنسيين مسؤولية الفشل السابق قائلاً:

«ان الدرس يعلمنا ان مقاتلة الشيوعية بحاجة الى تأييد شعبي، وهذا لايكون الا اذا شعر الشعب أنه يدافع عن مؤسساته الوطنية الخاصة به». .

من هنـا يرى الامريكيون بعض ايجابيات جنيف بأنها ضمنت استقلال جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا، وجعلت ممكنا الانتقال من الاستعمار الى الاستقلال الوطني. . وعلى هذا فان الحكومات الحرة يجب ان تهيء نفسها اعتباراً من الآن وصاعداً لضمان ولاء شعبها للحفاظ على الاستقلال «ضد الاستعمار الشيوعي». . قال دالاس ان ديان بيان فو كانت حسنة مخفية فقد اصبح لدينا الآن في المنطقة قاعدة خالصة بدون مظلة استعـمارية. . كما ان الـطريق امـام مشروع العمـل المـوحد قد اخليت من العقبات الفرنسية والبريطانية ويمكن الان الانطلاق نحو بناء حلف جنوب شرق اسيا.

في ٨/٣ اعلن بيان لحكـومة سايجون موجه الى الشعب الفيتنامي في الشمال ان النضـال الـوطني سيستمـر من اجـل تحقيق الاستقـلال والحـرية، وطـالب الشماليين بالالتفاف حول حكومة الجنوب في تلك المعركة واعلن تأسيس لجنة للدفاع عن الشمال وامر الجيش «الوطني» بالدفاع عن هانوي بعد انسحاب الفرنسيين منها.اما الامريكيون فكانوا اكثر تواضعاً عندما اعلن وزير خارجيتهم في ٨/٦ ان الامل يتركز الان في بناء خط دفاع ضد الشيوعيين، يمر شمال مدينة هوي ويضمن حماية كمبوديا ومناطق فيتنام

---

(٢٩) المصدر South vietnam: Realities and Prospects P.21

جنوب خط عرض ١٧.

في الشهر التالي بدأت الاوضاع جاهزة لاعلان الحلف الجديد، فالفرنسيون اعلنوا موافقتهم بعد ان ضمنوا انسحاب قواتهم سالمة من الشمال، اما البريطانيون الذين كانوا يعارضون المشروع منذ البداية خوفا على مؤتمر جنيف، ورفضوا محاولات فرنسا لاقناعهم بذلك بعد الضغط الامريكي على باريس في ،أيار (مايو) - فقد وافقوا اخيراً بعد صدور نتائج المؤتمر الذي كانوا في رئاسته.

لقد مرت العلاقات الامريكية البريطانية بمرحلة برود نتيجة الاختلافات والتناقضات في المصالح التي برزت بين الطرفين بعد الحرب الثانية وخاصة في الشرق الاوسط والشرق الاقصى، وبعد ان جرّت واشنطن باكستان ونيوزيلنده واستراليا الى جانبها، وبعد رفض بريطانيا اتباع السياسة الامريكية تجاه اليابان والصين. ثم نشطت لندن في مؤتمر برلين وفي عقد مؤتمر جنيف في معاكسة للرغبة الامريكية، ورفضت الاقتراح الامريكي الخاص «بالاعلان المشترك» لارهاب الصين وتحذيرها من التدخل في فيتنام، ثم رفضت مشروع العمل الموحد،الامر الذي دفع واشنطن لسحب باريس للعمل معها في مشروع العمل الموحد، مما جعل تشرشل يسارع في التدخل الشخصي لتوقيع الاتفاق السري الذي تحدثنا عنه سابقا والذي ساهم في اخراج نتائج مؤتمر جنيف على الشكل الذي صدرت فيه. . حاولت الوفود الاشتراكية في المؤتمر ان تحصل من ايدن على وعد بمعارضة قيام حلف جنوب شرق اسيا. . لكنه اكد تأييده لمثل هذا الحلف بشرط الا يشمل البلدان الثلاثة المشمولة باتفاقيات جنيف.

وهكذا اجتمعت وفود امريكا وبريطانيا وفرنسا واستراليا والفلبين وتايلند وباكستان في عاصمة الفلبين - مانيلا لمناقشة الحلف الجديد الذي تم اعلانه رسميا في ٩/٨ باسم حلف منظمة معاهدة جنوب شرق اسيا «سياتو SEATO » والذي وضع كل من جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا ضمن منطقة فعاليته.

العلاقات الامريكية - الفيتنامية في المرحلة الجديدة انطلقت من معادلة بسيطة: فواشنطن كطرف ثالث في القوى الرئيسية المتصارعة. . بين هانوي. . وباريس له اهدافه وخططه الخاصة، كان بحاجة الى ادوات جديدة وكان يجهز المسرح منذ سنوات سابقة. . لظهور طرف محلي ثالث من القوى الجنوبية المتصارعة. . بين الشيوعيين «القوة الثورية». . والحكومة «القوة العميلة لفرنسا» هي قوة «وطنية» معادية للشيوعيين والفرنسيين. . وجاء دييم. . هكذا اراد الامريكيون تصديره الى الساحة السياسية كبطل وطني متحرر يناضل لتحقيق الاستقلال الحقيقي!! لذلك بدأ معركته

الاولى ضد مؤتمر جنيف والفرنسيين والشيوعيين الشماليين.

منذ البداية اتفقت القوى المحلية التي التفت حول دييم مع القوة الاعظم واشنطن على ثلاثة خطوط عامة، تحكم تصرفهما في المرحلة القادمة: الحفاظ على فيتنام مقسمة وجنوبها بعيداً عن سيطرة الشيوعيين الشماليين، الانتهاء من النظام الاستعماري القديم واثاره بقيام حكومة قوية غير عميلة للفرنسيين في فيتنام، تحميل امريكا مسؤولية خلق وتثبيت الحكومة المذكورة وتمكينها من الدفاع عن نفسها.

من هذا المنطلق حرصت امريكا خلال الاسابيع التالية على جنيف على تدعيم بعثاتها العسكرية والادارية والاقتصادية الموجودة في سايجون وتعزيزها بامكانيات وفروع جديدة بدلاً من تصفيتها والتخلص منها وفق اتفاقيات جنيف ـ وتشكلت في سايجون ثلاثة مراكز اساسية لادارة وتنفيذ السياسة والتوجيهات الامريكية، المجموعة الاستشارية العسكرية MAAG برئاسة اودانيل، بعثة العمليات الامريكية USOM برئاسة باورز والسفارة الامريكية التي عين كولينز سفيرا خاصاً فيها اعتبارا من نوفمبر تشرين الثاني..

الخطوة التالية للامريكيين كانت مساعدة حكومة دييم على تثبيت مواقعها في وجه القوى المعادية التي تمثلت في الامبراطور وحاشيته الموالية وكبار قادة الجيش والبوليس والموظفين في الوزارات والادارات الحكومية ومراكز القوى في الطوائف السياسية ـ الدينية.

بعد ذلك قامت واشنطن بالضغط على الفرنسيين ـ كما رأينا ـ لالغاء الاتفاقيات والمعاهدات السابقة التي تؤمن لها مركزا سياسيا واقتصاديا وعسكريا متميزا في فيتنام، والتنازل عن ادارة الجيش والامن والخدمات العامة والمؤسسات الاقتصادية المركزية الى حكومة سايجون.

وفي السياسة الشمالية، شكلت واشنطن جهازاً خاصاً لاعمال الاستخبارات والتخريب منذ اوائل العام ١٩٥٤، وكلف العقيد المجرب لانسدال بالاشراف عليه اولاً تحت ستار بعثة جامعة متشيغان HSU ثم بصفة مساعد ملحق جوي ثم رئيس قسم الامن القومي ـ وقد قام هذا الجهاز بشن حملة نفسية ـ سياسية في المناطق الشمالية قبل انتهاء مؤتمر جنيف، ثم حملة تخريب شبه عسكرية في هانوي وهايفونغ، قامت بها مجموعتان من المرتزقة الاجانب والمحليين ارسلت عن طريق البحر بشكل رئيسي.

ومن هنا يمكن القول ان المرحلة التي تلت مؤتمر جنيف إتسمت بالملامح الجديدة التالية:

العمل على تصفية الوجود الفرنسي واثاره العسكرية والسياسية والثقافية واحلال السيطرة الامريكية المباشرة على الجنوب، واقامة ديكتاتورية نظام عميل موالي للولايات المتحدة، العمل على تصفية المواقع والتنظيمات الوطنية والثورية في جنوب فيتنام والاعداد لغزو المناطق الشمالية ومحاصرة النظام الاشتراكي. . وهذه كانت مرتكزات السياسة الامريكية تجاه الهند الصينية.

ب: المعسكر الشرقي

تلك كانت احوال المعسكر الغربي في مؤتمر جنيف، واثار نتائجه عليه. .

فماذا عن المعسكر الاشتراكي، تقييمه للمؤتمر، ونتائجه. . وعلى وجه الخصوص الثورة الفيتنامية. . ماقدمته وماحصلت عليه، ميزان الربح والخسارة. .

يمكن القول ان المحصلة العامة بالنسبة للدول الاشتراكية وما انجزته ككتلة واحدة، كانت ايجابية. . فكما قلنا سابقا كانت هذه الكتلة تعرف ماذا تريد من المؤتمر. . وظروف الطرف الآخر. . وطبيعة التنازلات التي ستقدمها لتحقيق ماتريد. . وكانت تمارس سياسة موحدة، وتكتيكات اقرب الى التناغم والتنسيق، وظلت معظم الاختلافات ووجهات النظر المتباينة داخلية ولم تُصدّر الى قاعات المؤتمر خلال الفترات الحاسمة من المداولات والمناقشات الجادة. بينما كانت الخلافات بين وفود الكتلة الغربية اكبر من ان يبحث عنها مدقق، واوضح من ان يبحث عنها صحفي. .

بعض المراقبين يعتبرون المعسكر الاشتراكي هو الرابح الاكبر من مؤتمر جنيف. . وهذا في الحقيقة صحيح، فهو قد استطاع ان يترجم رغبته المعلنة في احلال السلام ونبذ الحروب الى تحركات ومبادرات عديدة، وقدم مشاريع قرارات. . تضمنت تنازلات واضحة ثمنا للسلام بينما كان قادراً على مواصلة القتال في جبهة الهند الصينية. . ووضع حداً للمقولة الامريكية بان «الاستعمار الشيوعي يزحف، من الصين، جنوبا لالتهام الهند الصينية فجنوب شرق آسيا».

وفي نفس الوقت كرس المعسكر الاشتراكي، انتصاراً لحركة التحرر الوطني الفيتنامية بقيادة الحزب الشيوعي الفتي ضد واحدة من أعتى الدول الاستعمارية الغربية، ودعم المحصلة السياسية الرئيسية لهذا الانتصار وهو قيام جمهورية «اشتراكية»، كواقع معترف به.

وفي الوقت الذي اكدت مداولات المؤتمر ونتائجه الهزيمة الفرنسية، وخسران

الفرنسيين للحرب بما يعنيه من تفكك الامبراطورية الفرنسية في المعسكر الغربي، كانت الصين الشعبية تفرض نفسها في قاعاته كدولة كبرى رغم المقاطعة الامريكية لها. . وهو ماقاله عنها الفيتناميون لاحقا بانها كانت تريد القيام بدور دولة عظمى معترف بها في تسوية المعضلات الدولية».

وهكذا كسب المعسكر الاشتراكي، بفرض وجود الصين بين مؤتمر برلين ومؤتمر جنيف، موقعا جديدا داخل نادي الدول الكبرى التي اصبحت «خمساً» بدلاً من «اربعاً»، وكسب دولة جديدة على الخارطة السياسية.الدولة هي فيتنام الديمقراطية. امتداد معترف به للمعسكر الاشتراكي بدلاً من محاصرته وتحديد نفوذه.

اذا نظرنا للنتائج من الزاوية السوفييتية وحدها يمكن القول ان السوفييت قد اكدوا بشكل عام حرصهم على السلم العالمي والتعايش الدولي بين المعسكريين وفي نفس الوقت تبني ودعم حقوق القوى الوطنية والتقدمية المناضلة ضد الاستعمار. لكن بشكل خاص، على جبهة اوربا نجحوا في احباط المحاولات الامريكية لجر فرنسا الى جماعة الدفاع الاوروبية، وكسبوا دعم الفرنسيين لوجود الصين شريكا في المؤتمر الدولي وبذلك عزلت المعارضة الامريكية لذلك الامر. كما ان السوفييت في نطاق الدبلوماسية الدولية سجلوا نجاحا مشتركا مع بريطانيا في قيادة المؤتمر حتى يومه الاخير، يقول هوشي منه «ان المهارة السوفييتية ارغمت الامبريالية الامريكية على حضور مؤتمري برلين وجنيف، وان عقد المؤتمرين في حد ذاته يعتبر انتصاراً لنا وهزيمة للامبرياليين»[٣٠].

واذا نظرنا للنتائج من الزاوية الصينية وحدها فلا شك ان الصين الشعبية قد دخلت الحلبة الدولية معترفاً بها كدولة كبرى مساهمة في البحث عن حلول للمشاكل الدولية. . وفي نفس الوقت تثبت وجود دولة اشتراكية شقيقة على حدودها الجنوبية، او كما قيل من اجل ضمان امن الصين. . بنتيجة انتصار عسكري فيتنامي ساهمت في انجازه. . من ناحية اخرى فان الاتفاق في جنيف أجل او الغى لفترة محدودة امكانيات المواجهة العسكرية المحدودة او الشاملة مع المعسكر الغربي وتحديدا مع القوة العسكرية الامريكية وما تحمله تلك المواجهة من تبعات غير عادية على الشعب الصيني، ان تخلص الصين من مسؤوليات الحرب الفيتنامية وقبلها الكورية اعطى قيادتها فرصة ثمينة للالتفات الى تنفيذ مشاريع اعادة البناء والتطور الاقتصادي والعسكري لبلادهم.

---

(٣٠) المصدر: Ho chi Minh: Selected Writings P.173

وفي هذا الخصـــوص نرى هوشي منـه يشيد في تموز (يوليه) بجهـود شوان لاي داخل المؤتمر وخارجه عبر جولاته، التي اسفرت عن الاعلان المشترك للسلام بين الصين والهند وبورما التي تضمن المبادىء الخمسة المتعلقة بالاحترام المتبادل للسيادة والوحدة، عدم العـدوان، عدم التـدخـل، المسـاواة والصـداقة في العلاقات المتبادلة والتعايش السـلمي.. لكن ماذا عن الموقف الفيتنامي؟

وهل كان يمكن تحاشي التنازلات التي قدمت؟

يقول هوشي منه، والمؤتمر لم ينته بعد، وهو أدرى بحجم التنازلات المطلوبة. ان المؤتمر قد توصل الى بضعة اتفاقيات هامة وعادلة وان ذلك تم بفضل الوحدة بين الوفود الاشتراكية، والاختلاف بين الوفود الامبريالية، وقيام الحكومة «السلمية» الفرنسية.. وأكد أن نجاح المؤتمر يعني احباط محاولة واشنطن لتخريبه ولاطالة حرب الهند الصينية ولتدويلها.

فام فان دونغ، رئيس الوفد الفيتنامي يتحدث عن نفس الابعاد بعد انتهاء المؤتمر ويؤكـد انـه يشكل خسارة كبيرة للمتدخلين الامريكيين لانهم فشلوا في اطالة وتوسيع الحـرب وجـر عدد من البلدان الاخرى للاشتراك في عمل موحد في الهند الصينية.. لكنـه يحذر في كلمتـه بمناسبة ذكرى الاستقلال في ١٩٥٤/٩/٢ من ان الامريكيين يحاولون تخريب السلام والاتفاق الذي تم في جنيف عن طريق عرقلة تطبيقه، لي ذوان يتحـدث في نفس السياق عن اتفـاقية جنيف التي يعترف المستعمرون الفرنسيون فيها باستقلال وسيادة ووحدة اراض فيتنام ـ وذلك لان العدو اجبر عليها بفضل تطور حرب الشعب الفيتنامية[٣١] قائد معركة ديان بيان فو يعتبر ان ايجابية مؤتمر جنيف في انه يعيد السـلام الى المنـطقة على قاعدة احترام سيادة واستقلال ووحدة ارض فيتنام، وجيرانها الاصدقاء في لاوس وكمبوديا، ويحيل جياب ذلك الانجاز لانتصار ديان بيان فو الذي «لـولاه لما نجـح مؤتمر جنيف».. ويعتبر الانجازين معاً تأكيدا لصحة الخط السياسي للحزب خلال حرب المقاومة ضد الفرنسيين.

لم يتحدث المسؤولون الفيتناميون عن حجم التنازلات الذي قدمته قيادة الثورة بشكـل واضح ومعلن الا بعد سنوات طويلة على ذلك المؤتمر، وان كانت قد تسربت بعض الاشـارات الصـادرة عن الـوفد الفيتنامي ونقلتها الصحف الغربية في حينه كما ذكـرنـا سابقـا.. فقط بعد انفجار الخلاف الصيني الفيتنامي في نهاية السبعينات بدأ

---

(٣١) المصدر: لو زوان: التجربة الثورية ص ١٥ دليل المناضل ـ دار ابن خلدون مقالات ثورية.

الحديث عن «التواطىء مع الامبرياليين الفرنسيين». واستغلال الدعم العسكري لفيتنام كوسيلة ضغط عليها» وان «الحل في جنيف منع شعوب الهند الصينية من تحقيق الانتصار الشامل». .

ان تطورات الاحداث خلال عام ١٩٥٣ اشارت الى ان القيادة الفيتنامية كانت تفضل حلاً تفاوضياً ثنائياً، بينها وبين فرنسا على حل تفاوضي جماعي او دولي وكانت تفضل ان يكون الحل تتويجاً لاكمال الخطة العسكرية في الحاق الهزيمة الكاملة بالقوات الفرنسية حتى يمكنها تحقيق الحد الاقصى من المطالب الوطنية. . وكان من الممكن ان يظل موضوع التنفاوض خاضعاً للضرورات التكتيكية حتى اللحظة الحاسمة المطلوبة، ومن هنا استجابة هوشي منه في اواخر عام ١٩٤٩ للافكار الجريئة التي طرحها انذاك منديس فرانس في الجمعية الوطنية حول التسوية السلمية. . خلال مقابلة الزعيم الفيتنامي للصحفي الامريكي ساندرز. . ثم في لقائه مع صحيفة سويدية بعد اربعة اعوام عندما ابدى استعداده لبحث الهدنة العسكرية في اطار تسوية سياسية تتفاوض عليها الحكومتان الفيتنامية والفرنسية. . وفي الاتصالات المحدودة التي جرت بين اشخاص من الطرفين تأكد للفيتناميين ان حكومة لانيال (قبل ديان بيان فو) لم تكن جادة في المفاوضات بل كانت تستخدمها لارضاء حركة الاحتجاج الداخلية الواسعة في فرنسا، وانها. . لم تكن مستعدة لتلبية المطالب الوطنية الاساسية للفيتناميين على امل ان تتمكن من انجاز نصر عسكري حاسم بالمساعدات الامريكية الهامة الموعودة. .

بعد اعلان موافقة الاتحاد السوفييتي على اقتراح الغرب بعقد مؤتمر برلين لبحث الصراع الشرقي الغربي حول المانيا وتصريحات شوان لاي حول هدنة كوريا كمثل يمكن ان يطبق في اماكن اخرى وحتى عقد المؤتمر شعرت القيادة الفيتنامية ان اجتماع الكبار لن يقتصر على مشكلة المانيا بل سيمتد الى كل مراكز التوتر والصراع الاخرى في العالم، وكانت كوريا والهند الصينية ابرزها انذاك. . ومن هنا كانت مسألة التفاوض الثنائي في ذهن القيادات الفيتنامية وخاصة صاحبة الخبرة في مفاوضة الفرنسيين هوشي منه، فام دونغ، جياب، مقبولة اكثر من مسألة التفاوض عبر مؤتمر دولي. . لقد فاوضوا في عامي ١٩٤٥-١٩٤٦، وكان موقفهم ضعيفاً بالنسبة للفرنسيين، والاوراق في ايديهم محدودة، ومجال المناورة ضيق. . وبعد ثمان سنوات اصبح موقف العدو هو الاضعف، والاوراق في ايديهم كثيرة، ان المخرج الثنائي، التفاوض مع الفرنسيين سيعكس حقيقة موازين القوى بين الطرفين في الساحة القتالية. . بشكل رئيسي، الذي هو لصالح المفاوض الفيتنامي بشكل قاطع. . بينما توسيع عدد المتفاوضين حول الطاولة، سيضع

شروطا جديدة على موازين القوى بين الطرفين المتحاربين تأخذ بعين الاعتبار خارطة الصراع على بقعة اوسع من الساحة الفيتنامية قد تصل الى الهموم الكونية . . في فبراير قررت الدول الاربعة الكبرى الدعوة الى مؤتمر جنيف لبحث الصراع الشرقي - الغربي في الشرق الاقصى ، وتحديدا كوريا وفيتنام ، ودعوة الصين والدول المعنية لحضور المؤتمر.

لماذا وافقت فيتنام على حضور المؤتمر؟؟

من الممكن القول ان حضور المؤتمر بالنسبة لفيتنام لم يكن قراراً فيتنامياً خالصاً . . تحكمه الاعتبارات الداخلية وحدها، بل اتخذه المعسكر الذي تنتمي اليه فيتنام ، فيتنام جزء منه ، صحيح هي الطرف المحارب المباشر، لكنها تحتكم الى القوانين العامة التي تحكم الصراع . .

لقد جرت مشاورات ثلاثية كما هو معلوم بين السوفييت والصينيين والفيتناميين قبل عقد المؤتمر.نوقشت فيه المسألة والتزم الفيتناميون بما تقرر في المعسكر الاشتراكي ، الامر الذي فسره الغربيون انذاك على انه رضوخ فيتنامي لما قررته موسكو وبكين ، ونحن نفهمه على انه التزام سياسي وعقائدي بعد ان تمت مناقشة المسألة من كافة جوانبها والظروف الاقليمية والعالمية التي تحيط بها . . لكن لو افترضنا ان فيتنام لم تكن جزءاً من المعسكر الاشتراكي . . وكانت تربطها مجرد علاقات عادية مع كل من موسكو وبكين وليس علاقة خاصة . . هل كان بمقدورها ان تضرب بعرض الحائط توجهات البلدين . . وترفض حضور المؤتمر . . لو بسطنا المسألة الى هذا الحد سنقول ان بالامكان تحدي الرغبة السوفييتية ، انذاك ، لكن الصين ، وباعتراف القيادة الفيتنامية كانت انذاك مصدر السلاح الرئيسي للثورة الفيتنامية . . وابعد من ذلك كانت القاعدة الآمنة الاكبر التي وفرت للشمال امكانيات عديدة للصمود وتطوير العمل المسلح . . هل كانت فيتنام في وضع يمكنها من رفض التوجه الصيني ، الاستغناء عن هذا المصدر اذا لزم الامر . . من اجل استمرار الكفاح المسلح حتى الهزيمة الكاملة للفرنسيين وتحقيق الاستقلال وتوحيد الوطن؟!

القيادة العسكرية الفرنسية اتهمت بكين بانها وراء كل الاسلحة الثقيلة والمعدات التي مكنت القوات الثورية الفيتنامية من شن الهجمات العسكرية الكبيرة عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ بل زعمت ان عددا كبيرا من الضباط المستشارين بل والمقاتلين الصينيين شارك في المجهود الحربي الفيتنامي ، لدرجة ان نافار نفسه اعلن عند اشتداد المعارك في ديان بيان فو ان التوازن في المعركة يختل لصالح الفيتناميين بسبب الامدادات الصينية

التي وصلتهم، وناشد الامريكيين التدخل لاصلاح الخلل .

هنـا لايهمنـا التـأكد من مدى صدق الارقام التي قدمها الفرنسيون عن حجم المعـونـة الصينية العسكرية، ان الذي يعنينا مناقشة نقطة محددة، هي امكانية القيادة الفيتنـامية الاستغنـاء عن تلك المساعدة اذا تطلب الموقف السياسي او تطور الى الحد الذي يستدعي ذلك:

يقول البعض ان الفيتناميين بعد انتصاراتهم العسكرية خلال العامين ١٩٥٢، ١٩٥٣ والتي بلغت ذروتها في معركة ديان بيان فو، كانوا قادرين، بذلك الجيش الثوري المصمم والمجـرب، والشعب المعبـأ والمنظم على مواصلة حرب التحرير الشعبية حتى دحـر الفـرنسيين نهائيا وتحقيق الانتصـار الشـامـل. . ويستشهد اصحاب هذا الرأي بحقيقة ان نسبة القوى بعد ديان بيان فو تغيرت لصالح القوات الفيتنامية الى حد بعيد مما جعـل القوات الفرنسية في وضع صعب للغاية وضع ماقبل الهزيمة النهائية. . هل كان من الممكن استغلال ذلك الوضع الصعب لدى الفرنسيين من اجل الحصول على تنـازلات سياسية هامـة والانـطلاق منهـا الى تنـازلات سياسية اخرى اهم. . وماهي الطريقة الامثل لتحقيق ذلك هل عبر محادثات ثنائية فرنسية ـ فيتنامية ام عبر مؤتمر دولي ضامن للاتفاق؟ يقول اصحاب الرأي السابق ان استغلال الوضع العسكري الصعب للفرنسيين. كان يجب ان يكون باتجاه خلق ظروف عسكرية جديدة اكثر صعوبة تقود الفرنسيين الى الاستسلام التام او الهزيمة الشاملة. . اي استخدام الضغط العسكري حتى نهايته. .

اصحـاب الـرأي المغـاير يرون ان ذلـك تمادي في الذاتية. . والثقة العمياء في النفس، لان التدخل الامريكي كان ماثلا في كل لحظة، وكان واقعاً اكثر من توقعاً. . الا ان الطرف الاول يرى في التدخل الامريكي مجرد فزاعة او تهديدا على الاكثر، لان من وجهة نظرهم.واشنطن لم تكن قادرة بعد تجربة كوريا على خوض تجربة جديدة، وان الادارة الامريكية لم تكن مهيئة لاتخاذ مثل هذا القرار. .

هوشي منه ناقش هذه المسألة بهدوء في تموز (يوليه) في اللجنة المركزية للحزب. . وقال ان مسألة قوة الفيتناميين وضعف العدو هي مسألة نسبية وليست مطلقة. . لانه بعد ديان بيان فو لم تعد المسألة بين الفيتنامين والفرنسيين فقط، دخل عنصر جديد، الامـريكيون الـذين صحّتهم المعـركـة وقـرروا العمل على اطالة حرب الهند الصينية وتدويلها، ليحلوا مكان الفرنسيين والسيطرة على بلدان الهند الصينية الثلاثة. . وحذر هوشي منـه اولئك الذين اخذتهم الانتصارات المتكررة، ويريدون مواصلة القتال مهما

كان الثمن، حتى النهاية مؤكداً لهم «انهم لايرون الا الشجرة. . اما بقية الغابة كاملة فلا يرونها»[٣٢] انهم يركزون على سحب الفرنسيين ولا يرون الامريكيين كما قال هوشي منه.

ان السماح للصراع بالاستمرار في تصعيده العسكري ـ رغما عن السوفييت والصين ـ سيقود الى تدهور الاوضاع العسكرية عند الفرنسيين الى الدرجة التي تجعلهم امام خيارين، اما الاستسلام ودعوة «الشيوعيين» الفيتناميين لتسلم السلطة في فيتنام وبالتالي سقوط كل الهند الصينية وتهديد النفوذ الغربي في جنوب شرق اسيا. . او الموافقة على الشروط الامريكية السابق ذكرها ودعوتهم للتدخل العسكري المباشر. . وحتى اذا اختار الفرنسيون، هذا الخيار او ذاك. . وقررت القيادة الامريكية في لحظة ما من تطور الموقف العسكري انه الوقت المناسب لتدخلها ومنع «الشيوعيين» من تهديد امن وسلامة الدول التابعة ومصالح الغرب في الهند الصينية والشرق الاقصى. . اذاً يبقى احتمال التدخل الامريكي في الصراع. . الذي ستختل موازينه لغير صالح القوات الثورية. . وهنا يصبح امراً ملحاً وجود قوة عسكرية موازية لتعديل الميزان. . واذا لم تكن تلك القوة هي الصين او الاتحاد السوفييتي فمن ستكون؟؟ هل يقاتل الفيتناميون وحدهم؟؟

نعم. . لقد قاتل الفيتناميون خلال السنوات التالية على ١٩٤٥ القوات الفرنسية العائدة لاحتلال الهند الصينية وحدهم، وكانت اهم المبادىء التي حكمت حركتهم السياسية كما قررتها اللجنة المركزية للحزب الاعتماد على النفس والقوى الذاتية في تطوير حرب المقاومة ضد الفرنسيين. . ذلك صحيح وقد انجزوا مهام مرحلتين كاملتين في حرب المقاومة كما رأينا دون او قبل الدعم الاشتراكي، بناء القوات المسلحة وتدعيم القاعدة الامنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ثم حماية القاعدة الامنة، والدفاع النشط وتطوير حرب العصابات ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠.

حتى ذلك الوقت قاتل الفيتناميون ضد عدو رئيسي واحد **هو الغزو الفرنسي، فقوات**الاحتلال الفرنسي، وهذه احدى دروس التجربة الطويلة للحزب الشيوعي الفيتنامي، النضال ضد العدو الرئيسي المباشر واختيار اللحظة الملائمة جداً. . لكن بعد انتصار ماوتسي تونغ في جنوب الصين واعترافه بحكومة هانوي في اوائل ١٩٥٠ لم تعد القدرة القتالية الفيتنامية في مواجهة القدرة القتالية الفرنسية في الهند الصينية

---

(٣٢) المصدر Ho chi Minh: S.W P. 180

وحدها، لقد دخل عامل استراتيجي هام في تطور الحرب، وهو قرار الادارة الامريكية بالتدخل مباشرة في ادارة الصراع، مشاركة الفرنسيين في ادارة دفة المعركة لان «الخطر الشيوعي» اصبح حقيقة داهمة من وجهة نظر واشنطن. .

ان تطور العمل العسكري للقوات الثورية الفيتنامية بعد ذلك التاريخ وتنفيذ عدة هجمات واسعة وناجحة ضد القوات الفرنسية المدعومة امريكياً، بما فيها معركة ديان بيان فو، لم يكن في كامل تفاصيله جهوداً ذاتية صرفة، بل كان للدعم الاشتراكي، وتحديدا الصيني، خبرة واسلحة وتجهيزات دور محدد في انجاز ذلك لا تنكره القيادة الفيتنامية.

بعد ديان بيان فو، كما يقول هوشي منه، وكما قالت وثائق البنتاغون لاحقا، لم يكن الموقف الامريكي ليقتصر على مجرد مساعدة الفرنسيين، ومشاركتهم في المجهود الحربي، بل الدخول العسكري المباشر، والشامل، وهنا لم يكن مسموحاً وفق الخط الاستراتيجي. . والتجربة السابقة للفيتناميين القتال ضد العدوين الامبرياليين الفرنسي والامريكي، بكل مايحملانه من تفوق عسكري ساحق. . وبالاعتماد على الذات فقط. . وهذا كان سيكون عملا بطولياً غير عادي، لكنه في النتيجة انتحار ثوري كما وصفه البعض.في ظل هذه الشروط كان لابد من الذهاب الى المؤتمر الدولي، طالما لم تدخل المفاوضات الثنائية الفرنسية الفيتنامية مرحلة جادة ومثمرة. . وطالما ان الحليفين الاشتراكيين في موسكو وبكين يريان في المؤتمر مكاناً لتحقيق تسوية عادلة لحرب الهند الصينية. .

ج: التنازلات الفيتنامية

التنازلات التي لم يتحدث عنها الفيتناميون صراحة وعلانية اثناء وبعد المؤتمر. . كان يمكن ملاحظتها من قبل اي مراقب اجنبي على امتداد مراحل عمل المؤتمر. وهنا نستعرض اهمها:

لقد غادر فام فان دونغ هانوي في طريقه الى جنيف وهو يحمل المطالب الوطنية الكاملة، بالتأكيد كأي مفاوض كان مستعدا لطرح الحد الاقصى من شروطه، لكنها لم تكن مغالية او مبالغ فيها طالما يشعر ان حقائق الصراع على الارض هي الى جانبه، ولذلك كان يحمل استعدادات متواضعة للتنازل. . عندما وصل دونغ الى جنيف، بدأ اتصالاته ونشاطاته بوتيرة عالية، سببها الانتصار الحاسم لقواته في ديان بيان فو، والذي ترافق مع البدء في بحث مشكلة الهند الصينية كبند ثاني على جدول الاعمال، عندها

تحدث المسؤول الفيتنامي عن الحل بكل ثقة ووضوح:

وقف اطلاق نار شامل مقابل تسوية سياسة شاملة اساسها الاستقلال والوحدة لبلدان الهند الصينية وهنا يقول بعض الحضور ان دونغ اعطى الانطباع بان القيادة الفيتنامية لديها ثقة في قدرتها على هزيمة الفرنسيين اكثر من اي وقت مضى وانهم لم يكونوا ليهتموا بتسوية تفرض عليهم تنازلات سياسية. (٣٣)

بعد اسبوعين كان رئيس الوفد الفيتنامي يقدم واحدا من اخطر التنازلات، التعامل مع مسألة التقسيم، بواقعية جديدة، ولبضعة أيام تلت ظل الفيتناميون في المؤتمر يتحدثون حول تقسيم فيتنام كاجراء مؤقت، يساعد على تجميع القوات وفصلها، قبل التوصل الى تسوية سياسية تقود الى توحيد البلاد.. خط التقسيم المؤقت كان بالنسبة للفيتناميين في جنيف لايتجاوز خط عرض ١٣ شمالاً. والتسوية السياسية كانت بالنسبة لهم بمشاركة القوى الثورية اللاوسية والكمبودية.

مع بداية شهر حزيران (يونيه) كانت المفاوضات والاتفاقيات الثنائية قد ازاحت خط التقسيم الى خط عرض ١٦ شمالاً وبدأت الضغوط على الفيتناميين لقبول هذا التنازل، مقابل موافقة واشنطن على قرار التقسيم والاّ تخربت التسوية بكاملها.بعد ذلك باسبوعين بدأ الضغط على الفيتناميين باتجاه التخلي عن لاوس وكمبوديا.. وهكذا في مقابل الاتفاق السري البريطاني ـ الامريكي الذي عقد في اواخر يونيه لحصر «النفوذ الشيوعي» في منطقة تونكين فقط.. كان على الوفد الفيتنامي ان يتراجع عن موقفه المساند لثوار لاوس وكمبوديا وان يسقط مطالبه بمشاركة وفديهما في اعمال المؤتمر.

من الواضح ان فام فان دونغ عندما جاء الى جنيف لم يكن يعلم بحجم التنازلات المطلوبة منه، وعندما التقت الوفود السوفييتية والصينية والفيتنامية على اعتاب المؤتمر لم تكن قد رسمت اللوحة كاملة امام الوفد الفيتنامي، لهذا لم يكن قادراً على مباركة التنازلات الاخيرة. .مما استدعى الاستنجاد بهوشي منه.في اوائل يوليه عندما التقاه شوان لاي كما ذكرنا سابقا ـ ومرة اخرى في ٧/١٠ عندما ارسلت برقية شوان لاي الى اللجنة المركزية لحزب العمال الفيتنامي.. واخيراً وافق الفيتناميون على التنازل عن مطلبهم الخاص بالا تتجاوز فترة ماقبل الانتخابات العامة ستة اشهر. فامتدت مع نهاية المؤتمر الى سنتين.

اما خط العرض ١٣ فلم يعد خطا للهدنة التي ظلت تزحف شمالاً حتى وصلت

---

(٣٣) المصدر Joseph Buttinger vol II P. 831

خط عرض ١٧ في اليوم الاخير للمفاوضات. . التي لم يحضرها وفدا ثوار لاوس وكمبوديا. .

التنـازلات التي قدمت في المؤتمر كثيرة. . ومن الجانب الاشتراكي كانت عديدة أبرزها.الاستعداد للاعتراف بنتائج التقسيم ـ ضمنياً، والتعامل مع الآمر الواقع الجديد بلدان الهند الصينية المستقلة. . التنازل عن ضرورة الالتزام الامريكي بالنتائج والعمل على ضمان حياد بلدان المنطقة. . والتراجع عن الاصرار على توقيع الوفد الامريكي على الاتفـاقية (مـع فرنسا وبريطانيا) والذي رفضه ايزنهاور بشدة بحجة ان تلك الاتفاقية تقرر وضع ملايين الفيتناميين تحت حكم شيوعي»[٣٤] وهو ماترفضه واشنطن. .

وقد ذكر في حينه ان تنازلات الوفود الاشتراكية مردها اقتراب الموعد الذي حدده منديس فرانس لتقديم استقالته اذا لم يتوصل المؤتمر الى تسوية سلمية (٧/٢٠) الامر الذي سيؤدي الى ارباك المؤتمر وربما افشاله. . وهو ماتريده واشنطن. . ومن هنا كانت الهـوامش تضيق مع كل يوم امام الراغبين في التوصل الى تسوية. . وعلى هذا وافقت الـوفـود الاشـتراكية رغم تهديدات مولـوتـوف بتحميل امريكا مسؤولية فشل المؤتمر في ٧/١٨ ورغم احتداد غضب المندوب الصيني في ٧/١٩ على الاكتفاء بوعد بريطاني بالا يشمـل حلف سياتـو دول الهـنـد الصينية، وبـوعد امريكي بعدم تخريب الاتفاقية. . مقابل القبول بالتسوية وفق الاتفاقيات المذكورة. [٣٥]

اذا كان لابـد من الـذهاب الى مؤتمر جنيف. . فهل كان لابد من الموافقة على تقديم كل تلك التنازلات التي شكلت لاحقاً ابرز مساوىء مؤتمر جنيف ـ من حيث ان التقسيم (المؤقت) قد اصبـح دائـما، وان فيتنـام (الموحدة) اصبحت فيتنام ديمقراطية وفيتنام جنوبية وتكرست لسنوات طويلة التجزأة للوطن وتحمل الشعب الفيتنامي الآلام والعذابات في الجنوب والتضحيات والصعاب في الشمال ـ بفضل استغلال الامبريالية الامـريكية للفـراغـات النـاشئة واندفاعها في ملئها لحساب سياستها العدوانية المقررة سلفاً. . وهل كان ممكنا للفيتناميين ان يتراجعوا في وسط الطريق ان لم يكن في بدايته؟؟ يقول الفيتناميون في احدى نشراتهم ان الانتصار في ديان بيان فو واتفاقيات جنيف هي انتصـار للقـوى الثـورية في الهـنـد الصينية ومسـاهمة في التفكك الكامل للامبراطورية الفـرنسية. . لكن ذلك الحل (جنيف) منع شعوب الهند الصينية من تحقيق الانتصار

(٣٤) من وثائق البنتاغون: التاريخ السري لحرب فيتنام ـ الجزء الاول ص ٦٤

(٣٥) للمزيد من المعلومات حول موقف الوفود الاشتراكية يمكن الاطلاع على:

Joseph Buttinger vol II P. 833

(الكامل) في حربها ضد الفرنسيين. والسبب كما تقول النشرة.ان الصين تخلت في المؤتمر عن مصالح شعوب الهند الصينية من اجل ضمان امن الصين. . وتحقيق مراميها في السيطرة على فيتنام والهند الصينية.هذا يعني ان التنازلات سببها الصين. والصين تعني المعسكر كله. . بالتأكيد «أمن الصين» سيكون مؤمناً ومضموناً بقيام دولة اشتراكية على حدودها الجنوبية اكثر مما لوكانت هناك دولة تابعة للمعسكر الغربي. . وبالتأكيد.ذلك هو الموقف السوفييتي والاّ لما نجح المؤتمر.ان قيام نصف فيتنام. قاعدة اشتراكية ـ ثورية امر يخدم مباشرة امن المعسكر الاشتراكي وهو عمل صميم في أيدلوجيته. . انها نتيجة طبية، هذا صحيح، وسيكون الامر افضل لو شملت القاعدة كل فيتنام لا نصفها. . وسيكون افضل لو امتدت الى كل الهند الصينية بدلاً من فيتنام وحدها. . تمهيدا لمطاردة الامبرياليين والمعسكر الغربي في بلدان جنوب شرق اسيا في مرحلة قادمة. .

ماهو الخطر الذي يتهدد امن الصين فيما لو تحررت كل فيتنام والهند الصينية. . بالتأكيد ليست التهديدات الفرنسية ولا القوات التي يرأسها نافار. . فهذه كما تبين.كان الفيتناميون وحدهم كفيلون بالتصدي لها، بل ومواصلة دحرها عن بقية المناطق التي تحتلها. . ولا هي تهديدات تشيانغ كاي تشيك الذي انكمشت قواته في الجزيرة المحمية.

لقد ظل الشيوعيون الصينيون منذ اقامتهم السلطة الثورية واعترافهم بحكومة هوشي منه في اوائل ١٩٥٠ يعلنون دعمهم لنضال الشعب الفيتنامي بقيادة رفاقهم الشيوعيين الفيتناميين. . ويترجمون ذلك الموقف على مسرح العمليات حتى معركة ديان بيان فو. . لكن هل كانوا على استعداد لمواصلة هذا الدعم بعد ذلك؟ تقول مصادر فيتنامية ان الصينيين ابلغوا الفيتناميين في الاجتماع الثلاثي السوفييتي ـ الصيني ـ الفيتنامي انه لن يكون بمقدور الصين تقديم مساعدات مكشوفة اذا دخلت الولايات المتحدة طرفاً مباشراً في الصراع. . وهكذا يصبح مفهوما التهديد الذي سيعرض امن الصين للخطر، أي التهديد الامريكي الذي كان سيمنع الصين من مواصلة الدعم العسكري الذي تقدمه للثورة الفيتنامية. . هو الذي جعل الصين ومعها الاتحاد السوفييتي يوافقون على التسوية بالحدود التي رسمتها اتفاقيات جنيف. . مغادرة المؤتمر والعودة الى موسكو وبكين دون تسوية كان سيعني بالنسبة للبلدين ـ في مسألة الهند الصينية ـ الالتزام بدعم الثورة الفيتنامية في تصعيد حرب المقاومة ضد الفرنسيين ومن يقف وراءهم، وما يرتبه هذا الالتزام من مواجهة او على الاقل دفاع عن الفيتناميين

امـام التـدخـل الامريكي المباشر سواء كان ماثلاً او احتمالاً . . او ترك الفيتناميين في مواجهة الخطر الامريكي وحدهم.

هل كان بامكـان الفيتناميين مواجهة الخطر المذكور وحدهم وتحقيق الاستقلال التـام وتـوحيد الـوطن، او على الاقل الحفاظ على المكاسب العسكرية وتأمين السلطة الثورية على المناطق المحررة بعيدا عن دعم المعسكر الاشتراكي . . ؟؟

القوات العسكرية الفيتنامية والشعب الفيتنامي كانا قادرين على مواصلة النضال لانجـاز التحـرر الشـامـل للبـلاد بعـد معركة ديان بيان فو، لكن بنمساعدة المعسكر الاشـتراكي، هدا ماأكده عدد من المسؤولين الفيتناميين مع قناعة الجميع ان الحل في جنيف لم يكن يستجيب لمتطلبات الحل السياسي الذي جاء به الوفد الفيتنامي الى المؤتمر اما لماذا قبل الفيتناميون الحل المذكور.فلانه كان الخيار الوحيد المتوفر داخل المؤتمر. . اما خارج المؤتمر فكان الخيار الآخر. وكنا قد تحدثنا عن الاسباب التي دعت كلاً من الاتحاد السوفييتي والصين الى الدفع باتجاه عقد المؤتمر البديل.كان بالنسبة للصين صراعاً مفتوحاً مع الولايات المتحدة وهي التي قدمت مليون جندي في الحرب الكورية ومع ذلك كانت النتيجـة خط هدنـة ومنـطقـة عازلـة بين جنوب كوريا وشمالها وفق اتفاقية تموز/ يوليه ١٩٥٣ . . ورغم استبعاد بعض المصادر لتدخل امريكي عسكري مباشر ضد الصين. فان وثـائق البنتـاغـون التي كشفتهـا لجنـة خاصـة اكـدت ان رئاسة الاركان المشتركة الامـريكية كانت قد اعـدت خطة لردع الصـين في أيار/ مايو ١٩٥٤ اذا ماواصلت تدخلهـا في الحـرب الفيتنـامية. . وخطة اخرى لردعها بشدة اذا ماتدخلت في الحرب الفيتنـامية بشكـل مباشر وواسع . . وقد تضمنت الخطتين امكانية استخدام الاسلحة النـووية ضد الاهـداف الصينية اذا لم تف بالغـرض الاسلحـة الاخرى المتوفرة لدى الجيش الامـريكي . . ومـاهـو الغرض؟ انه «تحطيم القوات الشيوعية الفعالة ووسائل مسـاندتها في عمليات الهند الصينية، وتقليل قدرة الشيوعيين الصينيين على مزيد من العـدوان»[٣٦] وفق الـوثائق المذكورة، وحيث ان قدرة السوفييت النووية في ذلك الحين كانت اكثـر تواضعـاً من ان تفرض أي نوع من انواع التوازن النووي يحقق للحليف الاشـتراكي الكبـير والهـام في اسيا حماية نفسية على الاقل في مرحلة حرب الاعصاب الممكنـة. . فان هكـذا تهديد امـريكي (او خطة امـريكية) تصـل الى اسـماع القيادة الصينية، او السوفييتية ستؤخذ بعين الاعتبار عند تقدير الموقف العام . .

---

(٣٦) من وثائق البنتاغون: التاريخ السري لحرب فيتنام، الجزء الاول ص ٦٢

هل نقلت تلك المعلومات ـ الاحتمالات الى الشريك الثالث، وهل كانت من الاسباب التي دعت هوشي منه ثم اللجنة المركزية للحزب على التعاطي ثم الموافقة على التنازلات السابق ذكرها . . قبول فيتنام بالتنازلات في مؤتمر جنيف يعود الى كونها أمينه لتمسكها التقليدي بالسلام،وتبعاً للاتجاه العام السائد آنذاك لحل النزاعات عن طريق المفاوضات هذا مايقوله مصدر في وزارة الخارجية والاتجاه العام المقصود به داخل المعسكر الاشتراكي وليس المعسكر الغربي بالتأكيد . . وهذا يعني موسكو وبكين. اي الاوضاع التي اعقبت وفاة ستالين في الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٥٣، والاوضاع التي اعقبت توقيع انهاء حرب كوريا وتوقيع الاتفاقية الخاصة بها في تموز/ يوليه ١٩٥٣ والاتجاه في البلدين نحو تعزيز البناء والتطوير الاقتصادي والقدرة العسكرية . . . ومايتطلبه من شروط الحد الادنى من تبريد الجبهة الاوروبية، وتأمين الجبهات المحيطة بالصين . .

بعد اجتماعه المذكور يشيد هوشي منه برئيس الوزراء الصيني وجهوده في مؤتمر جنيف وفي جولاته الخارجية ويؤكد لاعضاء اللجنة المركزية للحزب انه في مقابل ارادة واشنطن في توسيع وتدويل الحرب في الهند الصينية فان الفيتناميين سيناضلون من اجل السلام ومعارضة السياسة الحربية لواشنطن.

د ـ في مواجهة المعارضة

لم يكن سهلاً على القيادة الفيتنامية بعد كل التثقيف الذي تشربه الكادر الفيتنامي والتعبئة التي خضع لها الشعب الفيتنامي خلال السنوات الماضية ـ عبر نضال صعب وشاق وتضحيات عظيمة ـ حول الهزيمة الكاملة للعدو الامبريالي الفرنسي، والتحرر الكامل والتوحيد الشامل لفيتنام، والاستقلال والسيادة لبلدان الهند الصينية . . ان تدعوهم لقبول «نصف» استقلال ووحدة «موعودة» وسلام «غير اكيد» للهند الصينية . . لقد واجهت القيادة الفيتنامية وخاصة العسكرية وضعاً محرجاً خلال المراحل الاخيرة في معركة ديان بيان فو لمعالجة ماسمته بالانحرافات اليسارية واليمينية التي برزت بين الضباط والعسكريين على ابواب مؤتمر جنيف.

وأثناء المؤتمر ـ وكانت المعركة العسكرية قد حسمت ـ كان على قيادة الثورة ان تواجه الاعتراضات داخل الحزب والجبهة والقطاعات الشعبية والدعوة والتحريض للتخلي عن مؤتمر جنيف ومواصلة الحرب ضد الامبرياليين حتى النصر الشامل . . وفق

توجهات الحزب المحددة في هذا الشأن والتي اعتمدت في المؤتمر الثاني تصعيد حرب المقاومة حتى النصر الكامل لاخراج المعتدين الامبرياليين وعصابة العملاء وانجاز فيتنام المستقلة والموحدة تماماً»(٣٧)

قبل التوقيع على اتفاقية جنيف بخمسة ايام كان هوشي منه يتحدث في اجتماع حزبي موسع شمل بالاضافة الى اعضاء اللجنة المركزية في دورتها السادسة، الكوادر الحزبية المسؤولة في الاجهزة والمؤسسات والمنظمات المختلفة. . وصارحهم بالتوجهات الجديدة للقيادة الفيتنامية بعد ان شرح لهم الظروف المحلية والاقليمية والعالمية التي تحيط بالثورة الفيتنامية. . وفي تحليله للوضع توسع في مسألة التناقضات داخل معسكر العدو وخاصة التناقضات الامريكية ـ الفرنسية. تناقضات مصالح تطورت من محاولات واشنطن تخريب مؤتمر جنيف الى محاولات طرد الفرنسيين واخذ مكانهم في الهند الصينية الى استخدام العملاء المحليين في الجنوب ـ دييم ـ ضد الفرنسيين بعد استخدام المساعدات الامريكية لاجبارهم على تنفيذ السياسات الامريكية. . وفي مقابل ذلك فان الفرنسيين وعلى رأسهم حكومة محبة للسلام يتفاوضون مع الفيتناميين لوقف القتال وسحب قواتهم. .

من هنا فان المهمات والتحالفات والشعارات السابقة سيطرأ عليها تغيير.

النضال ضد الفرنسيين يستبدل بالنضال ضد الامبرياليين الامريكيين فالعدو الرئيسي والمباشر لم يعد الامبرياليون الفرنسيون بل هم الامبرياليون الامريكيون الذين يخربون مؤتمر جنيف.

وبالتالي فان شعار «المقاومة حتى النهاية. . حتى النصر» يستبدل بشعار جديد هو النضال من اجل «السلام والوحدة والاستقلال والديمقراطية».

وحيث ان هناك مفاوضات مستمرة مع الفرنسيين من اجل السلام ومن اجل علاقات ثنائية اساسها المساواة والمصلحة المتبادلة فان شعار «مصادرة املاك المستعمرين الفرنسيين» يتوقف لصالح الاتفاق مع الفرنسيين حول مصالحهم الاقتصادية والثقافية وحيث ان الفرنسيين مستعدون لسحب قواتهم واجراء عملية توحيد فيتنام عبر انتخابات عامة. . فلا داعي للحفاظ على شعار هزيمة كاملة للعدو وتوحيد الوطن بالقوة. لقد بذل هوشي منه خلال لقائه المطول برفاقه ـ جهداً مثمرا في شرح العوامل والاسباب التي دفعت الى تقديم التنازلات، مؤكداً انه يسير في الاتجاه الصحيح وان الذين يعارضون هذا التوجه يخلقون اوضاعاً يستفيد منها العدو، وحدد فلسفة السلام

(٣٧) Truong- chinh: selected writings P. 379

كما يلي:

السلام يستدعي انهاء الحرب.. وانهاء الحرب يتطلب وقف اطلاق النار ووقف اطلاق النار يستدعي مناطق تجميع للقوات تمهيدا لانسحاب هذه القوات.. وهنا قام بتبسيط مسألة التقسيم «نحن بحاجة الى منطقة واسعة لبناء وتعزيز وتطوير قوانا من أجل بسط نفوذ الثورة الى مناطق اخرى حتى التقدم نحو اعادة توحيد الوطن.وعلى هذا فان انشاء مناطق تجميع للقوات لا تعني تقسيم البلد، انها مجرد اجراء مؤقت يقود الى التوحيد، الذي هو هدف النضال المسلح».. وربط بين تحقيق السلام والوحدة مشيراً:

بما ان هدف حرب المقاومة هو تحقيق الاستقلال والوحدة والديمقراطية والسلام فان استرداد السلام يؤدي الى خدمة القضايا الاخرى (الاستقلال، الوحدة، الديمقراطية).. وبما ان السلام هو المطلوب تحقيقه الآن فان كل القوى المحبة للسلام يمكنها ان تشارك في بناء التحالف الوطني الجديد.. والاستثناء الوحيد هم عملاء واشنطن!

في الاجتماع عالج هوشي منه الاتجاه المتطرف الذي يدعو الى مواصلة القتال مهما كان الثمن وحتى النهاية واعتبر ذلك انحرافاً يسارياً، وان اصحابه يركزون على تصفية الفرنسيين ولا يلتفتون للاخطار الاخرى، انهم مولعون بالعمل العسكري، ومغرورون بالانتصارات العسكرية، ولا يهتمون بالعمل الدبلوماسي «الذي تعتبر ساحة نضالية كما هي ارض المعركة لتحقيق نفس الهدف»[٣٨].

الاتجاهات المعارضة كانت تعتبر السياسات الاخيرة «تغييرات يمينية» في مسيرة الثورة.. الا ان هوشي منه استنكر ذلك وقال:ان العدو لن يقبل التسليم بمطالبهم وشروطهم التعجيزية.. وحذر من ان هذه الاتجاهات لو تركت ستقود البلاد الى عزلة تامة ونفور.. عن الشعب والعالم كله.. اما الانحرافات اليمينية من وجهة نظر الزعيم الفيتنامي فهي التي يدعو اصحابها الى مزيد من التنازلات للعدو وحل المشكلة مهما كانت الشروط.وهؤلاء يريدون حياة هادئة سهلة، لا يثقون بقوة الشعب، وتلبدت روحهم النضالية، فقدوا القدرة على مواجهة الصعاب[٣٩] وحذر من خطورة الاتجاهين معاً.لقد خرج هوشي منه من اجتماع قيادة الحزب الموسعة بتأييد ومباركة لسياسته الجديدة، بل انه اخذ يهيء شعبه لتقبل التنازلات التي وافق عليها وفده في جنيف.. الذي اوعز له بتوقيع الاتفاقية العسكرية في ٢٠/٧

---

(٣٨) Ho chi Minh: S.W P. 180 (٣٩) المصدر السابق P. 181

الفصل الثالث:

دبلوماسية النعوش الطائرة

عنـدمـا بدأ الامـريكيون حربهم العـدوانية في فيتنـام لم يكن يدور في خلد اي مسؤول أمريكي، صغيراً كان ام كبيراً ان الحرب هناك ستكون طويلة ومكلفة الى ذلك الحـد، وبـانها ستنتهي بهزيمـة مروعـة لجنـرالات البنتـاغـون لان ثقـة الامريكيين في امكانياتهم الهائلة وتقدمهم العلمي الكبير واسلحتهم المدمرة كانت اكبر من ان تسمح لهم بادنى شك في نتائج تلك الحرب.

وفي الجانب الآخر. كان هوشي منه اكثر قدرة على تقييم الموقف بموضوعية عالية لان ثقته الكاملة في قوة الشعب المعبأ جيداً، والمنظم جيداً، والمسلح جيداً، لم تمنعه من رؤية قوة خصمه. فصارح شعبه بان الحرب قد تطول عشرين سنة، وانها قد تدمر حتى العاصمة والمدن الرئيسية قبل ان يتحقق النصر.

وهكـذا استمـرت الحرب الثورية العادلة في مواجهة الحرب العدوانية ١٥ سنة استخدم الامريكيون خلالها اقصى مايملكون من قوة بشرية واسلحة ومعدات (دون النووية) واستعانوا بألمع جنرالاتهم واستراتيجييهم، لكنهم لم يستطيعوا تجنب الهزيمة. امـا «دبلومـاسية القوة» التي اعتمدتها الادارة الامريكية لتلقين الفيتناميين درساً قاسياً فانها لم تستـطع منـع «دبلوماسية النعوش الطائرة» عبر المحيط من محاصرة البيت الابيض وشـل حركـة البنتاغون بحيث اصبح ممكنا للمفاوضات ان تؤدي الى اتفاقية باريس التاريخية.

ان لجوء الزعيم الفيتنامي الى خيار العنف الثوري مرة اخرى لم يكن تطرفاً زائداً عن اللزوم كما حاولت بعض الجهـات تصـويره، لكنـه كان رداً عادلاً على الصلف الامـريكي والاصرار الامـريكي على تجاهل مقررات جنيف المتعلقة باستقلال ووحدة الـوطن الفتينـامي، وتجـاهلهم لكـل نداءات السـلام الفيتنـامية وتكريسهم للجنوب الفيتنامي كياناً منفصلا وقاعدة متقدمة اقليمية للنفوذ الامريكي.

لقد ادرك هوشي منه من تجربته السابقة مع الفرنسيين ومن تجربة ما بعد جنيف مباشرة ان الطريق الى العنف الثوري هي التي توصل الى طريق التسوية العادلة، وبالتالي فإن الاعداد الدقيق والمتكامل لركائز ومتطلبات الحرب الشعبية طويلة الامد هو الذي يوجد الارضية الاساسية لبناء عناصر التسوية السياسية الناجحة.

في هذا الفصل سنطل على الاستعدادات المادية والسياسية للعنف الثوري قبل ان نوجز ابرز ملامحه، ثم نتطرق بشيء من التفصيل الى طريق التسوية السياسية بما تضمنه من اشكال تفاوضية وتكتيكات وتكتيكات مضادة وصولاً الى المحطة الاخيرة.

اولاً : الطريق الى العنف الثوري

بعد التوقيع على اتفاقيات جنيف واعلانها شنت القيادات الفيتنامية على كافة المستويات (الحزب والجبهة والمنظمات الشعبية والفروع) حملة واسعة للحديث عن الانتصارات التي تحققت في المؤتمر، وعن الاستقلال والسيادة والوحدة التي ضمنتها الاتفاقيات لفيتنام وبلدان الهند الصينية، لكن القيادة الفيتنامية كانت تدرك حقيقة الموقف الذي نتج عن المؤتمر.. وحقيقة النوايا الامريكية تجاه تخريب السلام وعرقلة الوحدة وانتهاك السيادة.

من هنا قادت القيادة الشعب في الشهور التالية، للنضال من اجل التطبيق السلمي لاتفاقيات جنيف اي النضال السلمي لتحقيق الاهداف التي تضمنتها الاتفاقيات.. وفي الشمال كانت الانجازات تتوالى على الارض، بانسحاب الفرنسيين من العاصمة والمدن الرئيسية، ودخول السلطة الثورية من جديد الى هانوي. ثم استكمال الانسحابات الفرنسية حتى تنظيف الشمال من قوات الاتحاد الفرنسي، والبدء في تنفيذ مجموعة من الاجراءات والتأميمات على طريق بناء السلطة الثورية وتثبيتها ثم بناء الاساس المادي للاشتراكية.

لفترة طويلة ظلت «اتفاقيات جنيف» قاعدة الانطلاق للنضال الفيتنامي في مسألتي تعزيز السلام واعادة توحيد الوطن، وانطلقت الحملة الفيتنامية ضد امريكا على اساس انها تعتمد سياسة تخريب الاتفاقية، وقد قامت واشنطن خلال **الشهور الاولى** بتبني حملة تهجير مليون فيتنامي شمالي نحو الجنوب، واعتمدت **برنامجاً لمساعدة نظام**

سايجون برئاسة دييم، وانجزت انشاء حلف سياتو

في الاحتفال بذكرى الاستقلال سنة ١٩٥٤ ترك هوشي منه رفيقه فام فان دونغ يحمل «رسالة السلام» الى الجماهير المحتشدة احتفالاً بذلك اليوم الوطني، حيث ندد دونغ بالخطوات السابقة للامبريالية الامريكية وعملائها لتخريب اتفاق السلام. . واكد على ان مهمة الثورة الفيتنامية الحالية هي تدعيم السلام وخلق الظروف لتحقيق السلام والاستقلال الكامل والديمقراطية في كل البلاد. . وهذه المهمة تتطلب وحدة عريضة بين الفيتناميين في شمال الوطن وجنوبه، وبين الفيتناميين واصدقائهم (حلفائهم). . واعاد دونغ تبسيط المسألة امام الجماهير. «النضال السلمي، لتوحيد الوطن يقود الى السلام. . ولكي يتحقق الاستقلال والديمقراطية لابد من تحقيق السلام والوحدة»! لكن هذا التبسيط لم يستطع أن يلغي الحقيقة المرة، فخلال العامين التاليين اتضح للقيادة الفيتنامية ولهوشي منه تحديدا ان مايجري على ارض الجنوب يجعل من هدف التوحيد السلمي للوطن مجرد اوهام لا اكثر. فالفرنسيون قد رحلوا ـ حقيقة ـ لكن الامريكيين كانوا هم البديل الامبريالي الاكثر قوة وشباباً، والنظام الملكي قد تهاوى ـ حقيقة ـ لكن الجمهوريين هم البديل المحلي الاكثر خطورة. اما الضمانات الدولية فلم تعد ذات قيمة وهي لن تغير شيئاً في الواقع الجديد.[1]

ومن هنا جاء ادراك هوشي منه ومعه قيادته بانك لكي تحصل على تسوية سلمية عادلة لابد ان تمتلك مقومات تلك التسوية بين يديك. فكانت القرارات التاريخية للحزب الشيوعي بالعمل على تعزيز القاعدة المادية والاشتراكية في الشمال، وبناء القاعدة السياسية الصلبة في الجنوب، وايجاد الادوات والاطر النضالية القادرة على تحمل مسؤولية التحرير في اللحظة المناسبة.

أ: تعزيز القاعدة المادية للثورة

بعد تحرير كامل الشمال بانسحاب آخر جندي فرنسي اصبحت السلطة الثورية قادرة على تطبيق برامجها وسياساتها في كافة المجالات وفي ظل شروط افضل من المراحل السابقة، ويمكننا هنا التمييز بين مرحلتين في البناء الوطني الشمالي:

---

(١) للمزيد حول موقف القيادات الفيتنامية في تلك الفترة يمكن مراجعة الاعمال المختارة الصادرة (بالانجليزية او الفرنسية) عن دار النشر الرسمية في هانوي عام ١٩٧٧

ـ **المرحلة الاولى:** اعادة بناء الدولة

امتـدت هذه العملية ثلاث سنـوات (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) واستهـدفت ازالـة آثـار الحـرب الـطويلة واعادة اصلاح الاقتصاد واستقراره واعادة تجميع وتنظيم القـوات المسلحـة وبناء المؤسسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية ومحاربة الأمية، وقد تطلب تحقيق ذلك خلق الوحدة الفكرية الحزبية وتعزيز قيادة الحزب واعادة بناء الجبهة الوطنية باسم جبهة الوطن الفيتنامي[٢].

امـا من النـاحية الـدبلوماسية فقد زادت اعترافات الدول الاجنبية بالجمهورية الـديمقراطية وتوسعت علاقات هانوي الخارجية خاصة مع البلدان الاشتراكية وتطور التعـاون مع الصـين والاتحـاد السوفييتي وتوالت مساعدات البلدين لاعادة بناء فيتنام (اقتصـــادياً وعسكـرياً). امـا الـدول الغـربية فقـد شنت حملة ضد الثـورة الـزراعية الفيتنامية[٣] وضد علاقات هانوي مع المعسكر الاشتراكي

ـ **المرحلة الثانية:** انجاز التحول الاشتراكي

وامتـــدت هذه الـعملية ايضـا ثلاث سنــوات (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، استهـدفت انجـاز الخـطة الاقتصـادية الثـلاثية، وتحويل الاقتصاد الوطني نحو البناء الاشـتراكي زراعياً وصنـاعياً وعـلاقـات انتاج. اما في الجانب العسكري فقد تم بناء الاشكال الثلاثة للقوات المسلحة واعيد تحديث الجيش واقيمت الشبكة الدفاعية عن الشمال. وثقافياً انجزت حملة تصفية الامية من البلاد وتوسع التعليم الثانوي والمهني وتوسعت العلاقات مع الدول التقدمية وتعززت العلاقات الحزبية والحكومية مع البلدان الاشتراكية[٤].

---

(٢) جبهـة الـوطن الفيتنـامي Vietnam Father Land Front اعـد لها برنامج عمل ومهمات تتلائم مع مرحلة مابعد جنيف على اساس توسيع وتقوية الوحدة بين كل الوطنيين. حول تجربة العمل الجبهوي عند الفيتناميين راجع دراسة علي فياض/ مجلة الكاتب الفلسطيني العدد ٢٠ تاريخ تموز ـ ايلول ١٩٩٠.

(٣) للمزيد من المعلومات حول مسيرة الاصلاح الزراعي والنتائج التي اسفر عنها راجع:

Troung- Chinh: Selected Writings P. 468- 553

(٤) ساهمت البلدان الاشـتراكيـة خاصـة السـوفييت والصينيين في تطوير القرارات العسكرية وبناء المصانع والمعامل واستثمار المناجم وتحديث وسائل النقل وتطوير الانتاج الحيواني والمكننة الاولية للزراعة واعداد مئات المهندسين والاختصاصيين والفنيين في فيتنام.

ومع نهاية الخمسينات بدا واضحاً ان الشمال قد قطع شوطاً هاماً على طريق التحول الى قاعدة منيعة للنضال الوطني من اجل الوحدة بعد ان فشلت كافة الجهود الدبلوماسية من ناحية، وبعد ان احبطت النضالات الشرعية السياسية والسلمية في الجنوب ـ كما سنرى ـ من ناحية اخرى. فاللجنة المركزية كانت قد قررت بوضوح «ان تعزيز الدفاع الوطني، وتقوية القوات المسلحة الثورية، وتحويل الجيش الى نظامي وحديث تعتبر واحدة من الواجبات الرئيسية للحزب كله وللشعب باسره»(٥) وقد حددت لتلك القوات مهمتان سياسيتان مرحليتان، حماية البناء الوطني وانجازات الثورة في الشمال ومساندة نضال الشعب الجنوبي لتحقيق الوحدة، بينما ظلت المهمة الاستراتيجية تتمثل في حماية الثورة الاشتراكية في فيتنام.

ب: بناء القاعدة السياسية للثورة

ـ في مواجهة القمع السلطوي:

بعد تسلم نجو دييم السلطة في الجنوب انتعش المعسكر الموالي للامريكيين على حساب الموالين للفرنسيين وللقوى الوطنية، ووقف رجعيو الطبقة الاقطاعية والملاك العقاريين والبرجوازية التجارية المرتبطة برأس المال الاجنبي في تكتل منسجم تحت شعارات «الوطنية والجمهورية والحرية»، وفي هذا المناخ ظهرت احزاب النظام الرئيسة: حزب «الحركة الوطنية الثورية» وحزب «الحركة من اجل الحرية» وحزب «العمل والشخصانية» اضافة الى احزاب وتنظيمات اقل شأناً. وفي المقابل كان على النظام ان يواجه سلسلة من العقبات الكبيرة، منها الاثار الاقتصادية والاجتماعية للحرب السابقة، مراكز القوى في الجيش والشرطة، ميليشيا الطوائف الدينية، الجهاز الاداري الموروث. ومن هنا كانت اهمية المساعدة الامريكية الثمينة التي مكنت دييم تدريجياً من تصفية مراكز القوى والتغلب على متاعبه الاقتصادية مما سمح له باجراء انتخابات عامة لجمعية وطنية انتخبته رئيساً للدولة والحكومة والجيش، واقرت له دستوراً جديدا يعطيه صلاحيات واسعة لتصفية اية معارضة، وقد اعتمد دييم في ادارة البلاد على اسرته اولاً ثم طائفته الكاثوليكية تحت شعارات الروحانية والشخصانية والتطور الاجتماعي وربط كافة المنظمات السياسية والامنية والاعلامية به شخصياً.

اما الاقتصاد الجنوبي فقد كان يعتمد بالاساس على المساعدات الامريكية التي خلقت ازدهارا مؤقتاً واصطناعياً في البداية، لان تلك المساعدات لم تشمل نقداً كافياً

---

(٥) للمزيد من المعلومات حول الجيش الشعبي الفيتنامي يراجع ماكتبه جياب بعنوان «لنسلح الجماهير الثورية، لنبن الشعبي» و «مولد جيش». Giap: selected writings P311-514

لادارة عجلة الاقتصاد والتنمية ولا وسائل انتاج للصناعة الوطنية، بل كانت في غالبها بضائع استهلاكية والاسلحة مع قليل من الدولارات، وعندما امتلأ السوق الوطني بالبضائع الفائضة (الامريكية) ادى ذلك الى فائض في الانتاج المحلي غير المباع وكذلك كانت فروع الاقتصاد الهامة تحت سيطرة فئة محدودة (من أسرة الرئيس والمقربين له) وخاصة المناجم والبنوك والمالية والتجارة ومضارب الارز والبناء، الامر الذي سمح ببروز ونمو البرجوازية الكومبرادورية الموالية للسلطة في المدن بشكل رئيسي، اما الارياف فقد تعرضت لتطبيق عدة مشروعات زراعية تحت شعار توزيع اراضي الاقطاعيين والفرنسيين على الفلاحين، ورفع مستواهم المعيشي، وكان منها انشاء المستوطنات الزراعية (الريفية والجبلية) والتي هدفت الى حشر الفلاحين في سلسلة قواعد معادية للشيوعيين تحت شعار التطور الجماعي، ومن اجل توفير الايدي العاملة لبناء الطرق والجسور والانشاءات العسكرية.

ولم يقتصر اضطهاد النظام للفلاحين الفيتناميين بل شمل الاقليات القومية في الجبال (خاصة مرتفعات تاي نجوين) وكذلك الجاليات الصينية والكمبودية الموجودة في الجنوب والتي كانت موضع شك في ولائها للنظام الديكتاتوري[٦].

وبعد تصفيته للقيادات الموالية لفرنسا وللملكية في الجيش والشرطة والامن، قام دييم باعادة تنظيم، توسيع وتطوير القوات المسلحة بمختلف فروعها وانشاء المدارس والكليات الحربية، ووضع في قياداتها الضباط الموالين له شخصياً، كذلك انشأ المنظمات الشبيبية والنسائية العسكرية لتكون في خدمة السلطة.

ـ النضال السلمي للجنوبيين:

بعد نجاح دييم في تصفية مراكز القوى، قام بشن حملة «تنظيف» للمناطق المحررة سابقا استهدفت القوى الوطنية والتقدمية ورجال المقاومة السابقين، وساعده الخبراء الامريكيون في تنفيذ برنامج الارهاب الحكومي بشقيه: القمعي المباشر والحرب النفسية.

---

(٦) الاقليات القومية والدينية في فيتنام يتجاوز عددها الخمسين طائفة اضافة الى القومية الفيتنامية الكبرى التي تسكن السهول عموماً، ومن ابرز تلك الاقليات هوا، تاي، نونغ، مونغ، زاو، خمير، ميو، باهنار، شام. لمن يرغب هناك تفاصيل في Vietnamese studies No 32-36-41

اما حملة شجب الشيوعية التي شنتها السلطة فلم تقتصر على الشيوعيين بل طالت كافة القوى التي كانت تطالب بتطبيق اتفاقيات جنيف او كانت تعارض السياسة الطائفية للنظام، وقد ترأس دييم المجلس الوطني المركزي لتلك الحملة.

وخلال العامين ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ تصاعد تطبيق برنامج العنف بحيث بلغ عدد السجناء السياسيين عشرات الالاف، تعرضوا لعمليات القتل والتصفية خلال التعذيب، كما زج بمئات الالاف من المواطنين في المدارس والمعابد والكنائس التي تحولت الى سجون اضافية وقد أدت حملة التنظيف وبرنامج العنف الى التوسع في انشاء وحدات البوليس واجهزة الامن والاستخبارات على كافة المستويات الاقليمية والفرعية، كذلك نظمت وحدات عديدة من الميليشيا اليمينية، ومحاكم عسكرية بصلاحيات غير مقيدة.

في المقابل استمرت المقاطعة الشعبية للنظام وتطورت الى نضال سلمي عنيد لاحباط مخططات الحكومة وبرامجها، وقد تنوعت الاشكال النضالية السلمية والسلبية والسياسية والمطلبية بما يتلائم مع ظروف المواجهة، اما حالات العنف الثوري فكانت محدودة حتى عام ١٩٥٩ ولم تتجاوز بعض حوادث الاغتيال والخطف.

وقد تطور نضال الشعب الجنوبي على الشكل التالي:

أ ـ يشكل الفلاحون ٨٥ بالمائة من سكان الجنوب، وقد أولتهم حكومة الثورة اهتماماً خاصاً باعتبارهم اضخم قوة ثورية في البلاد كما رأينا، لذلك كانوا اكثر طبقة متضررة من سياسة النظام الجديد وبرامجه، وتركز نضالهم في البداية على محاربة عودة الاقطاعيين والمستغلين من جديد الى القرى التي طردوا منها.

في نضالهم في المرحلة الاولى اقتصروا على الوسائل السياسية الشرعية كارسال الوفود والعرائض الى الحكومة وطلب تدخل لجنة الهدنة المشتركة ولجنة المراقبة الدولية، وتنظيم مظاهرات جماهيرية سلمية، وتنوعت الاحتجاجات من فردية الى جماعية، كما شارك الفلاحون في الحملة الوطنية من اجل الوحدة عام ١٩٥٦.[٧]

---

(٧) للمزيد من التفاصيل حول نضال الفلاحين انظر:

South Vietnam: Realities and Prospects- Vietnamese studies No 18-19

ثم انتقلت أشكال النضال الى تنظيم المسيرات الفلاحية من الارياف نحو المدن وعواصم الاقاليم ومحاصرة المباني الحكومية والقواعد العسكرية، وشاركت المرأة في عمليات المسيرات والتحريض ضد السلطة في عواصم الاقاليم والمدن.

ب ـ سكان المدن كانوا يبلغون آنذاك ثلاثة ملايين نسمة موزعين على ست مدن كبيرة وعواصم المحافظات والاقاليم، بينما تحظى سايجون ـ شولون بنصيب الاسد (حوالي مليونين)، في جبهة العاصمة والمدن ابتدأ النضال في مجالات المطالب الخاصة ثم تطور نحو المطالب العامة.

وكان العمال ابرز الطبقات المدينية، وتركز نضالهم ضد البطالة (التي انتشرت بفضل المساعدات الامريكية) ومن اجل رفع اجورهم ورواتبهم، وتحديد ساعات العمل وتحسين ظروف العمل والاقامة ومحاربة الامراض[٨].

ـ **وقد تنوع نضال** العمال من الاضرابات الى المظاهرات، ومن مراكز المدينة الى مزارع المطاط، وتطورت نحو المطالبة بتطبيق اتفاقيات جنيف ثم المطالبة بالحقوق الديمقراطية الى تشكيل النقابات الى التصدي لحملات الضغط والمراقبة والارهاب السلطوي.

ج ـ الطلبة كانوا احدى الفئات التي ركّز النظام لاستمالتها فانشأ حركة الشباب الجمهوري ورفع الشعارات البراقة حول الوطنية الفيتنامية والثقافة القومية، لكنها لم تلبث ان تحولت بالحركة الى منظمة شبه عسكرية معادية للشيوعية والتقدمية، وانتشرت الثقافة الامريكية وتدهورت اوضاع التعليم الحكومي. **لذلك لاحظنا أن**

النضالات الطلابية بدأت حول برامج التعليم الثانوي واستخدام اللغة القومية في التعليم العالي وبناء المدارس الجديدة ثم تطورت نحو محاربة تجنيد الطلبة والدعوة لاحترام الحريات الديمقراطية ولتطبيق اتفاقيات جنيف، وشارك فيها المدرسون، وايدتها بحماسة الصحافة، وتحولت المدارس الى بؤر ومراكز للتحريض الوطني ضد السلطة وممارساتها[٩].

د ـ البرجوازية الصغيرة بمعظم شرائحها كانت متأججة المشاعر الوطنية حيث مصالحها الطبقية كانت متضررة نتيجة القهر والاضطهاد السلطوي والاقطاعي والكومبرادوري،

---

(٨) اوضاع الطبقة العاملة ونضالاتها ـ راجع المصدر السابق P.92

(٩) للمزيد حول مساهمة الطلاب المصدر السابق P.100

باستثناء بعض الفئات التي نجحت الاحزاب والتنظيمات الرجعية في استقطابها، اما البرجوازية الوطنية فقد كانت ضعيفة القواعد الاقتصادية ومحاصرة، لذا لم تتردد في مشاركة البرجوازية الصغيرة في النضالات السياسية في المدن[١٠].

أما الاقليات والجاليات العرقية في المدن فبدأت نضالها للمحافظة على ثقافتها وديانتها وتقاليدها في وجه اجراءات السلطة ومخططاتها الفاشية، الاقلية الصينية ارتبطت حركتها بتطور النضال في العاصمة حيث تتواجد، بينما الاقلية الكمبودية ارتبطت بحركة الفلاحين في الارياف غربي الدلتا. وقد حاربت الاقليات الاخرى (القوميات الجبلية) مشاريع الاستيطان الزراعية ودافعت عن قراها واراضيها ضد عمليات التهدئة، ولم تتجاوب كثيرا مع حملة شجب الشيوعية رغم اغراءات السلطة، ثم مالبثت ان طورت مقاطعتها للسلطة الى تمرد وعصيان مسلح.

خلال تلك السنوات كان النضال السياسي الجنوبي بقيادة حركة السلام في سايجون ـ شولون التي ضمت شخصيات تقدمية ووطنية مختلفة، وكان هدفها تعزيز السلام في الهند الصينية وضمان الحريات الديمقراطية وتوحيد الوطن سلمياً، وقد اتبعت اساليب نضالية شرعية الا ان السلطة هاجمتها اكثر من مرة واغلقت مقراتها واعتقلت قادتها الامر الذي دفع نشطاءها الى تطوير نضالها السياسي وتصعيد لهجتها ضد السلطة.

بعد ذلك قاد النضال مكتب جبهة «لين فيت» للجنوب، الذي نظم الاضرابات المتتالية تحت شعار التضامن والوحدة بين الشماليين والجنوبيين، ومن اجل تطبيق اتفاقية جنيف حول العلاقة بين الشطرين الى ان قامت جبهة التحرير الوطنية.

ج: بناء الادوات النضالية

النهوض الجماهيري الذي شهده الجنوب، وتصاعد النضال السياسي السلمي في مواجهة سياسة النظام التي بلغت اعلى درجاتها بربرية وقسوة جعل الظروف مناسبة اكثر من اي وقت مضى لنقل النضال الوطني الى مرحلة جديدة، وتلك كانت المسألة الاكثر اهمية امام القيادات الثورية الجنوبية التي التقت عام ١٩٥٩ لمناقشة اوضاع النضال في الجنوب ومهمات المرحلة القادمة، وفي هذا الاجتماع تقرر البدء في الكفاح الوطني

(١٠) حول دور البرجوازية الصغيرة ومعاناتها ـ المصدر السابق P.106

المسلح جنوبـاً **لان** استخـدام العنف الثـوري اصبح امراً ملحاً لمواجهة **عنف الثورة المضـــادة، ومن** هنـا كان لابـد من خلق وبنـاء وتـطوير الادوات النضـالية الـلازمـة كالانتفـاضـة المسلحـة والجبهـة الـوطنية للتحـرير والتنـظيم الطليعي وجيش التحرير الشعبي الى جانب مواصلة النضـال السياسي ودفع الجماهير للانخراط في حركة وطنية موحدة وقوية.

في أيار (مايو) ناقشت القيادة الفيتنامية في هانوي نتائج ومقررات المؤتمر الجنوبي التي نقلها لي ذوان القادم من الجنوب، واعلنت مباركتها ودعمها لخطة الكفاح المسلح التي جاءت لمواجهة التصعيد الامريكي باستخدام اشهر الوسائل بربرية وفاشية لزرع الرعب والمذابح الجماعية كما ذكر لي ذوان. في العام ١٩٥٩ شنت القيادات الفيتنامية في هانـوي حملة مسقـة ضد النـظام الجنـوبي وحمـاته الامبرياليين الامريكيين، وشهدت السياسـة الجنـوبية لحكـومة هانوي تحولاً ملحوظا في اواخر العام بطريقة تهيىء الرأي العام للتطور الجديد. **وهنا سنلاحظ تصعيداً في اللهجة الفيتنامية:**

في خطابه امام الجمعية الوطنية في اواخر العام وصف فام دونغ نظام سايجون بانه فاشي لم يسبق له في التـاريخ مثيلا وانـــه فاق النـظام السـابق في المـانيا في بربـريتـه ووحشيته»[١١]. هوشي منه بدوره اتهم الامبرياليين الامريكيين **وعملاءهم** «بتطبيق سياسة استبـدادية في منتهى الـوحشية تجاه شعب الجنـوب، ويسرقـون ممتلكاته، يضطهدونه ويعاملونه باكثر الطرق البربرية»[١٢].

وقد نقل عن رئيس وزراء فيتنام قوله للقنصل الفرنسي «سنكون في المستقبل في سايجـون». ولـدبلوماسي كندي بان الفيتناميين سيلقون الامريكيين في البحر، واعتبرت الاستخبارات الامريكية ان تلك الاشارات دليلا على تطورات عسكرية جديدة في الجنوب.

وقد لخص لنا الجنرال جياب لاحقاً هذا التحول مشيرا الى انه رغم محبة الجنوبيين للسلام الاّ انهم تأكدوا ان الطريق الوحيد لمواجهة الحرب والقوى المعادية **هي مقارعتها** بالنضال السياسي والمسلح للجماهير العريقة اي بالحرب العادلة **للشعب كله:**

---

(١١) Pham V. Dong: selected Writings P41

(١٢) Hochi Minh: Selected Writings P.195

● الانتفاضة المسلحة

المقاومة الشعبية المسلحة طويلة الامد بدأت في ١٧/١/ ١٩٦٠ في محافظة بن تري في شرق دلتا الميكونغ بقيادة السيدة نجوين دنه[١٣] وخلال الاسبوع الاول توسعت الانتفاضة باسلحتها المتخلفة، ودمرت عدة مراكز للحرس المدني واستولت على حوالي مائة بندقية ثم انتشرت الى عدة قرى فأطاحت بادارتها وانشأت ادارات شعبية ذاتية مكانها كذلك نظمت مجموعات الدفاع عن القرى وبنيت التحصينات وتصدت لكل المحاولات المعادية للسيطرة على الموقف.

وهكذا استطاعت انتفاضة شعبية مسلحة الانتصار ـ لاول مرة في النضال الجنوبي ـ على قوى العدو واداراته على مستوى المحافظة، وعلى بعد مائة كيلومتر فقط من مراكز العدو وقوته الرئيسية في العاصمة، وفي منطقة مستوية بلا غابات، ولا جبال. . لكن بقوى شعبية مؤيدة. . تلك كانت سمات انتفاصة بن تري. التي تبعتها انتفاضات مماثلة انتشرت في هضاب تاي نجوين ومناطق عديدة في الوسط، تطورت حلال بضعة شهور بسرعة فائقة واستطاعت ان تدمر سلطة العدو في الارياف لتشيد على انقاضها السلطة الثورية.

في أواخر شباط (فبراير) انطلقت انتفاضة مسلحة جديدة، نوعية. . حيث قام حوالي ٢٦٠ مقاتل فيتنامي تساعدهم عناصر مؤيدة داخل معسكر للجيش في تواهاي بمحافظة تاي نينه، باقتحام المعسكر ليلة عيد«التيت»وتكبيد العدو ٤٠٠ جندي والاستيلاء على ٨٠٠ بندقية عادية،، ٢٠٠ بندقية آلية وعدة هاونات ومدافع عديمة الارتداد بالاضافة الى غنائم كثيرة تم اخراجها من المخازن بمساعدة المواطنين في المنطقة المجاورة. . وهكذا شكلت عملية تاي نينه اول انتصار عسكري هام للثورة في الجنوب واسفرت عن تشكيل اول كتيبة في القوات المسلحة وتسليحها، وتعزيز المقاتلين المنتشرين في مواقع متفرقة من المحافظة، الذين كانوا النويات الصلبة لجيش التحرير

● الجبهة الوطنية

في ظل هذا النهوض الثوري الشعبي سياسياً وعسكرياً عقدت القوى الثورية

---

(١٣) مدام نجوين دنه Nguyen Dinh وصلت عام ١٩٦٥ الى منصب مساعد القائد العام للقوات الثورية في الجنوب، وبعد التحرير اصبحت رئيسة الاتحاد العام للمرأة الفيتنامية.

الـوطنية واحـداً من اهم لقـاءاتهـا في ٢٠/١٢/٦٠[14] اسفر عن قيام الجبهة الوطنية لتحـرير جنـوب فيتنـام كاطـار سياسي يحشد مختلف التنظيمات والقوى والشخصيات التقدمية والوطنية والمعارضة خلف برنامج سياسي وخطة عمل واحدة بعد ان كان نضال تلك القـوى يتسم بالمبـادرة والتحرك غير المنسق خلال السنتين الماضيتين. فبرنامج الجبهـة السياسي والمعلن اثـر تأسيسهـا يحدد اهـداف الجبهـة وسياستهـا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على الجبهة الداخلية والخارجية:

١ ـ سياسيا: انشاء حكومة ائتلافية وطنية تتمثل فيها قطاعات الشعب وقومياته واحزابه السياسية والدينية والشخصيات الوطنية.

٢ ـ داخلياً: تحقيق الـديمقـراطية عبر جمعية وطنية منتخبـة ودستـور جديد، وصيانـة الحريات المختلفة للافراد والمنظمات.

٣ ـ اقتصـاديا: تنمية الاقتصاد الوطني عبر بناء اقتصاد مستقل، الغاء الاحتكارات، تشجيع الصناعة والحرف الوطنية، وتنمية الزراعة والثروة الحيوانية.

٤ ـ زراعياً: تحقيق الاصلاح الزراعي عبر خطوات تدريجية تشمل ايجارات الاراضي، استصلاحها، توزيعها، ومصادرتها.

٥ ـ ثقـافياً: نشر الثقـافـة الـوطنية والـديمقـراطية عبر القضاء على الثقافة الامريكية الفاسدة، وعبر بناء المؤسسات التعليمية المختلفة واستخدام اللغة الوطنية فيها.

٦ ـ عسكرياً: تطوير القوات المسلحة. وبناء جيش وطني بدون مستشارين امريكيين وقواعد اجنبية، والغاء التجنيد الاجباري وتحسين ظروف الجنود.

٧ ـ اجتـماعياً: حماية حقـوق الاقليات عبر تحقيق المسـاواة بين الاقليات والقـوميات المختلفة، وبين الرجال والنساء، وضمان حق الاستقلال الذاتي ضمن الوطن الفيتنامي.

٨ ـ خارجياً: اتباع سياسة عدم الانحياز. على اساس الحياد والسلام، واحترام مبادىء بانـدونـغ، واقـامة علاقة خاصة مع لاوس وكمبوديا، والغاء الارتباطات والتحالفات الماسة بالسيادة القومية، وقبول المساعدات غير المشروطة.

٩ ـ وطنياً: اعـادة توحيد فيتنـام بالـوسـائـل السلمية وتـدريجيا وعـبر التـزاوج الثقافي والاقتصادي بين الشطرين.

١٠ ـ عالمياً: شجب الحرب،والدفاع عن السلام عن طريق معارضة الحروب العدوانية والتسلح النووي ودعـم الحركات النضالية من اجل السلام والتقدم والديمقراطية في العالم[15].

South Vietnam: From NLF to PRG- Vietnamese stndies: No 23 (١٤)

(١٥) بيانات الجبهة ووثائقها ـ المصدر المصدر السابق.

شكل المؤتمر التأسيسي للجبهة الميلاد الرسمي لها لكن وجودها السياسي تعود جذوره الى النصف الثاني من الخمسينات عندما تشكلت لجنة سايجون شولون للسلام التي ضمت عددا من المثقفين والمحامين والاطباء، والمهندسين وزعماء الاتحادات العمالية والفلاحين في ضواحي سايجون للنضال من اجل تطبيق اتفاقيات جنيف كما رأينا سابقاً والتي انتخب رئيسها المحامي نجوين هو تو رئيسا للجبهة الوطنية منذ المؤتمر التأسيسي رغم وجوده في السجن في ذلك الوقت.. وقد اتخذ نضال تلك القوى اشكالاً واساليب عديدة خلال تلك السنوات.. الا ان السنتين الاخيرتين ١٩٥٩ - ١٩٦٠ شهدتا التركيز على العمل داخل الريف كأساس لمرحلة التعبئة. والتنظيم في عمل الجبهة، في هذه الفترة خلقت شبكة تنظيمية اولية في معظم القرى الجنوبية.. جرى تعزيزها وتمتينها مباشرة بعد المؤتمر الذي دعا في بيانه الاول «كل فئات الشعب من فلاحين وعمال ومثقفين وصناعيين وتجار واقليات قومية ومتدينين وشخصيات وجنود وضباط.. للنهوض وتحطيم اغلال الاضطهاد والعبودية من اجل استعادة الاستقلال والحرية»[١٦].

● النضال السياسي

الاستراتيجية الاولى للجبهة كانت العمل على حشد كل فئات وطبقات الشعب الاجتماعية والفئوية من احزاب وجماعات وتنظيمات وطوائف.. سياسية، دينية، عرقية- بصرف النظر عن لونها السياسي للعمل من اجل الاطاحة بالنظام الاستعماري الامريكي - الديبمي وتحقيق الاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد في جنوب فيتنام.. والتقدم نحو توحيد الوطن..

ولتحقيق تلك الاستراتيجية اعتمد برنامج النقاط العشر السابق وانتخبت لجنة مركزية مؤقتة- المرحلة الاولى من نضال الجبهة في الارياف اتسمت بتحركين رئيسيين، اولهما مواصلة تعزيز البناء التنظيمي ومنظمات الجبهة والتوسع في نشرها لتصل الى كافة القرى تقريبا.. ثانيهما العمل على اضعاف السيطرة الحكومية على تلك القرى، وحمايتها من رجالات السلطة واجهزتها الرجعية، وخلال تنفيذ ذلك يجري اعداد القرى للمقاومة والقتال وتحويلها تدريجياً الى قرى مقاتلة بالحد الادنى، ويصبح في هذه الحالة للعنف دوراً محدداً وهو الدفاع عن القرى والفلاحين هنا او هناك بهذه المناسبة او

---

(١٦) راجع المصدر السابق.

تلك . . لذلك كانت النشاطات العسكرية حتى نهاية ١٩٦١ محصورة او محدودة.وقد سجلت نتائج العنف خلال عام ١٩٥٩ قتيلا واحداً بين جنود وعملاء السلطة لكل يومين، وارتفع الى خمسة قتلى يوميا عام ١٩٦٠ . . حيث كان اسلوب الاغتيالات هو السائد في تلك المرحلة الاولى.

المرحلة التالية التي اعقبت البناء والاعداد شهدت تصعيدا في النضال السياسي للجبهة اتخذ الملامح التالية: اكمال مخطط التعبئة والتنظيم للجماهير الريفية. . واكمال تحطيم الادارة الحكومية في المناطق الريفية، التصدي لمشروع القرى الاستراتيجية. . والتحضير للانتفاضة الشاملة في الجنوب.

ولانجاز تلك المهمات اعتمدت الجبهة على شبكة واسعة من اللجان والروابط الجبهوية داخل القرى، تضم نوعين من اللجان، وظيفية اجتماعية ـ سياسية. . وادارية قيادية. . وهنا بعض التفاصيل:

اولاً: **الروابط الوظيفية:** جرى تنظيمها على اساس الوظيفة أو الجنس. . وبالتالي تعنى بتعبئة وتنظيم وحشد الفئات الرئيسية داخل القرية لتحقيق هدف عام هو تعبئة وحشد الامكانيات المادية والمعنوية للجماهير، وهدف خاص هو تنمية المساعدة المتبادلة والاشتراك في النضال لتحقيق المطالب داخل كل رابطة بما يخدم الهدف العام.

كانت رابطة الفلاحين للتحرير أهم وأكبر تلك الروابط، تليها رابطة المرأة للتحرير ثم رابطة العمال، وروابط الشباب والشبيبة والطلبة والمثقفين.

وقد كانت الخارطة التنظيمية لتلك الروابط متشابهة حيث تشكل الخلية التي تضم من ٣ ـ ٥ أعضاء ادنى الحلقات التنظيمية، يليها الفرع الذي يضم من ٣ ـ ٥ خلايا. . ومجموعة الفروع تقودها لجنة تنفيذية او سكرتارية على مستوى الناحية ثم على مستوى المحافظة ثم عبر المحافظات واخيرا اللجنة المركزية للرابطة. . وليس شرطا ان تكون الخلية هي الوحدة الاساسية فهناك بعض الحالات التي يكون فيها الفرع هو الاساس. الاجتماعات التنظيمية عادة ماتكون نصف شهرية، ويعقد مؤتمر الرابطة على مستوى الناحية كل عام، وعلى مستوى المحافظة كل عام ونصف. . اما العقوبات التنظيمية فتتراوح بين التأنيب والانذار، والفصل المؤقت والفصل النهائي.

ثانياً: **الروابط الادارية:** وتقوم بتوجيه وتسيير النشاطات السياسية **والاقتصادية** والاجتماعية لسكان القرية أي أنها تشكل الهيئة القيادية الادارية على **مستوى القرية**. .

وتشكل في القرى والمدن والنواحي والاقاليم القاعدة التحتية سياسيا وعسكريا واداريا للجبهة والثورة الفيتنامية في الجنوب.

وفي أعلى هرم هذه الروابط تقع اللجنة المركزية للجبهة والتي تقور سياستها وتقوم بالتخطيط، والمراقبة التنظيمية تليها لجان التنسيق بين المناطق ـ وعددها ثلاث لجان ـ ومسؤولياتها تشمل شؤون التدريب والتوعية الفكرية، بعدها تأتي لجان قيادة المناطق ـ وعددها سبع لجان ـ وتتمتع بصلاحيات اللجنة المركزية في مناطقها نتيجة للظروف النضالية الصعبة.

أما لجان قيادة المحافظات فتعتبر الحلقة الوسيطة مع القيادة، ويبلغ عددها ثلاثين لجنة، ومهمتها قيادة وتسيير شؤون الروابط الادارية في الاقاليم والمدن والقرى التابعة لها وقيادة العمل العسكري للوحدات المحلية(١٧)

● **جيش التحرير**

انطلاقة الانتفاضة الشعبية المسلحة في محافظة بن تري في ١٩٦٠/١/١٧ والانتفاضة العسكرية في محافظة تاي نينه بعد ستة اسابيع، الى جانب اثارها المعنوية والسياسية، الاّ انها من الناحية العسكرية فتحت المجال لتراكم امكانيات بشرية ومادية، وخبرات قتالية وفنية طوال عام كامل من العمل والمواجهات العسكرية وشبه العسكرية، مما سمح بالاقدام على الخطوة الاكثر اهمية.

في الشهر الثاني من عام ١٩٦١ امكن توحيد كافة الوحدات والمجموعات الثورية المسلحة وكذلك الفصائل المسلحة وشبه المسلحة التابعة للمناطق او الطوائف (الدينية ـ السياسية) المختلفة في اطار واحد وتحت قيادة موحدة اعلن عنها رسمياً في ٢/١٥ عبر قيام جيش التحرير الوطني(١٨). وبعد ذلك التاريخ شهد العمل العسكري في جنوب فيتنام تطورات كبيرة في مجالات التدريب والتجهيز والتسليح وكذلك في مجالي التنظيم والتوعية السياسية.

● **التنظيم الطليعي**

أعلن عن قيام الحزب الطليعي «الشيوعي» في جنوب فيتنام في ١٩٦٢/١/١ اي بعد قيام جبهة التحرير الوطني باكثر من عام، لكن ذلك الفرق الزمني بين

---

(١٧) انظر دوغلاس بايك ـ الفتيكونغ ـ دار الطليعة ـ بيروت.

(١٨) التطور العسكري للقوى الثورية بعد المؤتمر العسكري موجود في التجربة العسكرية الفيتنامية ص ٢١٠.

الميلادين لا يعني اطلاقاً ان الجبهة الوطنية لم تكن تحت قيادة الشيوعيين ـ فقد حرصت القيادة الفيتنامية في تلك الفترة أن تعطي الاولوية في عملها الدعاوي للجانب الوطني «القومي» لذلك ظلت القيادات المكلفة بالمهمات دون اشهار لشيوعيتها، حتى ان الحزب الطليعي نفسه لم يشهر صفته الحقيقية خلال حرب التحرير الجنوبية وظل يحتفظ باسم حزب الشعب حتى انجاز مهمة التحرر الوطني عام ١٩٧٥[١٩].

طبعاً أدبيات الحزب الداخلية[٢٠] كانت تحدده كحزب ماركسي ـ لينيني، حزباً للطبقة العاملة والشغيلة يسعى لتوحيدها وبقية الوطنيين في النضال للاستيلاء على السلطة كانت مهمته انذاك قيادة جبهة التحرير الوطني في النضال لتحرير الجنوب وتحقيق الاستقلال الوطني، وقد استطاعت قيادته للجبهة ان توفر لها اطراً قيادية صلبة ومتماسكة، ومضمونا اجتماعياً تقدمياً جذابا، وقد نظمت تلك المهمة القيادية عبر ثلاث مستويات من القيادة المركزية: قيادة العمل المسلح، توجيه سياسة الجبهة، ادارة مؤسسات الجبهة.

ورغم اعلان الحزب «الشعب» انه يقيم علاقة رفاقية واخوية مع الحزب «العمال» في الشمال الا انه كان من الناحية الفعلية ليس اكثر من لجنة حزبية يشرف عليها مباشرة «لو ذوان» الامين العام الاسبق للحزب الشيوعي في الشمال ثم خلفه عام ١٩٦٣ لي دوك ثو في الاشراف عليها.

ويرى الكثيرون ان فصل الحزب الجنوبي عن الحزب «الام» الشمالي قد ساعد خاصة في السنوات الاولى على الحد من تأثير دعاية الامريكيين ودييم حول الهيمنة الشمالية الشيوعية على الجبهة، وفسح المجال جيدا لتوسيع عمل ونشاط ومصداقية الجبهة الوطنية كما نجح في استدراج جزء هام من التعاطف والمساندة الخارجية غير الشيوعية والمحايدة اضافة الى الدعم الرئيسي من الدول والمنظمات الشيوعية والثورية المضمون اصلاً.

وهكذا توفرت للحرب الثورية في اوائل الستينات اهم شروطها وادواتها

---

(١٩) في المؤتمر العام الرابع للحزب الذي عقد بعد التحرير والتوحيد واقامة جمهورية فيتنام الاشتراكية اعلن عن قيام «الحزب الشيوعي الفيتنامي» في كل فيتنام، للمزيد حول مسيرة الحزب الشيوعي في فيتنام يمكن مراجعة ملف خاص كتبه المؤلف لمجلة الحرية بتاريخ ٢٠/٥/١٩٩٠.

(٢٠) للمزيد من المعلومات عن حزب الشعب الثوري تحديداً انظر دوغلاس بايك ـ الفيتكونغ ـ ترجمة خليل سليم ـ اصدار دار الطليعة بيروت ١٩٦٩.

التنظيمية والسياسية والعسكرية بالاضافة الى الاستعداد الجماهيري العالي للتضحية، فاصبحت الساحة الجنوبية جاهزة لاستقبال العرض التاريخي الثاني للعنف الثوري الذى قاد الى التسوية السياسية العادلة

ثانياً: الطريق الى التسوية العادلة

اولاً: الحرب الخاصة والاستراتيجية المضادة

بعد انتخابه رئيسا لامريكا في اواخر ١٩٦٠ قرر كيندي ـ وادارته الجديدة التصدي لحركات التحرر الوطني العالمية عبر سياسة هجومية تعتمد على القوى البشرية المحلية والاموال والاسلحة الامريكية لشن حرب عصابات مضادة للقوى الثورية في العالم الثالث، اطلق عليها اسم الحرب الخاصة[٢١]

بالنسبة لفيتنام هدفت الحرب الخاصة الى تحويل القرى الى مواقع منيعة معادية للثوار اطلق عليها القرى الاستراتيجية وبالتالي لعزل القوى الثورية وتدمير قواعدها الشعبية، واعادة الاجهزة والادارة الرجعية الى الريف وتعزيزه (تهدئة الريف) ثم الانتقال لتصفية القواعد الثورية في المناطق الاخرى، وتعزيز القوات المسلحة الجنوبية مع ادخال اصلاحات اقتصادية واجتماعية في الجنوب وتصعيد عمليات التخريب ضد الشمال حتى يمكن في المرحلة الاخيرة شن الهجوم الجنوبي الشامل ضد الشمال لتحريره من الشيوعيين وتوحيد البلاد.

في مواجهة ذلك عززت الجبهة، تنظيماتها وتواجدها السياسي والعسكري في الارياف مما مكنها من اجراء انتخابات للجان الجبهوية في معظم المحافظات، وتشكيل جهازها الحكومي واقامة المؤسسات الاقتصادية والثقافية والاعلامية واعلن عن توحيد القوات المسلحة الثورية والوطنية في جيش التحرير الشعبي في اواسط شباط (فبراير) ثم عقدت الجبهة مؤتمرها الوطني الاول في أواخر الشهر الذي صم تحالفاً اوسع من القوى الوطنية والمعارضة لنظام دييم وانتخبت لجنة مركزية جديدة بقيادة نجوين هوتو ثم بلغت الجبهة بعدها اوج انتشارها واتساعها على الرغم من الحرب الخاصة[٢٢].

أما واشنطن فقد عمدت الى زيادة عدد القوات المسلحة الجنوبية (النظامية وغير النظامية) الى حوالي نصف مليون شخص مع اعادة تسليحها وتنظيمها وتجهيزها،

---

(٢١) التفاصيل حول الحرب الخاصة Special War في الفصل الثاني من الباب الرابع ـ التجربة العسكرية الفيتنامية ص٢٠٠ .

واقامة قيادة امريكية عسكرية، مع الخبراء والمستشارين والوحدات الخاصة التي بلغت بضعة آلاف، مع قوة جوية وبرية وبحرية قادرة على توفير «حركة ونيران» متفوقة، ثم اعد مكنمارا خطة معدّلة على الخطة السابقة بهدف تنظيف المناطق الجنوبية، واستعادة المبادرة واسترداد الارض:

وقد بلغت تلك العمليات اكثر من عشرين الف عملية خلال ١٩٦٢ واسفرت عن تدمير مناطق وقرى كاملة، وادت الى مقتل واصابة واعتقال اكثر من ٣٠٠ الف مواطن، كما اقيمت اكثر من ١٥ الف قرية استراتيجية حشر فيها ملايين الفلاحين، وخلقت عدة مشاكل ومصاعب امام القوى الثورية مما دفع القيادات الامريكية الى التفاؤل بقرب نهاية «الفيتكونغ».

لكن العام التالي حمل تصعيدا ثوريا مفاجئاً للامريكيين عسكرياً، وتمكن الثوار من تسجيل عدة انجازات عسكرية اهمها، معركة «آب باك» قرب سايجون في الشهر الاول حيث قاتل مائتي مقاتل حوالي الفي جندي معادي باسلحة وتجهيزات متفوقة، واخذت القوات الثورية تنتقل من حالة الدفاع وتحاشي الضربات القاتلة الى شن هجمات محدودة، ثم كسر الموجات الهجومية الكبيرة للعدو.

في أيلول (سبتمبر) عقدت الجبهة مؤتمراً عسكرياً عاماً شكل نقطة تحول هامة[٢٣] اقر الخطط والبرامج اللازمة لتنفيذ الاستراتيجية العسكرية للجبهة في تلك المرحلة، واعادة تنظيم، وتدريب وتجهيز مختلف فروع القوات الثورية وتعزيز القوات النظامية بالاسلحة والتجهيزات الثقيلة، حيث تمكنت القوات الثورية من تصعيد عملياتها خلال الشهور الثلاثة الاخيرة من العام، ابتداء بمعركة «لوك نينه» في تشرين الاول (اكتوبر) مما كبد العدو الاف الخسائر البشرية وعشرات الطائرات والاليات والتحصينات والقرى الاستراتيجية.

اضافة للتطورات العسكرية فقد أضافت الازمات الداخلية تراكماً جديداً في ملف النظام، حيث تشكلت قوى وتكتلات معارضة جديدة، وانطلقت ثورة البوذيين في أيار (مايو) ١٩٦٣ التي تصاعدت وانضمت اليها فئات شعبية اخرى، وشهدت المدن تطورا سريعا في النضال السياسي الذي كان عماده العمال والطلبة، فقررت القيادة الامريكية تحميل دييم واسرته مسؤولية الفشل العسكري والسياسي والشعبي فاوعزت الى عملائها الآخرين بالقيام بانقلاب عسكري وتصفية دييم بعد ان تم استهلاكه تماما واصبح

(٢٢) وثائق المؤتمر الوطني الاول متوفرة في Vietnamese Studies No 23 (٢٣) انظر كتابات الجنرال جياب.

عبئا على الادارة الامريكية واستراتيجيتها الجديدة[٢٤] وقد حاولت واشنطن اشراك عدد من الاحزاب، والتنظيمات السياسية والدينية في الحياة السياسية، وانطلقت الاحاديث حول الاصلاحات الديمقراطية والاقتصادية والاجتماعية. وتشكيل حكومات مدنية - عسكرية ومشاريع مواثيق الا ان الصراع بين الجنرالات في الجيش الجنوبي. والصراع بين الاجهزة الامريكية في سايجون، والتنافس بين مراكز القوى في واشنطن ادى كله الى سلسلة من الانقلابات بلغت خلال عامي ١٩٦٤ - ١٩٦٥ اثني عشر انقلاباً.

نتيجة لتلك التطورات شهد العام ١٩٦٤ انتعاشاً سياسياً في المدن كما أن

الجبهة الوطنية عززت سيطرتها من جديد على المناطق الريفية بعد شطب حوالي ٨٠ بالمائة من القرى الاستراتيجية واقامة القرى المقاتلة على انقاضها، واصبحت المناطق المحررة تصل الى حوالي ٨٥ بالمائة من الاراضي وعشر ملايين من المواطنين، مما سمح للجبهة بعقد مؤتمرها الوطني الثاني في محافظة «تاي نينه» غرب الدلتا في أواسط ١٩٦٤ بحضور ١٥٠عضواً يمثلون بالاضافة الى الاحزاب والقوى الشعبية والنقابية السابقة، منظمات سياسية وبوذية ومسيحية ونقابية جديدة، وانتخب المؤتمر لجنة مركزية جديدة ومجلس رئاسة يقوده «نجوين هوتو» ومهمته القيادة العسكرية والسياسية والعلاقات الخارجية، وهيئة سكرتارية امينها العام «هوينه تان فات» ومهمتها شؤون التنظيم والتنسيق والاعلام والامن والادارة، واصدر المؤتمر بيانا سياسيا، ودعا الى تسوية القضية سلميا على اساس وقف الحرب وانسحاب القوات الامريكية واجراء مفاوضات بين القوى السياسية لايجاد حل سياسي[٢٥].

ومع نهاية عام ١٩٦٤ كانت الحـ الخاصة قد فشلت بانهيار اركانها الرئيسية.

فالجيش المحلي فقد تماسكه وقوته وانحطت روحه المعنوية، والادارة المحلية تفسخت وعانت ازمات وصراعات متتالية، ومشروع القرى الاستراتيجية فشل ولم يتبق منه الا ماهو في المراكز الرئيسية، بينما قوات الثورة تضاعفت وتقوت بدلاً من التحطيم والتشتيت، والمناطق المحررة توسعت وتعززت بدلاً من التقليص والسيطرة عليها، والجبهة الوطنية احتلت مكاناً دولياً مرموقاً، والامريكيون واجهوا تنديدا متواصلاً.

(٢٤) بشأن الانقلاب على ديم استبعد الرئيس الامريكي الاسبق نيكسون اشتراك واشنطن مباشرة فيه الا انه رجح ان تكون الادارة الامريكية قد شحمت المزلاج لتسهيل سقوط ديم كما انها لم تقم باي اجراء لمنع قتله، للمزيد حول الدور الاميركي انذاك راجع: Joseph Buttinger Vol II P. 1000 - 1010

(٢٥) حول المؤتمر الوطني الثاني للجبهة في حزيران/ يونيه ١٩٦٤ انظر Vietnamese Studies No 23

ثانياً: الحرب المحدودة (او المحلية)[٢٦]

. هذا المصطلح يعني استخدام القوات الامريكية مباشرة في العمليات العسكرية في الجنوب من اجل تحقيق التفوق المطلق في ساحة القتال في مجال قوة النيران والقدرة على الحركة كمقدمة لمطاردة القوات الثورية الجنوبية واستعادة الاراضي المحررة، وفي نفس الوقت سحق القدرات العسكرية والاقتصادية للشمال بحيث يصبح عاجزاً عن نجدة الجنوبيين.

بدأت هذه الاستراتيجية بتصعيد العمليات الخاصة ضد فيتنام الشمالية (١٩٦٤) لتلقين حكومة هانوي درساً اوليا بعد زيارة وزير الدفاع مكنمارا لسايجون، وجرى في ذلك استغلال الخلاف الصيني السوفييتي الناشب لشن هجمات ارضية وجوية ضد الاهداف الشمالية، والتهديد عبر الوسائل الدبلوماسية[٢٧]

بعد ذلك بدأ الشمال في اعادة تعبئة الجماهير من اجل البناء الاشتراكي، والدفاع عن الوطن في نفس الوقت، وفي هذا النطاق اعتمدت مبادىء جديدة في السياسات الاقتصادية والدفاعية للشمال لكي تتلائم مع تطورات الصراع المحتملة وشنت هانوي حملة دبلوماسية واسعة ضد العدوان الامريكي اعتمدت على برنامج (خطة) النقاط الاربع[٢٨].

اما الجنوب فقد شهد سلسلة من الانقلابات ادت الى المزيد من الارتباك والفوضى داخل الادارة والجيش وادت الى بروز اتجاهات محايدة داخل السلطة حاولت السلطات الامريكية في سايجون التصدي لها وتصفيتها قبل ان تتوسع، وحاولت واشنطن توفير

---

(٢٦) الحرب المحدودة Limited war أو Local war في بعض المصادر للمزيد راجع التجربة العسكرية الفصل الرابع ـ الباب الرابع او Vietnamese Studies, No 20

(٢٧) لقد جرى استغلال الخلاف الصيني ـ السوفييتي لابتزاز فيتنام عبر الوسائل الدبلوماسية، فقد نفذت عملية تونكين في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤ وعملية القصف الجوي في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥ وفي نفس الوقت ارسلت واشنطن مبعوثاً كندياً الى هانوي لتسليم رسائل تهديد الى رئيس الوزراء الفيتنامي

(٢٨) خطة النقاط الاربع لشمال فيتنام تشمل: الاعتراف بالحقوق الوطنية الاساسية لشعب فيتنام وانسحاب القوات الامريكية. احترام قرارات مؤتمر جنيف المتعلقة بالترتيبات العسكرية، عدم التدخل في الشؤون الداخلية لفيتنام الجنوبية، توحيد فيتنام سلمياً بدون تدخل اجنبي.

بعض الاستقرار في السلطة الجنوبية.

بينما الجبهة الوطنية استمرت في جهودها لبناء السلطة الثورية في المناطق المحررة، وتقوية القاعدة الاقتصادية للثورة، وقررت الرد على العدوان ضد الشمال بشن هجمات عسكرية واسعة ضد اهداف استراتيجية جنوبية وشاركت في الحملة الدبلوماسية المعادية لامريكا ببرنامج النقاط الخمس.

في مطلع العام ١٩٦٦ بلغ الحشد العسكري الامريكي حوالي مائتي الف جندي مع اكثر من نصف مليون جندي جنوبي، استخدمت في تنفيذ سلسلة من الحملات العسكرية طوال العام، ابرزها حملة السهام الخمس الكبرى لتدمير القوات الرئيسية للجبهة :وعشرات العمليات المتوسطة، والصغيرة، على طريق التهدئة والتنظيف للمناطق الجنوبية، كما قامت القاذفات الامريكية بقصف الاهداف البترولية في هانوي وهايفونغ بشدة.

بعد فشل الهجمات المذكورة في تصفية قواعد الجبهة وفي اجبار هانوي على وقف مساعداتها للجنوب، تقرر بناء خط مكنمارا الدفاعي على طول خط عرض ١٧ والذي يشمل حاجزاً الكترونيا مزدوجا ضد الافراد، وضد الآليات[٢٩].

العام ١٩٦٧ شهد الحملة العسكرية الكبرى الثانية التي كان هدفها المركزي المناطق الثورية في شمال غرب سايجون وقد شملت ثلاث عمليات عسكرية رئيسية، وعدة عمليات صغيرة، واختلفت هذه الحملة عن الاولى بشدة التركيز، وبعدم الاعتماد على القوات المحلية كثيراً واتباع تكتيكات فرعية متنوعة، بينما ارسلت القاذفات الامريكية لضرب الاهداف المائية والكهربائية في المناطق الشمالية.

بعد فشل الحملة التانية. قررت الادارة الامريكية اعادة ترتيب اوضاعها العسكرية واجرت تنقلات في قياداتها في سايجون وامر وزير الدفاع مكنمارا بتشكيل لجنة خاصة من الخبراء والباحثين الامريكيين لدراسة الموقف الامريكي في فيتنام مس جديد!

على الطرف الاخر كانت فيتنام الشمالية قد تلقت ضربات قاسية ومدمرة ادت الى خسائر فادحة في الحقلين الصناعي والزراعي في المنشآت والى ضحايا كبيرة بين المدنيين نتيجة القصف الشديد، واستخدام اسلحة متطورة في العدوان، لكن ذلك لم يؤثر على ارادة الصمود فيها، واعلن «هوشي منه» ان شعب فيتنام لن يتراجع حتى ولو دمروا

---

(٢٩) خط مكنمارا الدفاعي: راجع التجربة العسكرية الفيتنامية ص ٢٣٥.

مدنه وقراه، لذلك أمكن رصد الحقيقتين التاليتين:

في الشمال لم تتوقف الاستعدادات العسكرية على كافة المستويات العسكرية الدفاعية وحدات الدفاع الذاتي، الميليشيا الشعبية، الدفاع المدني، لجان الاحياء والمصانع والمؤسسات عن التصدي للغارات واحباط اهدافها وازالة آثارها سريعا. . واحتفل الشعب باسقاط الطائرة رقم ١٢٠٠[٣٠].

وفي الجنوب اعتمدت جبهة التحرير استراتيجيتها العسكرية المضادة، مستخدمة الوحدات النظامية الصدامية - والوحدات الثورية الخاصة في المؤخرة، كما قامت بمهاجمة وقصف القواعد والمطارات والمنشآت العسكرية وطرق المواصلات بكثافة. . وفي الجانب السياسي اصدرت قيادة الجبهة برنامجا سياسيا جديدا لاستيعاب المزيد من القوى الوطنية والنضال ضد العدوان الامريكي وقد شمل البرنامج الجديد اربع نقاط رئيسية، توحيد الشعب لقتال الامريكيين، بناء الجنوب المستقل والديمقراطي، تطبيع العلاقات مع الشمال، سياسة خارجية مسالمة ومحايدة.

ثالثاً: هجوم الربيع «التيت»[٣١]

في أول ١٩٦٨ حشدت القيادة الامريكية على الاراضي الفيتنامية اكثر ماتستطيع من قوى عسكرية بلغت مليون ومائتي الف بينهم ٥٢٥ الف جندي امريكي، وفي نفس الوقت كانت القيادة الفيتنامية تجهز سراً لشن اعظم واوسع هجماتها العسكرية - الشعبية ولتغطية ذلك أوحت للامريكيين بانها ستخوض معارك عسكرية هامة على جبهة محدودة (الطريق رقم ٩). موفرة عنصري السرية والمفاجأة معاً

ليلة ١/٣٠ بدأ هجوم الربيع، نسبة الى السنة القمرية الفيتنامية «التيت» الذي شمل هجمات عسكرية وانتفاضات شعبية في حوالي ٦٠ مدينة وعاصمة اقليمية ومركز حربي حيث اقيمت السلطة الشعبية في العديد منها واسفر عن ابادة وتشتيت ٥٠ الف جندي بينهم عشرة الاف امريكي وتدمير واعطاب الاف الدبابات والاليات والطائرات.

---

(٣٠) في مواجهة الحرب الجوية، راجع المصدر السابق ص ٢٣٩.

(٣١) هجوم الربيع «التيت» Tet، المصدر السابق ص ٢٤١، ويمكن التعرف على يوميات الهجوم المذكور في: The Year 1968- Vietnamese Studies- Hanoi 1970

و شهدت سايجون أكثر الهجمات اثارة، حيث هاجم الثوار واحتلوا بشكل مؤقت القصر الجمهوري والسفارة الامريكية وقيادة الجيش والاذاعة وقيادة القوات البحرية والمظلية والشرطة والمطار ومخازن الذخيرة والوقود، واقامت القوى الشعبية سلطتها الثورية في اربعة احياء من العاصمة، وقد دارت في السفارة الامريكية معارك مواجهة ضارية بين الثوار وقوات الامن والوحدات الخاصة الامريكية في خمس طوابق من المبنى.

وفي الجبهات الشرقية والشمالية والمرتفعات الوسطى، هاجم الثوار او قصفوا معظم المطارات واهم القواعد العسكرية والمنشآت والمخازن الحربية، وسيطروا مؤقتاً على احياء عديدة في المدن الرئيسية (كانتوم، دالات، دانانغ، هوي) واقاموا السلطة الثورية فيها بعد تصفية القوات المعادية والادارات الرجعية.

الاثار العسكرية لهجوم الربيع دفعت القيادة الامريكية في واشنطن الى ارسال بعثة تحقيق عسكرية برئاسة هويلر رئيس هيئة الاركان المشتركة والتي رفعت تقريرها المتشائم حول الموقف العسكري، كما تم نقل الجنرال ويستمورلاند، وتعيين الجنرال ابرامز مكانه فاوقف العمل بسياسة البحث والتدمير الشاملة، واعتمد سياسة التنظيف والاحتفاظ بالمناطق المحيطة بالمدن والقواعد الكبرى مع استخدام اكثر للاسلحة الكيماوية.

وداخل الادارة الامريكية ادى الهجوم الى توسيع شقة الخلاف حول عدد من المسائل العسكرية ابرزها قصف الشمال وارسال قوات برية اضافية، الامر الذي ادى الى استقالة مكنمارا من وزارة الدفاع فتولاها بعده كليفورد، كما انشق روبرت كينيدي عن جونسون ورشح نفسه للانتخابات في الحزب الديمقراطي.

اما الاثار السياسية فقد تلخصت في اضطرار جونسون بناء على نصيحة «مجلس الحكماء» الى اعلان مبادرته بوقف القصف الجوي الجزئي عن الشمال، ودعوة الفيتناميين الى المفاوضات الثنائية التي بدأت في نيسان (ابريل) رغم احتجاج الحكومة الجنوبية.

على الجانب الفيتنامي تعزز المركز العسكري للثوار ـ رغم ادعاءات الامريكيين بفشل هجوم التيت ـ وتشدد الحصار على المراكز الامريكية الاستراتيجية، وتوسع النفوذ السياسي والعسكري للثوار في جبهة المدن، واعلن عن انشاء تحالف القوى الوطنية والديمقراطية والسلمية في العاصمة، واضطرت واشنطن لقبول جبهة التحرير الوطنية في المفاوضات الرباعية.

ومن الناحية الاستراتيجية ادى هجوم التيت عسكرياً الى فشل استراتيجية الحرب

المحدودة التي شنها جونسون والى انتقال الثوار الى مرحلة هجومية جديدة واسعة انتهت لاحقا بخروج القوات الامريكية وتحرير الجنوب، وسياسيا ادى الهجوم المذكور الى تعزيز السلطة الثورية والاعتراف بشرعية تمثيلها وفتح الطريق ايضاً امام الدبلوماسية الفيتنامية للتحرك من موقع القوة.

ثالثاً: دبلوماسية النعوش الطائرة

أ ـ المفاوضات من الفكرة الى المبادرة:

في نهاية الستينيات اتيح للشعب الامريكي ان يطلّع على الكثير من حقائق التورط الامريكي في فيتنام التي ظلت جوانب كثيرة منها خلف ستائر السرية منذ ايام حكومة كيندي، لذلك ظلت الدعوات الفيتنامية المبكرة الى الحل السلمي وعقد مؤتمر دولي جديد تائهة بين هدير المدافع والصلف الامريكي، فقد بدأ كيندي المغامرة على اساس انها لن تكون مكلفة وكان الشعب الامريكي يجهل ابعادها وبالتالي لم يكن مايدعو الادارة الى الالتفات للدعوات السلمية، الاّ ان لهيب المعارك وصل الى معظم الولايات المتحدة وطالت اثارها معظم الاحياء والبيوت الامريكية نتيجة الخسائر البشرية والمادية التي ادت الى تأثر العديد من المشروعات الصحية والتعليمية. ومن هنا بدأت فئات عديدة من الشعب بالتحرك ضد الحرب.

لقد تصاعد التحرك المعادي للحرب ليشكل حرباً اخرى تخوضها الادارة الامريكية على جبهتها الداخلية:

١ ـ خلال ادارة كيندي كانت امريكا تشهد تطوراً سريعاً ومتواصلاً في العلوم والتكنولوجيا، انتج قوة اقتصادية وعسكرية هائلة كانت بتصرف الاحتكارات الرأسمالية، لكن هذه القوة لم تمنع نمو الكثير من التناقضات والامراض الاجتماعية داخل المجتمع، وانتشار الجريمة، التفرقة العنصرية، انخفاض مستوى المعيشة لدى قطاعات من السود والهنود والبورتوريكيين وحتى البيض، والتلوث في بيئة المدن، واندحار القيم والتقاليد الروحية امام تدفق البضائع الاستهلاكية والكمالية، اما على المستوى السياسي فقد خلقت مجتمعاً غير مكترث ولا تثير اهتمامه المشاكل السياسية الدولية معتمداً على حكوماته «القوية» واثقاً من حكمتها وقدرتها على حل المشاكل للكرة

الارضية كلها، مسلماً بما تقدمه له وسائل الاعلام والدعاية ـ التابعة للادارة والاحتكارات ـ من معلومات وتحليلات مريحة وعلى ذلك فإن المشكلة الفيتنامية لم تكن في البداية في قائمة اهتمامات المجتمع الامريكي. ورغم تورط ادارة كيندي فيها الا ان عددا محدوداً من الافراد المهتمين او ذوي العلاقة كانوا على اطلاع بما يجري في الهند الصينية، لكن مع ازدياد تورط الامريكيين في الحرب وارتفاع كلفتها اخذ المواطن يشعر بالاعباء المالية ثم الشرية، وبدأ يتفاعل معها، يناقشها ويهتم بها، كما ان اتساع الحرب واستمرارها لفترة طويلة ادى الى تفاقم التناقضات والامراض الاجتماعية داخل المجتمع.ومن هنا يمكن القول ان المعارضة الامريكية للحرب الفيتنامية لم تنمو في احضان اي حزب او حركة سياسية او نتيجة لبرنامج سياسي او اجتماعي محدد، بل ولدت مع توفر المعلومات المتسربة، وانتشرت بداية بين اوساط الطبقة الوسطى وخاصة الفئات المثقفة منها: الطلبة، الشباب، الصحفيين، المثقفين، رجال الدين، لذلك فهي لم تكن معارضة موحدة او منسقة او منظمة، بل كانت في البداية تحركات عشوائية تنطلق في موجات متفرقة حسب الاحداث العسكرية او السياسية المثيرة في الحرب.

٢ ـ في عهد ادارة جونسون شهدت المعارضة للحرب صعودين، اولهما بسبب ارسال القوات البرية الامريكية والايعاز لها بالاشتراك في العمليات الهجومية، وثانيهما بسبب الحرب ضد فيتنام الديمقراطية.وقد شهدت المدن الامريكية مئات المظاهرات المعادية للحرب، كما ان المعارضة وصلت الى داخل الادارة الامريكية نفسها، واصبحت عاملاً رئيسياً في الحملة الانتخابية للرئاسة، ورغم ان الادارة لم تعترف حتى اواخر ١٩٦٨ باكثر من ثلاثين بليون دولار كتكلفة سنوية للحرب مع ٣١ الف قتيل امريكي اجمالي الاّ ان هذه الارقام كانت كفيلة بدفع المزيد من الامريكيين الى الانضمام للمعارضة والمطالبة بالانسحاب من فيتنام، فاضعفت موقف جونسون وحزبه الى حد كبير، الامر الذي دفعه لطرح مبادرته الدبلوماسية الاولى للتفاوض مع الطرف الآخر (هانوي) مقابل وقف القصف الجزئي ضد المناطق الشمالية.

٣ ـ وهكذا بدأت المفاوضات بين الطرفين رحلتها في السنة الاخيرة من ادارة جونسون وكانت حينذاك ثنائية، وفي السنة الاولى من ادارة نكسون اصبحت رباعية، لكنها ترافقت مع مفاوضات ثنائية سرية قادت الى الاتفاق التاريخي الشهير باسم اتفاقية باريس والتي انهت التورط العدواني العسكري الامريكي في فيتنام وفتحت الطريق امام اسقاط النظام الرجعي التابع في سايجون وتحرير الجنوب وتوحيد الوطن الفيتنامي. ويمكننا القول ان تكتيك المفاوضات دخل قاموس الصراع الفيتنامي ـ الامريكي

اعتباراً من تاريخ ١١ آذار (مارس) ١٩٦٨ عندما اعلن جونسون في خطابه وقفاً جزئياً للغارات الجوية على الشمال داعياً الفيتناميين في مقابل ذلك الى بدء المفاوضات بين الطرفين، فردت هانوي في ٤/٣ بالموافقة على العرض، وفي ٥/٣ اتفق على باريس مكانا للمفاوضات، وخلال ايام جلس الوفد الامريكي برئاسة افريل هاريمان وعضوية سايروس فانس في مجابهة الوفد الفيتنامي برئاسة لي دوك ثو وعضوية كسيان ثوي.

تلك - كما قلنا - كانت بداية الرحلة الدبلوماسية التي استغرقت خمس سنوات ومرت بعدة مراحل:

● **المرحلة الاولى:**

كما هو متوقع تمترس الجانبان المتفاوضان حول مواقفهما السابقة المعلنة، مستنداً كل منهما الى بقاط ضعف الطرف الآخر علّه يقدم بعض التنازلات:

- فالجانب الفيتنامي مدركاً مازق الادارة الجونسونية الداخلي وخسائرها الباهظة استند على بيان حكومة هانوي (النقاط الاربع) وعلى مطالب جبهة التحرير الجنوبية الواردة في بيانها السياسي، الامر الذي رفضه الجانب الامريكي تماماً.

- والجانب الامريكي ساعياً الى استغلال صعوبات فيتنام الشمالية الناتجة عن القصف العنيف والتخريب من اجل الوصول الى تسوية مشرفة لتحسين وضع الادارة والحزب الديمقراطي استند الى خطة مانيلا التي تدعو للانسحاب المتبادل من الجنوب مع بقاء القوات الامريكية ستة اشهر بعد انسحاب الشماليين، ولكنه ووجه بالرفض الفيتنامي لخطته وبالدعوة الى الانسحاب الكامل وغير المشروط للقوات الامريكية.

وهنا لجأت القيادة الفيتنامية الى ازالة اية اوهام قد تعلق لدى المقاتلين والمواطنين حول امكانية حل سياسي قريب، فقد خاطب فام دونغ اعضاء البرلمان،(الجمعية الوطنية)،في ٥/٢٤ مصارحاً وفي نفس الوقت مؤكدا على ان موقف الحكومة لم يتغير باعتماد البيانات الشمالية والجنوبية الثورية اساسا للحل السياسي المنشود.بينما حذر هوشي منه في ٧/٢٠ (ذكرى اتفاقيات جنيف) شعبه من عدم جدية المفاوض الامريكي ودعاه الى مواصلة القتال داخل الساحة الاساسية للصراع، ساحة القتال الميداني.

اما جونسون فقد حاول اصلاح الاثار السلبية لمبادرته التفاوضية في كل من سايجون وواشنطن، في سايجون حاول طمأنة الحكومة الجنوبية التي لم تكن مرتاحة للمفاوضات، واعداً قيادتها (خلال لقائه معها في هونولولو في تموز/ يوليه) بمتابعة قصف الشمال لتخفيف الضغط العسكري على قواتهم. وفي واشنطن حاول رأب

ألصدع بين اركان الادارة التي انقسمت بين متطرفين (هيئة الاركان ـ القيادة الميدانية) ومعتدلين (وزارة الدفاع ـ وزارة الخارجية) وفي هذا النطاق شكلت لجنة خاصة من مجلس الامن القومي لدراسة وتقييم الموقف في فيتنام . . لكن الوقت كان يمر بسرعة بالنسبة لجونسون والانتخابات تقترب والمعارضة الداخلية تشتد ولابد من استئناف المفاوضات.

المبادرة الثانية قدمها جونسون في اول تشرين الثاني (نوفمبر) وقوامها اعلانه وقف القصف الكلي عن فيتنام الشمالية باستثناء ممر هوشي منه (لاسباب استراتيجية). ولكي يغطي مبادرته المذكورة امام المتطرفين (الصقور) في الجانب الامريكي وكذلك لحفظ ماء الوجه اعلن انه يفعل ذلك بعد ان تلقى تعهداً (ضمنياً) من قادة هانوي (عبر رئيس الوزراء السوفييتي كوسيجن) بعدم مهاجمة المدن الكبيرة في الجنوب وعدم اطلاق صواريخ او تحريك القوات الشمالية عبر المنطقة المجردة من السلاح . . لكن الجانب الفيتنامي سارع الى نفي ذلك «الادعاء». وفي نفس الوقت ساد الانطباع لدى جهات امريكية كثيرة ان جونسون اوقف الغارات الجوية دون ثمن مقابل باستثناء استئناف المفاوضات . . في كل الاحوال لم تفوت حكومة هانوي الفرصة وتجاوبت مع مبادرة جونسون في ١١/٢ . . لكن القيادة الفيتنامية تحركت على جبهتين في آن واحد حيث وجه هوشي منه نداءً في نفس اليوم يحمل تطلعاته السلمية (موجها الى الامريكيين) وتحذيراته من المخططات الامريكيّة السوداء (موجها الى الشعب الفيتنامي) داعيا الى مواصلة القتال حتى رحيل آخر جندي امريكي . . اما جبهة التحرير فقد سارعت الى انتهاز الفرصة والمطالبة باشراكها في المفاوضات الدائرة باعتبارها ممثلاً للشعب الجنوبي وبالتالي لا يجوز تقرير مصير الجنوب دون مشاركتها وارفقت بذلك مشروعاً للتسوية من خمس نقاط . . ولم يمض وقت طويل حتى كانت الجبهة شريكا في مفاوضات المرحلة التالية (المفاوضات الرباعية) . .

المرحلة الاولى من المفاوضات سببت للطرفين بعض المشاكل،فكيف تصرف كل منهما في مواجهته؟

قبول القيادة الفيتنامية في الشمال ثم الجنوب، بالجلوس مع الامريكيين في **مفاوضات باريس** ترك نوعين من ردود الفعل في واشنطن وخلق انتقاداً صينياً حاداً . . وصمتاً سوفييتياً على الشكل التالي:

قيادة الاركان والقيادة العسكرية في سايجون اعتبرت القرار الفيتنامي علامة ضعف وانهيار نتيجة الخسائر والمصاعب التي واجهتها فيتنام الديمقراطية وبالتالي لابد من

مواصلة ابتـزازهـا بينـما الاطـراف الاخرى في الدفاع والخارجية نفت ان يكون وضع الطرف الآخر ضعيفاً مؤكدة انه في موقف قوي في جبهتي الشمال والجنوب على حد سواء وبالتالي لابد من انتهاز الفرصة والتوصل الى تسوية مشرفة.

الخلافات لم تحسم بين الجانبين داخل مجلس الامن القومي فتقرر تكليف لجنة خاصة بفيتنام كما ذكرنا لكن تلك اللجنة لم تسعف الادارة التي شكلتها.

اما الموقف الصيني كان منذ البداية متحفظاً تجاه فكرة المفاوضات وبعد مباشرة المفاوضات ابلغوا الفيتاميين اعتراضهم عليها بل انهم تجاهلوا في وسائل الاعلام اخبار المفاوضات طوال الشهـور الستـة الاولى وكـانـوا يحرضـون الفيتناميين على قطعها على اساس ان «النضـال يجب ان يكـون في ميادين القتـال وليس على مائـدة المؤتمر»[٣٢] وانه لابد من الصمود في وجه الابتزاز الامريكي عبر القصف الجوي.

كما عارضت بكين الموافقة الفيتنامية على الشروع في المفاوضات الرباعية خلال الحملة الامريكية على اعتبار أنها تساعد الحزب الديمقراطي الحاكم في الفوز بالرئاسة مرة اخرى، وتحدثت عن «الضغط السوفييتي» وراء قبول الفيتناميين بالتفاوض.. الّا ان كيسنجر يعترف في مذكراته ان جميع الاطراف (في الادارة) كانت مدركة ان هانوي مستقلة في قرارها قتالاً او تفاوضاً وأنها غير تابعة لبكين او موسكو.

● **المرحلة الثانية:**

خلال الحملة الانتخـابية قدمت للجمهـور الامـريكي عدة مشاريع جمهورية، وديمقـراطية حول السياسـة الفيتنـامية، ابرزها خطة روبرت كيندي الذي انشق عن جونسون وطالب بوقف قصف الشمال الفيتنامي وتجميع القوات والتجهيزات العسكرية تحت اشراف دولي وتخفيض عمليات التمشيط والتطهير الامريكية في الجنوب واستبدالها بالـدفـاع عن المنـاطق السكـانية الكثيفـة وبدء مفاوضات تشارك فيها جبهة التحرير والاتفـاق على تجميد النشـاطات العسكرية وعدم تصعيدها خلال فترة المفاوضات.

وبعد مقتل روبرت كيندي تبنى شقيقه ادوارد، وماك كارثي، وماك غفرن ـ الذي اعتبر الحـرب اكـبر خطيئة عسكرية وسياسية واقتصادية واخلاقية في التاريخ الامريكي ـ[٣٣] برنامجا مشتركا في مؤتمر الحزب الديمقراطي يدعو الى ايقاف غير مشروط للقصف على الشـمال، اعـداد خطة انسحـاب متبـادل، دفع سايجون للتفاوض مع جبهة التحرير لتشكيل حكومة جنوبية موحدة، تخفيض الهجمات العسكرية الامريكية في الجنوب..

---

(٣٢) كتاب الحقيقة حول العلاقات الفيتنامية ـ الصينية ص١٣٣.

(٣٣) مذكرات الرئيس الامريكي الاسبق نيكسون ص ١٤٤.

لكن المؤتمر لم يوافق على البرنامج واقر خطة من ثلاثة عناوين، انسحاب فوري لكل القوات الاجنبية، وقف القصف اذا لم يعرض حياة الامريكيين للخطر، اجراء انتخابات حرة تحت مراقبة دولية.

اما الحزب الجمهوري فقدتضمن برنامجه حول المسألة الفيتنامية، عدم الصلح بغير ثمن، البحث عن تسوية عادلة ومنصفة، التحرر التدريجي لامريكا من الحرب، تقوية البنية السياسية في الجنوب، وخلال حملاته الانتخابية وعد نكسون مواطنيه بسحب القوات الامريكية وانهاء الحرب الدائرة في فيتنام سريعا، مما خلق ارتياحا لدى قطاعات واسعة من الشعب وهدأ من ثورة المعارضة التي كانت قد انتشرت في اكثر من مائة مدينة.. لكن الشهور الاولى من حكم نكسون احبطت امال اولئك الذين اعتقدوا بصدق وعوده الانتخابية السابقة، وفوجئوا بالرئيس ليس فقط يماطل في مسألة الانسحابات ويؤجلها بل يستمر في القتال ويصعده، يوسع دائرة الصراع ويهاجم كمبوديا مما دفع الطلبة إلى شن الحملات الاولى في المرحلة الجديدة حيث قاطع طلبة كاليفورنيا (ولاية نكسون) الدراسة على امتداد ١٣٤ يوماً، ثم طلبة سان فرانسيسكو الذين تضامنت معهم ٣٤ كلية جامعة.ثم توسعت المظاهرات المعادية للحرب الى ٥٠ مدينة منها نيويورك وانتشرت حملة لرفض الخدمة العسكرية ورغم ان الطلبة كانوا اكثر الفئات نشاطا وحيوية الا ان قوى اجتماعية اخرى شاركت في حركة المعارضة بنسب متفاوتة. مظاهرات النساء جاءت بعد الطلبة مباشرة حيث ضمت بالاساس أمهات وزوجات واخوات الجنود الموجودين في فيتنام، مطالبة بعودة اقاربهن الى البلاد ثم بدأ جنود القوات البرية تحركاتهم داخل المعسكرات والوحدات، اجتماعات، ندوات، مناقشات حول جدوى الحرب.. وبدأت تجمعات «الاصحاب المتدينين» تقيم الصلوات امام البيت الابيض، ووصلت المعارضة الى المجالس البلدية والنواب واعضاء الكونجرس وتشكلت منظمات ولجان للمعارضة عقدت مؤتمراً لمندوبيها في أواسط ١٩٦٩ لوضع خطة عامة للتحرك اطلق عليها هجوم الخريف.

من ابرز التنظيمات التي ظهرت في مجال معارضة الحرب، التحالف الديمقراطي الجديد الذي أنشأه نواب وشخصيات ديمقراطية يعارضون سياسة الادارة السابقة والحالية، ولجنة القرار من اجل فيتنام، والائتلاف الوطني ضد الحرب والعنصرية والاضطهاد، كما شارك ايضا في تشكيل لجان ومنظمات خاصة بفيتنام وللعمل على انسحاب القوات الامريكية المثقفون والعلماء والحائزون على جائزة نوبل واعضاء نقابات عمالية ورجال كنيسة ورجال اعمال وسياسة، اما الطبقة العاملة فقد بدأت تحركها

(المتأخر نسبياً) بعمال وموظفي البريد ثم النقل الجوي والبحري وعمال الكهرباء والمناجم والبناء، ومن الفئات التي شاركت في المعارضة في تلك الفترة المدرسون وموظفو الادارات العامة والاطباء والمحامون والعاملون في مؤسسات الادارة نفسها كما امتد لهيب المعارضة الامريكية الى الجاليات في الخارج.

ب ـ دبلوماسية الفتنمة

لقد اتبع نكسون منذ انتخابه سياسة مزدوجة تجاه المسألة الفيتنامية، اعتمدت على توسيع دائرة الحرب باعتماد استراتيجية الفتنمة وفي ذات الوقت البحث عن التسوية بفتح قنوات اضافية:

● **فتنمة الحرب:** (٣٤)

الفتنمة استراتيجية جديدة اعتمدتها ادارة نكسون الجمهورية بعد سقوط الادارة الديمقراطية في انتخابات الرئاسة (أواخر ١٩٦٨) ونعني استبدال القوات الامريكية بقوات وامكانيات محلية للاستمرار في الحرب، اي الفتنمة بديلاً عن الأمركة.. وقد لوحظ ان القيادة الامريكية بدأت في خطة عاجلة لانجاز تهدئة سريعة للاوضاع في الجنوب، بحيث تستطيع القوات الجنوبية القيام بمهماتها العسكرية، وتمكين القوات الامريكية من الانسحاب التدريجي من البلاد. وهذا استدعى حرق المناطق الحدودية مع كل من لاوس وكمبوديا وشمال فيتنام لمنع الامدادات عن الثوار الجنوبيين.

وبالنسبة لكمبوديا كان لابد من تخريب حياد حكومة سيهانوك ودعم القوى اليمينية والرجعية الكمبودية خارج وداخل السلطة على حد سواء، وفي لاوس تم تعزيز القوات الملكية للحكومة ودعم القوى الرجعية والوحدات الخاصة وارسال المستشارين والضباط الامريكيين، وفي الحالتين استخدمت واشنطن النظام والقوات والاراضي التايلندية لانجاح سياستي الكمبدة واللوسنة.أما بالنسبة للصين تقرر الاستفادة من التوتر في العلاقات الصينية ـ السوفييتية، وتنمية العلاقات مع بكين للحد من مساعداتها للقوات الثورية في الهند الصينية ومن معارضتها للنفوذ الامريكي في جنوب شرق اسيا، واجريت الاتصالات والزيارات السرية الامريكية لبكين.

القيادة الفيتنامية من جانبها اعتمدت استراتيجية مضادة هجومية، عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً بحيث تتعزز اكثر من اي وقت مضى جبهة الهند الصينية، ويتعزز

---

(٣٤) الفتنمة من وجهة نظر نيكسون جاءت للتغلب على اثار الامركة التي ادت الى توريط امريكا وتحميلها خسائر مادية وبشرية كبيرة وحطت من سمعتها الدولية، وقد أعاب كيسنجر على جونسون استراتيجيته تلك التي لا توصل الى النصر.

التعاون الاخوي مع الصين حزبيا وحكوميا.

اما على الجبهة الجنوبية فقد جرت التطورات الرئيسية التالية:

أ ـ الجيش الجنوبي جرى توسيعه حيث وصل عدد افراده المسلحين الى حوالي مليون، وتعززت القوات الجوية والبحرية والمدرعة، باحدث الاسلحة والتجهيزات الامريكية، واعيد تدريب وحداته بشكل مكثف وواسع، وتلقى الضباط دورات خارجية متخصصة، وكلف الجيش السايجوني بعمليات عسكرية جديدة، بينما اقتصر دور القوات الامريكية على المهمات الدفاعية بشكل عام.

ب ـ النظام الجنوبي حاولت الادارة الامريكية مساعدته على تجاوز ازمته المزمنة، والحد من الصراع على السلطة، وقام نكسون بزيارة الى سايجون لهذا الغرض، الا ان الامور لم تستقر، وتوسعت المعارضة داخل النظام نفسه، وانضمت قطاعات طلابية وشبابية كثيرة الى المعارضة نتيجة للفساد الثقافي والاداري ولتردي الاوضاع الاقتصادية.

ج ـ في المقابل عزز الثوار سلطتهم في المناطق المحررة فعقدوا مؤتمرا شعبياً عاماً اسفر عن اقامة النظام الجمهوري وتشكيل حكومتهم الثورية المؤقتة برئاسة هوينه تان فات، والمجلس الاستشاري برئاسة نجوين هو تو وفي الشمال نفذت القيادة برنامجا واسعاً لاعادة بناء شبكات الدفاع الجوي والوحدات الدفاعية الجوية والبحرية والاقليمية، للتقليل ماأمكن من اثار الحرب الجوية العدوانية وتأمين المساعدة والدعم للجبهة الجنوبية

● **دبلوماسية القوة:**

في عهد نكسون لمع اسم كيسنجر كمفاوض من موقع مهندس السياسة الخارجية الامريكية، ذلك يعني ترجمة سياسة الفتنمة في مجال المفاوضات اي اجراء التفاوض من مركز القوة، ولهذا لابد من استخدام القوة لاحداث تغيير يساعد على اجراء المفاوضات الجادة كما اعتقد نكسون. . كيسنجر عارض دعوات الانسحابات والمفاوضات العاجلة والمتسرعة داخل الادارة منذ الشهور الاولى وايد مفاوضات تكون جزءاً من استراتيجية امريكية موحدة تجعل من متابعة الحرب بالنسبة للقيادة الثورية الفيتنامية اقل اغراء من التسوية السياسية حسب نظرية كيسنجر. . وهذه الاستراتيجية تتضمن تحقيق انجازات عسكرية محددة، مشاركة الفيتناميين السايجونيين في ادارة الحرب، اشراك الفيتناميين الجنوبيين غير الشيوعيين في الادارة السياسية ، التصدي لتصلب حكومة هانوي، فصل الشؤون العسكرية في المفاوضات عن السياسة والتركيز بداية على العسكرية.

ويبرر دعوته الى استخدام العنف قبل المفاوضات بالقول «ان الفيتناميين مازالت

تدغدغ نفوسهم الاساطير المثيرة في تاريخهم الحربي ضد الصيبين والفرنسيين واليابانيين والامريكيين، لذلك لن يقبلوا بالتسوية الا بعد حساب دقيق وضرورة ماسة».

بدأت اهتمامات كيسنجر بالمشكلة الفيتنامية في عام ١٩٦٥ عندما زار سايجون بصفة خبير فني بدعوة من السفير كابوت لودج.وفي منتصف عام ١٩٦٦ زارها ثانية بناء على طلب هاريمان، وفي النصف الثاني عام ١٩٦٧ عمل وسيطا بين حكومة جونسون والفيتناميين عبر سانتيني المفوض الفرنسي السابق في فيتنام. وحول دوره في المفاوضات في عهد الادارة الجديدة يقول كيسنجر انه كان يساعد نكسون في تحقيق رغبته في التخلص من الحرب لكن مع الحفاظ على مبادىء الشرف والمسؤولية تجاه ثقة الشعوب الحرة والبلدان المتورطة في الحرب الى جانب امريكا. . لذلك (نصحه) باجراء الاتصالات مع حكومة هانوي فور نجاحه في الانتخابات. وكان أبرزها:

- في ١٩٦٨/١٢/٢٠ بعث نكسون باول رسائله الى القيادة الفيتنامية ضمّنها استعداده لاجراء المحادثات الرسمية حول المسائل الاساسية على اساس الحفاظ على شرف جميع الفرقاء من اجل التوصل الى الاتفاق النهائي، الا ان الرد الفيتنامي في اواخر الشهر تضمن الاصرار على شرطي الانسحاب الكامل للقوات الامريكية واسقاط النظام في سايجون حسب المصادر الامريكية.

- الاتصال الثاني جرى في أول ١٩٦٩ ووفق فيه على قبول جبهة التحرير في مفاوضات رباعية بدأت في ١/٢٥، وفي الشهر التالي عين كابوت لودج رئيسا للوفد الامريكي وكيسنجر عضواً بتوجهات جديدة تقضي بالتركيز على المسائل التفصيلية. الوفدان الثوريان في المفاوضات استمرا في مطالبة الامريكيين بوضع حد لتورطهم وانسحاب قواتهم بلا شروط واسقاط حكومة سايجون وتشكيل حكومة ائتلافية ودفع تعويضات امريكية عن الاضرار التي لحقت بفيتنام، والاستناد الى بيانات هانوي والجبهة حول التسوية السياسية. . وفي المقابل اعلن نكسون في اواسط أيار (مايو) تخليه عن خطة مانيلا للسلام التي كانت تشمل انسحاب متبادل للقوات وبقاء قوات امريكية بعد ستة اشهر من انسحاب الفيتناميين الشماليين،وطرح مشروعا من ٨ نقاط يتضمن الانسحاب المتزامن، مشاركة الجبهة في الحياة السياسية الجنوبية واجراء انتخابات حرة ووقف اطلاق نار باشراف دولي، رداً على مشروع النقاط العشر الذي قدمه الفيتناميون في الاسبوع السابق.

يقول كيسنجر ان المفاوضات الرباعية تأخرت لعدة شهور بسبب مشكلة اجرائية تتعلق بشكل طاولة المفاوضات وطريقة جلوس الاطراف المشاركة حتى تدخل

السوفييت واقترحوا طاولة مستديرة لا تحمل لوحات او اعلاماً او اشارات مميزة.
لكن تركيز الوفد الامريكي في الشهور الاولى للمفاوضات حول المسائل التفصيلية، كخط الهدنة، المنطقة العازلة، اسرى الحرب، مشكلة لاوس، كمبوديا.. قابله الجانب الفيتنامي بالتركيز على المسائل السياسية الاساسية، وخاصة حق الشعب الفيتنامي الجنوبي في تقرير مصيره واستعادة السلام في المنطقة ولهذا مرت جلسات المؤتمر متتابعة دون ان تحقق الى تقدم جدي.

وخلال ذلك جرت محاولة امريكية لبناء علاقة مع هوشي منه عبر سانتيني الذي قابل نكسون في ٧/١٥ وحمله رسالة شخصية الى هوشي منه تتحدث عن رغبته في السلام وتؤكد ان «الوقت قد حان للتفاوض من اجل ايجاد حل سريع للحرب المأساوية.. ستجدونا في حالة جاهزية واستعداد لنبني وإياكم من خلال مجهود مشترك منافع الصلح لشعب فيتنام الشجاع حتى يستطيع العالم ان يقول بعدئذ ان الفريقين قد اختارا في اللحظة الحرجة هذه، السلام على الصراع والحرب..» الا ان الوسيط الفرنسي لم يتمكن من الحصول على تأشيرة دخول الى فيتنام وسلم الرسالة الى المندوب الفيتنامي في باريس ماي بو.وفي اواخر آب (اغسطس) تلقى نكسون رد هوشي منه الذي اعتبره كيسنجر غير دبلوماسي لخلوه من صيغة الاحترام التي استخدمها الرئيس الامريكي في رسالته! وجاء المضمون مخيباً لامال الامريكيين حيث تضمن الزام امريكا بوضع حد لعدوانها وسحب كل قواتها واحترام حق الشعب الجنوبي واعتبار مشروع النقاط العشر اساساً للتسوية، واكد مفهوم الفيتناميين للسلام المرتبط بالاستقلال والحرية وعزمهم على القتال حتى النهاية بصرف النظر عن حجم التضحيات.

ج - تكتيك الحكومة المؤقتة:

تعتبر الحكومة المؤقتة او الحكومة التورية المؤقتة احدى التكتيكات التي لجأت اليها قيادة الثورة الفيتنامية «هوشي منه» اكثر من مرة خلال المسيرة النضالية الطويلة، وللحق فان هذا التكتيك لم يكن خطوة منفصلة او منعزلة في تلك المسيرة بل كان امتداداً للتكتيكات الاخرى التي اقدمت عليها القيادة لخدمة الخط الاستراتيجي العام للثورة، وللحق ايضا نقول ان فكرة الحكومة المؤقتة في فيتنام ليست من ابداع الشيوعيين بل هي تجربة سابقة حتى على ميلاد الحزب الشيوعي، حاولها زعماء الحركة الوطنية والقوميون الاصلاحيون من قبلهم لكن دون نجاح يذكر، وحدها القيادة الشيوعية هي التي تمكنت من استخدام تكتيك الحكومة المؤقتة بنجاح كمحطة لتسلم

السلطة الوطنية والوصول الى الآستقلال الوطني وهو ماحدث في عام ١٩٤٥.

التجربة الثانية الناجحة كانت آخر الانجازات الثورية للزعيم الفيتنامي قبل ان يرحل، بعد ان حدد للحكومة المؤقتة مهمتها الرئيسية بمواصلة النضال الدبلوماسي السياسي (من جديد) وبعد ان وفرت نضالات جبهة التحرير الوطنية الواقع السياسي والمادي اللازم، وبمعنى آخر كانت مهمة الحكومة قطف ثمار العنف الثوري لكن دون ايقافه، وفي جانبها الآخر كانت الحكومة رداً ثورياً مناسباً على سياسة نيكسون المزدوجة ومحاصرة لألاعيبه السياسية الرامية الى تجاوز الواقع الثوري في الساحة الجنوبية.

فكيف تشكلت الحكومة؟ وماهي مهامها الرئيسية؟ وهل كانت بديلا للجبهة الوطنية؟

في ٦ حزيران (يونيه) ١٩٦٩ عقدت قيادات جبهة التحرير الوطني والتحالف الوطني مؤتمراً شعبياً دعت اليه عدداً من ممثلي المنظمات والشخصيات الوطنية الاخرى على مستوى الساحة الجنوبية، اطلق عليه المؤتمر الشعبي العام واسفر بعد ثلاثة ايام من الاجتماعات عن اعلان النظام الجمهوري واقامة الحكومة الثورية المؤقتة والمجلس الاستشاري لجنوب فيتنام.

في بيانه السياسي الصادر في الثامن من الشهر اكد المؤتمر ان الاهداف الاساسية لشعب جنوب فيتنام تتركز في الاستقلال، الديمقراطية، السلام، الحياد، التوحيد السلمي للبلاد[٣٥]. وحدد مهمات الشعب والقوات المسلحة الجنوبية في تقوية الوحدة الداخلية وحشد كل الطاقات لهزيمة السياسة العدوانية الامريكية والاطاحة بالارادة الرجعية وتحرير الجنوب والدفاع عن الشمال.

المؤتمر الشعبي اعلن عن اقامة النظام الجمهوري في جنوب فيتنام واعتمد العلم الوطني للجمهورية الذي يضم اللونين الازرق والاحمر مناصفة تتوسطها النجمة الذهبية، والنشيد الوطني المستند الى قصيدة «هيا نحرر الجنوب» والشعار الوطني الذي يتكون من «استقلال، ديمقراطية، سلام، حياد». وحدد سياسته كالتالي:

السياسة الداخلية للجمهورية تقوم على تعزيز الوحدة الوطنية بين الفئات الشعبية المختلفة بصرف النظر عن الاتجاهات الاجتماعية والدينية والقومية والسياسية والماضي السياسي. اما السياسة الخارجية فانها تقوم على السلام والحياد واقامة علاقات

---

(٣٥) المصدر Vietnamese Studies No 23 حول تجربة الحكومة المؤقتة، دراسة للمؤلف في مجلة «الفكر الديمقراطي» العدد ٦ ربيع ١٩٨٩.

خارجية وفق المبادىء الخمس للتعايش السلمي وسياسة حسن الجوار في لاوس وكمبوديا.

كما أعلن المؤتمر الشعبي عن قيام الحكومة الثورية المؤقتة كاعلى سلطة مركزية في الجمهورية تمثل ارادة الشعب الجنوبي وتطلعاته وتقود مقاومته نحو النصر ولاقامة حكومة ائتلاف وطني تجري انتخابات عامة لجمعية وطنية تقوم بدورها باعداد دستور البلاد وحكومتها الدائمة.

الحكومة المؤقتة كلفت بمهمة تبعئة وقيادة القوات المسلحة والشعب، وقيادة اللجان الشعبية الثورية على كافة المستويات وكافة الوزارات لتطوير الانجازات التي تحققت، وشن الهجمات والانتفاضات العامة الى جانب النضال الدبلوماسي وزيادة منعة المقاومة في كافة المجالات.

وخُولت الحكومة بكافة الصلاحيات لقيادة واتخاذ الاجراءات الضرورية في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد مستنيره بقرارات المؤتمر والبرامج السياسية للجبهة والتحالف الوطني.. وفق قرارات المؤتمر ضمت الحكومة المؤقتة رئيس الحكومة ونوابه ووزراء الدفاع، الخارجية، والداخلية الاقتصاد والمالية، الاعلام والثقافة، التعليم والشباب، الصحة والشؤون الاجتماعية ومقعدي الحرب، والعدل.. لكنها خُولت بانشاء الوزارات والاجهزة اللازمة لعملها عند الضرورة.

المؤتمر الشعبي أقر المركزية الديمقراطية كمبدأ لتنظيم السلطة الثورية التي تنحدر من المستوى المركزي الى المدن والمحافظات، الى الاقاليم الى القرى والنواحي، على ان تنتخب المجالس الشعبية الثورية التي تُعين بدورها اللجان الشعبية الثورية.

الى جانب الحكومة المؤقتة انشأ المؤتمر الشعبي المجلس الاستشاري للحكومة ويضم ممثلي الجبهة الوطنية والتحالف الوطني والقوى الوطنية الاخرى، على رأسه رئيس ونائبه ومهمته مساعدة الحكومة في عملها ومهماتها وتقديم المشورة والاقتراحات في الشؤون الداخلية والخارجية والقانونية وقد خول المؤتمر الشعبي الحكومة المؤقتة والمجلس الاستشاري مجتمعين بالتقرير في المسائل ذات الاهمية الكبيرة التي تواجه البلاد. المؤتمر أصدر نداء عاماً اعلن فيه موقفه من سياسة تكثيف واطالة العدوان والتوسع لادارة نكسون، وعدم جديتها في مفاوضات باريس واكد اصرار الشعب الجنوبي على التقدم نحو مرحلة جديدة في النضال ضد العدوان الامريكي وانجاز الخلاص الوطني للبلاد.. وقد تضمن النداء شرحاً للمهمات التاريخية للثورة الجنوبية ومهمات الحكومة المؤقتة والمجلس الاستشاري في قيادتها بعد ان قررت اللجنة المركزية لجبهة التحرير

التخلي عن وظائفها الحكومية داخلياً وخارجيا الى الحكومة المؤقتة.

المؤتمر الشعبي ثمنَّ الدور الذي تقوم به قوات التحرير الشعبية المسلحة وحيا الانتصارات والانجازات التي حققها، وثمّن الرعاية الخاصة للرئيس هوشي منه ومساعدة «الفيتناميين في الشمال الذي شكل الخلفية العظيمة التي ستبقى القلعة الصلبة للوطن»(٣٦).

المؤتمر دعا الشعب وقواته المسلحة لحشد طاقاتهم لتطبيق القرارات وتوحيد انفسهم حول الحكومة المؤقتة للوفاء بالمهمة التاريخية وخص النداء قوات التحرير الشعبية المسلحة وكوادر الجيش والمنظمات الشعبية والرسمية ثم ابناء المناطق الريفية «الطليعيين» ووطني المدن «المصممين» وابناء الجماعات الدينية والقومية المختلفة ثم الضباط والجنود والموظفين الوطنيين في الادارة والجيش الرجعي واخيرا المغتربين الفيتناميين.

واعرب المؤتمر عن امتنانه للبلدان الاشتراكية والبلدان المحبة للسلام والمنظمات الديمقراطية والتقدمية في العالم وفي امريكا لتعاطفها وتأييدها ودعمها. ودعا الجميع الى مزيد من المساندة لنضال الشعب الجنوبي، ودعا المؤتمر الادارة الامريكية الى انهاء حربها العدوانية والدخول في مفاوضات جدية مع الحكومة المؤقتة في باريس على قاعدة مشروع النقاط العشر للجبهة باعتباره الطريقة المشرفة لخروج امريكا من حرب فيتنام.

الحكومة الثورية والمؤقتة برئاسة هوينه تان فات اجتمعت في ١٠/٦ واقرت برنامج عملها وتعهدت بتنفيذ المهمات التي اوكلت لها حتى تحقيق النصر التام، وقد شمل البرنامج ١٢ مادة(٣٧) نرى ضرورة استعراضها:

١ ـ قيادة القوات المسلحة والشعب لتحقيق الوحدة وتصعيد النضال العسكري والسياسي وهزيمة الحرب العدوانية الامريكية، و «الفتنمة» واجبار امريكا على مباشرة المحادثات الجادة وسحب قواتها واعادة السلام وتحقيق الحقوق الوطنية الاساسية لشعب فيتنام.

---

(٣٦) وثائق المؤتمر الشعبي تجدها في South Vietnam: From NLF to PRG

(٣٧) بيانات الحكومة المؤقتة تجدها ايضاً في المصدر السابق.

٢ ـ الغاء النظام الاستعماري الذي انشأه الامبرياليون الامريكيون في الجنوب، بكافة مؤسساته واداراته ووثائقه، وبناء نظام جمهوري حر وديمقراطي وتنظيم انتخابات عامة بدون تدخل اجنبي.

٣ ـ الشروع في مشاورات مع القوى السياسية المختلفة تمهيدا لاقامة حكومة ائتلاف وطني مؤقتة تكون مهمتها اجراء الانتخابات العامة لانشاء جمعية تشريعية تصدر دستورا دائماً وتشكل حكومة ائتلاف وطني دائمة.

٤ ـ تقوية قوى المقاومة الشاملة لدى الشعب.

٥ ـ ممارسة وتطبيق الحريات الديمقراطية.

٦ ـ الاهتمام بمصالح كل قطاعات الشعب في المدن.

٧ ـ زيادة وتحسين مستوى الانتاج.

٨ ـ محاربة الثقافة والتعليم الامريكيتين.

٩ ـ تشجيع القوى الوطنية في الجيش والادارة والشرطة الرجعية للانضمام للثورة.

١٠ ـ حل المشاكل وازالة الاثار الناتجة عن الحرب العدوانية وسياسة النظام الرجعي.

١١ ـ اقامة علاقات طبيعية بين الشمال والجنوب وحرية الحركة بين المنطقتين حتى تحقيق الوحدة.

١٢ ـ العمل على كسب تعاطف وتأييد ودعم مختلف البلدان والشعوب وتأييد حركات التحرر الوطنية العالمية، اقامة علاقات جوار ودية مع لاوس وكمبوديا، واتباع سياسة خارجية سلمية ومحايدة.

بالاضافة الى هوينه فات رئيساً، تعين للحكومة المؤقتة ثلاثة نواب للرئيس، وتسلم تران ترانغ وزارة الدفاع بينما تسلمت مدام نجوين بنه وزارة الخارجية.

اما المجلس الاستشاري فقد ترأسه نجوين هو تو (رئيس جبهة التحرير) عين له نائب واحد هو ترنه تاو (رئيس التحالف الوطني).

من الناحية النظرية نجد ان مهمات الحكومة كما هي محددة في برنامجها ـ تغطي كافة الحقول العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكن من الناحية العملية ـ وكما اثبتت التطورات اللاحقة ـ فان الحكومة ركزت على النضال السياسي والدبلوماسي والمادي بين القوى الصديقة (خارجياً)، فقد كانت مهمتها العاجلة جدا امتلاك «حق» التفاوض و «صلاحية» التوقيع، بينما تركت المهمات العسكرية والتنظيمية لجبهة التحرر التي ظلت تشكيلاتها فاعلة حتى يوم النصر. من الناحية القانونية تخلت الجبهة الوطنية وكذلك التحالف الوطني عن مسؤولياتها لصالح الحكومة المؤقتة، ورغم ان المؤتمر

الشعبي قد بارك هذا «التخلي» عن المسؤوليات الخارجية والداخلية فان الترجمة الاولى انحصرت في الجانب الدبلوماسي حيث تحولت مكاتب الجبهة وممثلياتها في الخارج الى سفارات وبعثات للحكومة المؤقتة كما اصبحت رئاسة الحكومة هي الجهة البروتوكولية لاستقبال اعترافات ومراسلات الدول والمنظمات الاجنبية.. وعلى الرغم من ان المؤتمر الشعبي اعتبر الحكومة اعلى سلطة مركزية في الجمهورية الجنوبية الا انه حدد بوضوح في المادة ١٤ انه في المسائل ذات الاهمية لابد من اجتماع مشترك للحكومة المؤقتة والمجلس الاستشاري لاتخاذ القرارات اللازمة اي انه لم يترك الصلاحية فيها للحكومة وحدها.

خلال الشهر الاول على اقامة الحكومة اعترفت بها عشرون دولة (اشتراكية وتقدمية وغير منحازة) كما تولت رئاسة الوفد الجنوبي الى مفاوضات باريس السيدة نجوين بنه وزيرة الخارجية (عضو اللجنة المركزية للجبهة) خلفاً للسيد تران كيم الذي اصبح وزيرا لشؤون الرئاسة.

د ـ تكتيك المفاوضات السرية

صاحب فكرة الاتصالات السرية هو هنري كيسنجر وقد تم اللجوء اليها بعد سلسلة من الجلسات العلنية غير المثمرة، كما رأينا، وحسب كيسنجر فإنه في ظل السرية يمكن للطرفين الرئيسيين، هانوي وواشنطن، ان يتبادلا التنازلات بعيدا عن حمى المزايدة التي تسببها الاضواء، وعن حساسية الطرفين الفيتناميين الجنوبيين.

ولتنفيذ فكرته تلك طلب كيسنجر الى صديق فرنسي مشترك للطرفين (سانتيني) ترتيب موعد له مع الوفد الفيتنامي الموجود في باريس، على ان يكون اللقاء سرياً وقد تم له ذلك. ويمكن رصد تلك الاتصالات كالتالي:

في ٨/٤ عقد اللقاء السري الاول بين كيسنجر وكسيان ثوي لكنه لم يسفر سوى عن نتيجة واحدة، هي الاتفاق على مواصلة اللقاءات السرية.

وبعد وفاة هوشي منه في ٩/٢ اعتقد الامريكيون ان الوقت مناسب للتفاوض مع خلفائه علّهم يكونوا اقل تشدداً منه وطلبوا تحديد موعد جديد لكيسنجر في تشرين الثاني (نوفمبر).. لكن الرد الفيتنامي ذاته تأخر حتى الشهر التالي له وكان مضمونه انه لايوجد مايستدعي مثل هذا اللقاء.

. المحاولة الثالثة فقد جرت في مطلع العام الجديد حيث حدد الفيتناميون ٢/٢١ موعداً لمقابلة لي دوك ثو الذي كان يشارك في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي في حينه.

. بعد ذلك اللقاء جرى لقاء آخر في ٣/١٦ وآخر في ٤/٤ لكنهما لم يسفرا عن تقدم

حقيقي نحو التسوية لان الفيتناميين ـ حسب كيسنجر ـ رفضوا توقيتاً زمنياً للانسحاب المتبـادل، ورفضـوا مبـدأ تخفيف العمليات العسكـرية، وحياد كمبـوديا، واللجنـة الانتخابية المشتركة في الجنوب. . واصروا من جانبهم على الانسحاب الامريكي خلال ستة شهور واسقاط حكومة سايجون وتشكيل حكومة ائتلافية بديلة. من المفيد ان نذكر هنـا ان المفـاوضات السرية لم تكن بديلا عن المفاوضات العلنية التي كانت تجري في باريس على خط موازي: **وهنا أبرز محطاتها:**

بالنسبـة الى المفـاوضـات العلنية في باريـس فقد شاركت فيها مدام نجوين بنه كوزيرة للخارجية بعد تشكيل الحكومة الثورية المؤقتة، وقدمت في آخر ١٩٦٩ اقتراحاً بان تتعهـد واشنطن بسحب قواتها خلال ٦ شهور تجري بعدها مناقشة فورية لاعداد برنـامج لانسحاب القوات وضمان امنها. . الاّ ان الادارة الامريكية لم تهتم بالاقتراح **وتأخر تعيين خلف لكابوت لودج وهنا حاول القائم بأعمال الوفد فيليب حبيب الحدمن علنية المؤتمر لكي لا يتحول الى «استعراض عضلات دبلوماسية» لكن دون جدوى!**

المبعـوث الامريكي الجديد ديفيد بروس اقترح في آب (اغسطس) ١٩٧٠ التركيز على مسـائل الانسحاب المتبادل والتسوية السياسية واسرى الحرب كقضايا مركزية. . لكنه لم ينجح في مهمته واستدعى الى واشنطن واستبدل بوليم بورتر. **وقدم نكسون في تشرين الاول (اكتوبر) مشروعاً جديداً** من ٥ نقاط يتضمن وقف اطلاق النـار وعقـد مؤتمـر دولي للسـلام وانسحـاب امـريكي مشروط وحل سياسي للجنوب واطـلاق سراح الاسرى الامريكيين، الاّ ان الحكـومة الفيتنامية رفضت المشروع لانه يفتقـر الى تحديد موعـد للانسحـاب ويحـافظ على النـظام الحنـوبي. ويبقى قوات امريكية[٣٣].

خلال هذه الفترة حاول الامريكيون استخدام علاقاتهم مع السوفييت في خدمـة سياستهم الفيتنـامية، وطلبـوا الى موسكـو عبر منـدوبها (سميرها) الضغط على الفيتناميين لمنع تصعيد الهجمات في ساحة الهند الصينية الاّ ان السوفييت أبلغوهم أن قدرتهم في التـأثـير على الفيتنـاميين محدودة كما اعترف الامريكيون بذلك. كما حاولت واشنـطن تمرير بعض التهـديدات ضد الفيتنـاميين عبر السوفييت لكن لا جدوى. اما الصينيون فقـد استمـروا في معـارضتهم للمفـاوضـات الـربـاعية وقـامـوا بتخفيض مسـاعـداتهم السنـوية بنسبة ٢٥٪ عام ٦٩، ٥٠٪ عام ٧٠ حسب المصادر الفيتنامية بدعوى ان الصين لا تعرف ان كانت فيتنام تريد الاستمرار في القتال ام التسوية مع الامريكيين، لكن الوضع تغير مع نهاية العام ١٩٧٠ عندما وجه الصينيون الدعوة الى

نكسون لزيارة الصين، وانكشفت الاتصالات السرية التي كانت تجري مع كيسنجر الذي قام في النصف الثاني من العام بزيارتين الى بكين، لمحاصرة الفيتناميين كما سنرى لاحقاً.

وفي الوقت الذي كانت الدبلوماسية الامريكية تتحرك خارجاً كانت اوضاع جبهتها الداخلية تتعقد: ففي عام ١٩٧٠ تصاعدت موجة المظاهرات بحيث شملت حوالي الف مدينة كان الطلبة عمادها الرئيسي، وقدرت النشاطات الطلابية المعادية للحرب والمطالبة بالسلام خلال العام الدراسي ٦٩ ـ ٧٠ بحوالي ١٧٨٥ تحركاً قامت السلطات خلالها باعتقال والتحقيق مع اكثر من سبعة الاف طالب. وكان ذلك رد فعل على العمليات العسكرية التصعيدية التي قامت بها القوات الامريكية على جبهة الهند الصينية وخاصة في مناطق سهل الجرار اللاوسية. كذلك تصاعدت الخلافات داخل اجنحة الادارة الامريكية، والتي برزت في النصف الاول من العام ١٩٦٩ مع اتجاه الادارة الى توسيع الحرب خارج الحدود الفيتنامية، ويمكن القول ان اختلاف وجهات النظر شملت مسائل: الانسحاب الامريكي، توقيته وحجمه، العمليات العسكرية الامريكية وطبيعتها، التدخل الامريكي في كمبوديا، قصف الشمال الفيتنامي والمفاوضات الدبلوماسية.. وبرزت ثلاثة اتجاهات او مراكز قوى:

١ ـ روجرز في الخارجية كان من انصار الانسحابات العاجلة والكبيرة، وضد قصف الشمال وكمبوديا ومع التوصل الى حل سياسي عبر التعامل الايجابي مع وجهة نظر الطرف الاخر (الفيتناميين).

٢ ـ الرئاسة (نكسون ومستشاره كيسنجر) اتباع سياسة المماطلة والتأجيل في الانسحاب والمفاوضات وابتزاز الفيتناميين والضغط عليهم عبر استخدام الوسائل اللازمة في اي مكان في الهند الصينية.

٣ ـ ليرد في وزارة الدفاع كان ضد استمرار الحرب، مع الفتنمة! وبقاء بعض القوات الامريكية، ضد قصف الشمال ومع القصف المعلن (لا السري) لكمبوديا، ومع انجاز نصر عسكري يسبق المفاوضات والتسوية.

في محاولة لمواجهة المعارضة الشعبية المتصاعدة ضد الحرب حاول نكسون الخروج بموقف موحد للادارة، وعقد لهذا الغرض سلسلة من الاجتماعات مع مستشاريه واركان الادارة في أواسط ١٩٦٩ في ميدواي وهونولولو ابلغ بعدها الفيتناميين في سايجون عن عزمه على سحب القوات الامريكية مع التسريع في تحديث القوات السايجونية، وبعد شهرين أبلغ الامة قراره بسحب ٤٠ الف جندي وتخفيض

العمليات العسكرية لقاذفات ب ٥٢ بنسبة ٢٥٪. . لكن ذلك لم يقنع المعارضة بجدية الرئيس واستمرت الضغوط في الشارع وداخل الادارة من اجل خطوات عملية لانهاء الحرب. في المقابل كان كيسنجر ومجموعته التي تضم السفير والقيادة العسكرية في سايجون تدفع باتجاه تأجيل الانسحاب ومواصلة العمليات العسكرية تحت شعار عدم التخلي عن الاصدقاء في سايجون واعطائهم الوقت الكافي وتمكينهم من اتخاذ الترتيبات اللازمة. وانه لتحقيق ذلك لابد من الحزم في مواجهة الشيوعيين الشماليين الذين لم يتراجعوا عن مواقفهم، كذلك لابد من تحسين وضع الجيش الجنوبي لانه مازال غير كفؤ. . وبناء على نصيحة كيسنجر سافر الكسندر هيج على رأس بعثة لتقصي الحقائق في أواسط ١٩٧٠عاد بعدها ليؤكد وجهة نظر كيسنحر حول بطء التحسن في الوضع الجنوبي وحول استمرار الثوار في تصميمهم السابق، وبالتالي فان الانسحابات الامريكية ستضعف حكومة سايجون! ولابد من تصعيد القتال لاضعاف الثوار اولاً . . وتصعيد الحركة الدبلوماسية لمحاصرة حكومة هانوي . . ثانياً.

● **عزل فيتنام عن حلفائها:**

في مقابل اطالة الحرب في جنوب فيتنام وفق سياسة فتنمة الحرب فإن الاستراتيجية الامريكية في الهند الصينية كانت تقتضي تكثيف الحرب العدوانية والتوسع فيها وتعزيز المواقع الرجعية التابعة فيها، وبذلك تساعد هذه السياسة على انجاح الفتنمة، في الجنوب وفي نفس الوقت تعزز الفتنمة الحلف الرجعي في مواجهة فيتنام الديمقراطية.

في كمبوديا التي اصبحت عضوا في الامم المتحدة بعد انسحابها من الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٥ مدت واشنطن نفوذها عبر المساعدات الاقتصادية وحاولت جر البلاد الى الحلف الرجعي في المنطقة الاّ ان نوردوم سيهانوك بعد انتخابه وتوليه رئاسة الدولة عام ١٩٦٠ انتهج سياسة خارجية محايدة، فاصطدم بالتالي مع سياسة واشنطن التي حاولت الاطاحة به وقامت بتدعيم القوى اليمينية في نظامه مما دعاه الى قطع العلاقة معها في عام ١٩٦٥. في المقابل عزز سيهانوك علاقاته مع الصين وفيتنام الديمقراطية والجبهة الوطنية في جنوب فيتنام وعقد في عاصمته المؤتمر الاول لشعوب الهند الصينية الذي، ادان التدخل الامريكي ودعا الشعوب الثلاثة الى تصعيد النضال ضد الامبريالية. سياسة نكسون تجاه كمبوديا ارتكزت على دعم وتدريب وتقوية القوات الكمبودية التابعة للخمير ساري للعمل ضد النظام المحايد ثم تعزيز ودعم القوى الرجعية الموجودة داخل النظام نفسه وتحويلها الى مركز قوة واستغلال حاجة سيهانوك الى اليمين

لتعزيز موقفه في مواجهة اليسار الكمبودي . . وبالتالي خططت القيادة الامريكية لتوسيع الحرب الى الاراضي الكمبودية بدعوى وجود القيادات والمراكز الشيوعية في اراضيها كمقدمة لتطبيق سياسة «كمبدة» الحرب واسقاط النظام المحايد واحلال نظام يميني مكانه، ولتنفيذ هذه السياسة جرب استخدام الاراضي التايلندية والفيتنامية الجنوبية لتدريب القوات الكمبودية الرجعية والقيام بأعمال استفزاز وتحرش ولشن العمليات العسكرية.

في لاوس التي تشكلت فيها حكومة ائتلاف وطني عام ١٩٥٧ وفق اتفاقيات جنيف عمل الامريكيون على اسقاط الحكومة ومطاردة الشيوعيين والوطنيين فيها، الامر الذي ادى الى تصعيد النضال والمقاومة المسلحة من جديد والى تشكيل حكومة ائتلافية جديدة واعترف بها الامريكيون وفق اتفاقية جنيف لعام ١٩٦٢ بخصوص لاوس باستقلال وسيادة ووحدة اراضي البلاد الا انهم حاولوا نشر نفوذهم كما كمبوديا عبر المساعدات الاقتصادية وخلال فترة وجيزة تمكنوا من ارسال الاف المستشارين والسيطرة على الجيش الملكي ودعم القوى الرجعية والقوات العسكرية الخاصة.

سياسة نكسون تجاه لاوس ارتكزت ايضا على دعم وتدريب القوات الملكية الرجعية والقوات الخاصة وتجهيزها للمشاركة الفعلية في الحرب ضد القوى الثورية الشيوعية وتصفية القواعد الثورية، وبالتالي تطبيق «لوسنة» الحرب في الساحة اللاوسية، وقد جرى استخدام القوات التايلندية التي رابطت في شمال ووسط لاوس، والقوات السايجوية التي دخلت جنوب لاوس في تنفيذ تلك السياسة.

في تايلند التي يحكمها نظام عسكري ديكتاتوري وتتواجد فيها قواعد عسكرية امريكية هامة، تشارك قواتها بشكل مباشر او تحت ستار «متطوعين» من اصول لاوسية او كمبودية في تدريب وتدعيم القوات الرجعية، وفي العمليات العسكرية المباشرة، وتشكل حلقة ثابتة في الحلف الرباعي الرجعي الذي يضم بالاضافة اليها كلا من فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا ويشكل محورا للحلف الاكبر في جنوب شرق اسيا في مواجهة فيتنام الديمقراطية والصين، على المستوى العالمي، كانت واشنطن تدرك اهمية المساعدات العسكرية والاقتصادية التي يقدمها السوفييت والصينيون لفيتنام الى جانب الدعم السياسي، لذلك تحركت الدبلوماسية الامريكية لضرب العلاقات بين الاطراف الثلاثة، وقد لجأت خلال المفاوضات الى اثارة الشكوك بين تلك الاطراف واستثمار الاختلافات في وجهات النظر بينها، للضغط على المفاوض الفيتنامي.

الصين بالنسبة لنكسون لم تكن تختلف فيما تمثله من خطر عن رؤية الرؤساء

السابقين بل انه كان يرى فيها الاكثر خطراً من كل القوى الشيوعية. . لكنه اختلف مع اسلافه في طبيعة السياسة والتكتيكات الواجب اتباعها في التعامل مع الصين. . وقرر العمل ماامكن على تدجين الصين وابعادها اكثر عن الاتحاد السوفييتي وذلك عن طريق اقناعها «بان مصالحها تتوقف على قبولها بالانظمة السياسية للتمدن الدولي وعلى المدى الطويل اعادة مكانتها الدولية اليها»[٣٨].

. وهذه السياسة تستدعي اغتنام كل الفرص المتاحة والمبادرة لاقامة الاتصالات وتنمية العلاقات مع بكين بشكل يصل الى درجة متوازية مع العلاقات مع موسكو، وبذلك تتمكن القيادة الامريكية من ضبط وادارة العلاقة الثلاثية لخدمة مصالحها الامبريالية بشكل عام، والاستفراد بمنطقة الهند الصينية.

الاتصالات الامريكية ـ الصينية شهدت اكثر من ١٣٠ لقاء سرياً منذ مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٤ في كل من جنيف ووارسو لكنها لم تسفر عن نتائج هامة، الاتفاق حول رعايا البلدين عام ١٩٥٥. . وفي عام ١٩٦٨ جرت محاولة لعقد لقاء جديد مع الادارة الجديدة الا ان بكين اجلته وطالبت بان يهدف اللقاء «سحب القوات الاجنبية من تايوان» وازالة المنشآت العسكرية منها. . فوافق الامريكيون على ذلك مبدئياً. وفي أواخر ١٩٦٩ زار السفير الامريكي في وارسو السفارة الصينية وبدأت جولة جديدة من الاتصالات.

الادارة الامريكية عجلت بالاستفادة من الموقف الصيني الحاد تجاه السوفييت في احداث تشيكوسلوفاكيا في آب (اغسطس) ١٩٦٨ وخلال الاشتباكات على الحدود الصينية ـ السوفييتية في آذار (مارس) ١٩٦٩ والحرب الدعائية الحادة بين البلدين، وقامت بتحريض الصينيين ضد السوفييت والحديث عن امكانية «غزو سوفييتي للصين» وبالتالي لمساعدة بكين في العودة الى المسرح السياسي الدولي مقابل تخفيف عدائها نحو امريكا وايقاف تهديداتها لاصدقاء امريكا في جنوب شرق اسيا، والتركيز على الخطر السوفييتي في الشمال الذي سيجر بدوره تركيزا سوفييتياً على حدودهم مع الصين على حساب حدودهم الاوروبية التي تصبح «اقل توتراً واكثر امناً» وفق التعبيرات الامريكية وفي هذا النطاق كان الامريكيون يتحدثون للسوفييت عن المصلحة المشتركة في احتواء الصين ولجم خطرها الكامن. سياسة نكسون تجاه الصين ارتكزت على اولاً تأجيج

---

(٣٨) المقتطفات المذكورة وردت في مذكرات كيسنجر (عن الحرب الفيتنامية) الصادرة عن دار طلاس دمشق.

الخلافات الصينية ـ السوفييتية ودفع الطرفين لتعزيز العلاقة مع واشنطن على حساب الطرف الآخر. . وثانيا التقدم باتجاه الصين بخطوات اكثر جرأة من السابق تمهيدا لاخراجها من المعسكر المعادي للامبريالية. . وبالتالي الحد من مساندتها الهامة للثورة الفيتنامية ومن معارضتها للسياسة الامريكية في جنوب شرق اسيا. . واكمال الشروط الاقليمية لنجاح سياسية الفتنمة واخضاع فيتنام الديمقراطية للشروط الامريكية في التسوية السياسية. . وفي هذا النطاق قام المسؤولون الامريكيون بسلسلة من الزيارات لكل من الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ابرزها زيارة نكسون لبكين في شباط (فبراير) ولموسكو في أيار (مايو) ١٩٧٢، والتي اراد خلالها توثيق علاقاته مع البلدين على حساب نضال الشعب الفيتنامي كما جاء في تحليل لاحد القادة الفيتناميين.

● سباق الأمتار الاخيرة:

العام ١٩٧٢ شهد تطورات متسارعة خلال نصفه الاول:

ـ على مستوى المفاوضات كشف نكسون الى العالم في ١/٢٥ المحادثات السرية التي كانت تجري بين الجانبين من جانب واحد، واعلن ايقافه اياها، مقدما برنامجاً علنيا للسلام يضم ٨ نقاط يفضي بالاضافة الى ماسبق بالقاء الثوار الجنوبيين لاسلحتهم، مقابل استقالة الرئيس الجنوبي قبل شهر من موعد الانتخابات العامة.

ـ على مستوى التطورات الدبلوماسية انجزت زيارة نكسون للصين التي اسفرت عن توقيع اعلان شنغهاي الذي ربط بين سحب القوات والمنشآت العسكرية الامريكية من تايوان وتخفيف حدة التوتر في الهند الصينية الذي يعني كما يقول الفيتناميون ارغام الصين لهم بقبول حل وسط مع الامريكيين.

ـ على مستوى العلاقة الفيتنامية الصينية ضوعفت المساعدات الصينية لفيتنام الى الحد الاقصى حسب اعتراف الفيتناميين الذين اعتبروا ذلك مقدمة لزيادة الضغوط الصينية وتخفيفا لسخط الشعب الفيتنامي على التواطىء مع الامريكيين[٣٩]، لكن الصينيين عتبروه تأكيدا على ان علاقاتهم الجديدة مع واشنطن ليست على حساب التصدي للامبريالية ودعم نضال شعب فيتنام.

في اواخر الشهر ردت هانوي ببيان توضيحي اصدره وفدها في باريس حول المحادثات السرية واعلنت الحكومة المؤقتة في اوائل شباط/فبراير رفضها لمشروع نكسون مؤكدة ان وقف الغارات والاعمال الحربية في كل فيتنام وتحديد موعد لسحب القوات

---

(٣٩) راجع مذكرات كيسنجر ونيكسون للاطلاع على الملابسات.

غير المشروط من الجانب الامريكي، ووقف التدخل الامريكي في شؤون الجنوب واستقالة ثيو وفتح الطريق امام الجنوبيين لممارسة حق تقرير المصير هي شروط التسوية الحقيقية، اما الحكومة الشمالية فقد طالبت الامريكيين بالالتزام باتفاقية جنيف حول لاوس وكمبوديا وعدم التدخل في شؤون بلدان الهند الصينية وترك شعوبها تحل مشاكلها الداخلية والمسائل المتعلقة بينها دون تدخل خارجي.

المفاوضون الامريكيون في مؤتمر باريس علقوا الجلسات حتى يقدم الطرف الاخر مقترحات جديدة «جدية» وامر نكسون بتنفيذ الغارات الجوية ضد الشمال من جديد بحجة اخلال هانوي باتفاق الوقف المشروط للغارات الا ان الوفد الفيتنامي في باريس نفى ان يكون هناك اي اتفاق بين الجانبين.

عقدت في أيار (مايو) جولة جديدة من المفاوضات السرية بين كيسنجر ودوك ثو اعقبها تكثيف القصف وحصار موانىء الشمال وتقديم مقترحات جديدة من جانب نكسون تتضمن وقف اطلاق النار وسحب القوات واطلاق الاسرى على ان تبحث المسائل السياسية في مرحلة لاحقة! مع الموافقة على استئناف الجلسة رقم ١٥٠ من محادثات باريس العلنية.

على المستوى العسكري نجح الامريكيون في بناء قوات عسكرية ضخمة في جنوب فيتنام الا ان وضعها العسكري كان دفاعياً في معظمه وقد شن الثوار الفيتناميون هجمات واسعة على جبهات كوانغ ترى الشمالية وفي الوسط وسايجون استخدمت فيها الاسلحة الثقيلة والدبابات (لاول مرة) وفي لاوس تمكن الثوار من الصمود وشنوا هجمات مضادة في سهل الجرار، وفي كمبوديا وصلت هجمات الثوار الى دفاعات العاصمة.. واصبحت الحالة العسكرية في منطقة الهند الصينية اقرب الى التشابك والتداخل.

وقد شهد النصف الثاني من العام تكثيفاً امريكيا في دفع الاسلحة والتجهيزات الى المنطقة وفي نفس الوقت تقدما ملموسا في المفاوضات الديلوماسية ادى الى اتفاق اولي تبعته موجة قصف مكثفة ضد الشمال بعد نجاح نكسون في الانتخابات الرئاسية:

في أواخر حزيران (يونيه) طلب نكسون اعتماد مبلغ ٢,٢٥ .مليار دولار جديدة كدفعة اولى من اصل مبلغ ٥ مليار طلبها وزير دفاعه ميلغن ليرد لتغطية نفقات الحرب، وفي الشهر التالي وصل عدد الطائرات الامريكية الحربية المرسلة للنظام الجنوبي ١٢٠٠ بينما كانت عام ١٩٧١ ٣٥٠، وارتفع عدد قاذفات بـ **٥٢ من ٤٥ الى ٢٠٠ قاذفة** والسفن الحربية ارتفع عددها في المياه الاقلية من **٢٠ سفينة الى ٦٠**

وحـامـلات الطائرات من ٢ الى ٦.. ومع نهاية العام قفز عدد الطائرات الحربية الى الفين والحاملات الى تسعة واصبحت جنوب فيتنام ثالث اكبر قوة جوية في العالم.

لكن الوضع الامريكي الداخلي كان يتصاعد في اتجاه آخر:

ففي آب (اغسطس) اعلن الحزب الجمهوري عن ترشيحه لنكسون لانتخابات الرئاسة واغينـو لنيابتـه وخـاض معـركـة الانتخـابات ببرنامج يتضـمن الوعود بسحب القوات الامريكية والتوصل الى تسوية سلمية مشرفة.. بينما كانت المظاهرات المعادية للحرب تمتد الى معظم المدن الامريكية، وكان الحزب الديمقراطي يطرح برنامجاً لمرشحه «ماك فرن» يتضمن الوقف الفوري وغير المشروط للقصف والانسحاب غير المشروط للقوات الامريكية خلال تسعين يوما ووقف المساعدات الامريكية لحكومة سايجون.

وفي المقابل كانت الدبلوماسية إلفيتنامية تنشط في اتجاهين:

في ٩/١١ قدمت الحكومة الثورية المؤقتة مشروعاً جديدا للسلام ركز على انسحاب القـوات الامريكية من الجنوب وتشكيل حكومة ثلاثية من النظام السايجوني والحكومة المؤقتة والقوى المحايدة.. وفي اوائل الشهر التالي قدم مندوب فيتنام الديمقراطية ايضا مقـترحـات جديدة للتسـوية وصفت بانها معتـدلة (وكانت اساساً لتوصل الطرفين الى الاتفـاق في ١٠/٢٠) لكن الامـريكيين أجلوا التـوقيع عليه حتى نهاية الشهـر حتى تستكمل وجبة القصف الاخيرة ضد الشمال ويتحقق بعض التقدم الميداني في الجنوب قبـل وقف اطـلاق النـار.. وهكذا صعد الامريكيون القصف الجوي والبحري ضد الشمال وقاموا بتلغيم موانئه وحصار سواحله.

وهكذا عقدت جلسة المفاوضات السرية الجديدة بين الفيتناميين والامريكيين (١٠/٨) وكـانـت مفـاوضـات في ظل الارهاب والابتزاز فقد اعقبها قصـف شديد على العاصـمة وهايفونغ، والمناطق الشمالية الاخرى التي اعتبرها نيكسون مباحة للقصف دون استثناء. وفي ١٠/٢٠ توصـل المتفاوضون الى الاتفاق على ان يوقع في هانوي في ١٠/٢٣ وفي باريس في ١٠/٣١ الا ان نكسـون طلب من فام فان دونـغ اعـادة النظر في مشروع الاتفـاق المـذكـور بدعوى ان حكومة سايجون غير موافقة عليه، لكن حكومة هانوي رفضت الطلب الامريكي ونددت بالتراجع عن الاتفاق في بيان اصدرته في ١٠/٢٦ كاشفـة النقـاب لاول مرة عن وجـود اتفاق للرأي العام من اجل تثبيت الامر الواقع واحراج حكومة نكسون. حتى أمام حلفائه في الجنوب.

فالرئيس الجنوبي ثيو ومنذ تسرب اخبار الاتفاق بدأ في شن حملة واسعة ضده، وفي هذا النطاق اعلن في ١٠/٢٤ معارضته الشديدة للاتفاق واكد انه لن يتراجع امام الشيوعيين بل سيواصل قتالهم وتصفيتهم وسيواصل الحرب مهما كانت الظروف، وفي ١٠/٢٩ نظمت السلطات الجنوبية حملة الاعلام فوق بيوت العاصمة والمدن لتأكيد الولاء للنظام وتأييد موقفه، وخلال حملته على الاتفاق عارض ثيو وجود ادارتين وجيشين وثلاث قوى سياسية في الجنوب، واكد ان هناك سلطة واحدة في الجنوب وسلطة في الشمال وانه لابد من انسحاب القوات الشمالية من الجنوب وتحويل خط الهدنة الى حدود سياسية، وطالب ثيو الامريكيين باستمرار الدعم الامريكي لنظامه لفترة طويلة.. لكن التطورات على الارض كانت تجري متسارعة في اتجاه معاكس فقد فشلت الحملة العسكرية المعادية للثوار والتي امتدت على جبهة واسعة وتم تحييد قوة النيران الامريكية الكثيفة (بحريا وجويا) خلال المعارك البرية. وفقدت القوات الرجعية في لاوس مناطق واسعة واحتل ثوار كمبوديا عدد من ضواحي العاصمة فنوم بنه.

وقد لوحظ أن نكسون دافع في خطابه الانتخابي الرئيسي (١١/٢) عن عدم توقيع الاتفاق بحجة انه يفتقر الى جدول زمني لتنفيذه.. لكن بعد الاعلان عن انتخابه في ١١/٧ بدأ يتحدث عن ثغرات في المواد الاساسية في مشروع الاتفاق الى درجة ان الوفد الامريكي في المفاوضات السرية التي جرت بين ٢٠ ـ ١١/٢٥ ثم بين ٤ ـ ١٢/١٣ قدم اقتراحات باجراء ١٢٦ تعديلاً على نصوص الاتفاق الامر الذي قاد المفاوضين الى طريق مسدود، والى تعليق الاجتماعات في اليوم التالي.

ولم تمض اربعة ايام حتى بدأ الامريكيون يوجهون اعنف ضرباتهم الجوية الى فيتنام الديمقراطية لاجبار حكومتها على تقديم تنازلات جديدة في باريس، ووفق البيانات الصادرة فإن الغارات التي استمرت من ١٨ ـ ١٢/٢٩ اسفرت عن القاء ١٠٠ الف طن قنابل فوق المناطق الشمالية منها ٤٠ الف فوق منطقة هانوي، وقد اسقط الفيتناميون خلالها ٨١ طائرة منها ٣٤ قاذفة ب ٥٢، ٥ قاذفات ف ١١١، منها ٥٠ طائرة فوق هانوى وبذلك ارتفع عدد الطائرات المسقطة منذ ابريل ٧٠٠ طائرة

لكن هذه الضربة الجوية الحاقدة لم تكن الا المشهد الاخير لاستعراض القوة الامريكية قبل البدء في الانسحاب «المشرف» المنشود.

هـ ـ اتفاقية باريس

في بداية ١٩٧٣ استؤنفت المفاوضات السرية في باريس بعد ان «كسرت عملية القصف المذكورة طوق الاستعصاء في المفاوضات فعاد الشماليون الى طاولة

المفـاوضـات[٤٠] حسب تفسـير نكسـون بينـما اعتـبر الفيتناميون اخفاق الحرب الجوية والبحرية وفشل الفتنمة وفشل الامريكيين في كل من لاوس وكمبوديا هو الذي قادهم الى المفاوضات والاتفاق من جديد، وقد اعلن الامريكيون في ١/١٥ توقف القصف الجوي والبحري والتلغيم ضد شمال فيتنام وبعد اسبوع كان كيسنجر ودوك فو يوقعان اتفـاق باريس بالاحـرف الاولى، بعنـوان «اتفـاقية لانهاء الحرب واستعادة السلام في فيتنام» وفي ٢ آذار (مارس) عقد المؤتمر الدولي في باريس بحضور ١٢ وفداً حيث جرت المصـادقـة على الاتفاقية وضمان تنفيذ بنودها بدقة! الامر الذي اعتبره الفيتناميون نصراً عظيماً للشعب الفيتنـامي لابـد من تعـزيزه من اجل الحفاظ على السلام الدائم وتحقيق الاستقـلال والـديمقراطية في الجنوب والانتقال نحو التوحيد السلمي للبلاد،

لكن اللجنـة المركـزية للحـزب والحكـومـة نبهتـا في (١/٢٨) الى أن تطبيق الاتفاقية بحاجة الى نضال هام وكبير ومعقد تشارك فيه كل قطاعات الشعب ووطنيي الجنوب، أمـا الجمعية الـوطنية فقد أكدت في جلستها الاحتفالية الخاصة (٢/٢٠) على عظمة الانـتـصـار الـدبلومـاسي الـذي يعـود الفضـل فيه الى قيادة الحزب والارادة الوطنية وقوة النظام الاشتراكى الشمالي وتضامن شعوب الهند الصينية والدعم العالمي للنضال الفيتنامي . . . . كما جاء في اعــلانها.

وبين توقيع اتفاقية باريس ١٩٧٣ وسقوط سايجون ١٩٧٥ كان الاختبار الحقيقي لدبلوماسية النعوش الطائرة، فقد ثار بعض الجدل حول ماقدمته القيادة الفيتنامية من تنـازلات وابعـاد تلك التنـازلات خاصـة فيما يتعلق بدعم القـوى الثورية في كمبوديا ولاوس ووقف العمليات العسكرية في جنوب فيتنام مقابل ضمان الانسحاب الامريكي من فيتنـام ونحن هنـا لسنـا بصـدد منـاقشـة بنـود الاتفاقية المذكورة (٢٣ بنداً) لكن نستعرض اهم عناوينها لنتعرف على طبيعية التنازلات المتبادلة[٤١] !

- سجلت الاتفاقية اعتراف واشنطن باستقلال وسيادة ووحدة وسلامة اراضي فيتنام
- نصت على وقف اطلاق النار والاعمال العسكرية والارهابية والانتقامية.
- حددت ٦٠ يوما لانجاز عملية انسحاب القوات والمعدات والقواعد الامريكية.
- حددت ترتيبات عودة الاسرى العسكريين والمدنيين والاجانب والمحليين.
- اقرت حق الشعب الجنوبي في تقرير مصيره وتحديد مستقبله السياسي دون تدخل اجنبي.

---

(٤٠) المصدر مذكرات نيكسون.

(٤١) نصوص اتفاقية باريس تجدها في التجربة العسكرية الفيتنامية/ ملحق رقم ٢ ص ٣٤٨.

ـ نظمت العلاقة بين الشمال والجنوب ، وطريقة اعادة توحيدهما ، مع حل المسائل الخلافية بالتفاوض .

ـ حددت العلاقة مع لاوس وكمبوديا ، بما يضمن احترام الحقوق الوطنية الأساسية للشعبين .

ـ شكلت لجنة الرقابة والاشراف الدولية ، ولجان عسكرية مشتركة ، ودعت إلى عقد المؤتمر الدولي .

ـ نصت على تطبيع العلاقة بين أمريكا وفيتنام الديمقراطية ، وتعهدت الأولى بإعادة تعمير الثانية الخ . .

وخلال السنتين المذكورتين (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) تبودلت الاتهامات بين الطرفين الرئيسيين ، وكذلك بين الطرفين الجنوبيين حول الاخلال بالتعهدات ، وانتهاك البنود المختلفة للاتفاقية ، وانشغلت لجان الهدنة في تسجيل مئات الشكاوي . . لكن كل ذلك لم يمنع التحولات الهامة التي كانت تجري على الأرض على الشكل التالي :

(١) القوات الأمريكية انسحبت كاملة من أراضي المنطقة في الفترة المحددة .

(٢) القوات السايجونية حاولت القيام بضربات عسكرية يائسة دون جدوى .

(٣) الثوار اكتسحوا أقاليم جديدة وحاصروا المدن الرئيسية .

فما الذي فعلته واشنطن (لحماية) اتفاق باريس من (الانتهاك) الفيتنامي الذي تحدثت عنه ؟

(١) قامت بالشكوى إلى الاتحاد السوفييتي ، مطالبة موسكو بالضغط على حكومة هانوي لكي تتقيد ببنود الاتفاق .

(٢) صعدت من حملتها الاعلامية ضد الفيتناميين ، واستعانت "بالأرقام والوقائع" لكي تثبت الخروقات الفيتنامية .

(٣) اعتبرت تجاهل هانوي لنداءاتها ، اهانة للحكومة والشعب الأمريكي ، خاصة بعد فشل زيارة كيسنجر لهانوي ، وتعثر مباحثاته مع دوك ثو .

(٤) أما تهديداتها العسكرية بالردع والعقاب والانتقام ، فإنها لم تتجاوز

بعض الغارات الجوية على ممر هوشي منه في البداية ، ثم ارسال حاملات الطائرات إلى المياه الاقليمية الجنوبية ، ثم اقامة جسر جوي مع سايجون لتأمين بعض الامدادات . . وأخيراً ارسال بعض السفن الحربية للمبادرة في اجلاء القوات المهزومة !

وهكذا أصبح « العامل » الأمريكي في الصراع مشلولاً ، مما أحدث الانهيار النفسي والمعنوي الكبير في جبهة سايجون (النظام والادارة والجيش) ، وشلت بالتالي الامكانيات الحربية والبشرية الهائلة التي تحتشد عليها ، وفي المقابل اطلقت العنان للقيادة الفيتنامية الشورية ، لكي تخطط وتنظم وتشن آخر هجماتها الاستراتيجية ، بالسيطرة على المدن الجنوبية الرئيسية وتحرير العاصمة في ١٩٧٥/٤/٣٠[٤٢] .

وبين يوم النصر في سايجون في ذلك الربيع ، وبين اعلان اعادة توحيد شطري فيتنام ، واقامة جمهورية فيتنام الاشتراكية في أواسط ١٩٧٦ ، كانت الدبلوماسية الفيتنامية قد اقفلت ملفات التجربة الدبلوماسية الثالثة ، بنجاح منقطع النظير .

(٤٢) اعتبرت حملة « تاي نجوين » أول تلك الهجمات الاستراتيجية ، والتي كان من نتائجها غير العسكرية هروب رئيس النظام الجنوبي نجوين فان ثيو إلى خارج بلاده ، واتهامه الحكومة الأميركية بخيانة الأصدقاء والتخلي عنهم ـ المؤلف .

الفصل الرابع:

النتائج والدروس

أولاً : قراءة للتجارب الثلاث

لا بد من الاقرار في البداية ، أن الأصل في البحث عن تسوية سياسية سلمية ، هو وجود حالة صدام أو نزاع بين طرفين أو أكثر ، وعندما ينتفي شرط الصراع هذا فإن العملية تتحول من « تسوية سياسية » إلى مجرد « ترتيبات » يقوم بها طرف واحد على الساحة ، وهو ما يحاوله الأمريكيون والاسرائيليون في منطقتنا في أيامنا هذه . . . مستغلين حالات الضعف والوهن والتراجع التي يعيشها الجانب العربي .

في حالة فيتنام كان شرط الصراع متوفراً منذ بداية النزول العسكري الفرنسي ، لكن وتيرته هي التي اختلفت ، وادارته هي التي تغيرت ، فعوامل التفوق الفرنسي كانت تعزز موقع مفاوضيها على حساب المفاوضين الفيتناميين إلى أن تمكن الآخرون من تعديل ميزان القوى فأمكن بالتالي التوصل إلى تسوية أقل جوراً ، ثم أكثر معقولية ، وأخيراً أكثر انصافاً وعدلاً .

وهذه الحقيقة ، يمكن رصدها في التجارب الدبلوماسية الثلاث التي خلفتها لنا الثورة الفيتنامية :

أ ـ التجربة الدبلوماسية الأولى (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧) :

نلاحظ أولاً أن الجانب الفرنسي اتبع تكتيكاً يقضي بكسب الوقت ، منذ عهد الامبراطور وحتى عهد هوشي منه ، لأن الفرنسيين كانوا محكومين بعدة عوامل جعلت حركتهم العسكرية بطيئة ، فاعتمدوا سياسية القضم التدريجي للمناطق ،

لذا فإن مفاوضاتهم لم تكن تهدف إلى التوصل إلى تسوية ثابتة حتى وصلوا إلى العاصمة الامبراطورية عام ١٨٨٣ ، كما رأينا ، ثم عادوا في عهد الجمهورية إلى اتباع نفس التكتيك ، حتى تمكنوا من تثبيت أقدامهم بمساعدة كل من ؛ البريطانيين في الجنوب ، والصينيين في الشمال ، وانطلقوا في رحلة القضم السريع للمناطق المحررة في ظل اتفاقيات متغيرة مع حكومة هوشي منه ، لم يحترموا أياً منها !

أما ما لاحظناه من بعض الارباكات عند الدبلوماسية الفرنسية في تلك الفترة فكان ناتجاً :

اولاً عن اختلاف وجهات النظر بين القوى السياسية الفرنسية الرئيسية في باريس،ليس حول اعادة استعمار الهند الصينية ، لكن حول طريقة ودرجة تطبيق السياسة الاستعمارية التقليدية هناك .

... وثانياً بسبب الاختلافات في وجهات النظر بين السلطة المركزية وسلطات الهند الصينية الفرنسية ، والتي حاولت الدبلوماسية الفيتنامية الاستفادة منها ، لكن بدرجة محدودة .

... وهذا شبيه بما تحاوله الدبلوماسية العربية والفلسطينية من استثمار للاختلافات الطفيفة بين وجهتي النظر الأميركية والاسرائيلية ، والتي تظهر بين حين وآخر ، وكذلك بين العمل والليكود ، لكن دون جدوى !

أما الجانب الفيتنامي ، فإن دبلوماسيته اعترتها منذ البداية نقطتا ضعف ، تتعلق الأولى بافتقارها إلى عوامل قوة موضوعية تشد من ازر العامل الذاتي المتنامي ، وتتعلق الثانية بالمعارضة الواسعة لتلك الدبلوماسية داخل معسكرها ذاته كما رأينا . .

لذا وجدنا وضع المفاوض الفيتنامي يضعف تدريجياً في مواجهة المفاوض الفرنسي ، فكان يغطي هذا الضعف بالمزيد من التنازلات ، وبالتالي كان يفقد تدريجياً الأوراق التي بحوزته ، وهو ما يحدث في حالتنا في الوقت الراهن .

وقد رأينا المفاوض الفيتنامي ، في البداية يتمترس خلف موقفه المتشدد ،

ويطلب اعترافاً فرنسياً كاملاً بسلطته الشرعية في البلاد ، وتعاملاً على قدم المساواة مع باريس[1] لكنه في المرحلة التالية يتراجع ليقبل بالوجود الفرنسي المشروط والمؤقت ، مقابل اعتراف باريس بالسلطة الوطنية الحرة (لا المستقلة) . . ولأنه

يفتقد إلى قوة عسكرية رادعة ، فقد قبل في المرحلة الثالثة بالسلطة الادارية لا أكثر ، على المناطق التي تتواجد فيها قواته الثورية ، وهكذا ظل المفاوض الفيتنامي يقبل في كل جولة ما كان قد رفضه في الجولة السابقة ، وفي المقابل ظل المفاوض الفرنسي يتملص في كل جولة من كل ما التزم به في الجولة السابقة ،(بينما المفاوض الاسرائيلي لم يجد سبباً للالتزام بشيء في الأساس).

وفي المرحلة الأخيرة من تلك التجربة الدبلوماسية ، لم يجد المفاوض الفيتنامي ما يتنازل عنه سوى مصيره الشخصي . . وهنا اصطدم بالجدار الأصم فقد أدى فشل التجربة الأولى إلى سقوط الرهان على امكانية التسوية السلمية ، ولم يعد لدى أحد في قيادة الثورة أية أوهام عالقة حول الحل السلمي ، وبصرف النظر عن بعض المكاسب الموضعية والمؤقتة ، التي وفرتها حركة الدبلوماسية الفيتنامية آنذاك ، فإن القناعة المشتركة التي توصلت إليها القيادة الفيتنامية كانت كما قال جياب ان الدبلوماسية لن تحقق انجازاً هاماً إذا لم تعتمد بصورة مؤكدة على القوة ،

فهل أدركت قياداتنا العربية ذلك قبل فوات الأوان ؟...لقد ذهبت ادراج الرياح كل النوايا الطيبة ، ومبادرات حسن السلوك ، التي أظهرها هوشي منه نحو الفرنسيين ، قبل وأثناء المفاوضات ، ولم تنفعه في شيء ، كل العبارات المهذبة والتعبيرات الدبلوماسية التي استعان بها ، ولا الحديث المسرف عن حضارة الشعب الفرنسي وثقافته « المتميزة » ، ولا الاستنجاد المبالغ فيه بمبادىء الثورة الفرنسية

---

(١) الأمر الذي لم يفعله المفاوض الفلسطيني في مدريد،فبدلاً من تقديم مقترحات الحد الأقصى كما يجري عادة عند افتتاح المفاوضات ، فإن الفلسطينيين ضمنوا خطاباتهم الأولى تنازلات مجانية قبل أن تبدأ المفاوضات الفعلية بل أن الحضور الفلسطيني بالشكل والصيغة التي تم بها تضمن في حد ذاته تنازلات غير ثانوية . لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى : كتاب ابراهيم بكر ،مؤتمر السلام والمفاوضات المباشرة مع اسرائيل،.

« العظيمة »(٢) فكل تلك المرونة والجنوح إلى السلم ، لم تشفع له أمام مفاوض من الدرجة الثالثة ، جائره يطالبه بالاستسلام المذل في اللحظة القاسية... الشبيهة بالتي نعيشها نحن الآن !

إن كشفنا عن تلك التنازلات الخطيرة والمهينة التي أقدم عليها هوشي منه في التجربة الأولى ، قد يسبب بعض الاهتزاز لصورة الزعيم الفيتنامي الرومانسية في اذهان الكثيرين ، لكن الفائدة التي نتوخاها من التعرض لهذا الجانب السلبي تتمثل في تعميم الدرس الذي قدمه لنا ، ونحن اليوم أحوج إليه أكثر من أي وقت مضى ، دون قصد تشويه صورة الرجل في الذاكرة ، ويقيناً أن مكانة هوشي منه كقائد ثوري راكم خبرات ثورية واستفاد من تجربته والآخرين على نحو خلاق ، تبقى محفوظة ومعززة .

ب ـ التجربة الدبلوماسية الثانية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥) :

يفصل بين التجربتين الدبلوماسيتين الثانية والأولى، ثماني سنوات تمكنت الثورة الفيتنامية خلالها من توفير الشروط التي عجزت عن توفيرها للمفاوض الفيتنامي في المرة السابقة، فعاد إلى مائدة المفاوضات هو يمتلك مقومات جديدة عززت قوته التفاوضية:

ـ بين العوامل الذاتية، برزت القوة العسكرية الفيتنامية المتطورة عدداًونوعاً وتجهيزاً بقوة ردع لا يستهان بها، إلى جانب مناطق محددة تتواصل بين الشمال والوسط، ومناطق نفوذ وحدات العصابات في الجنوب، ونضالات سياسية لا بأس بها في المدن، واجواء وطنية عامة معادية للفرنسيين، وتعزيز الوضع الداخلي للثورة.

---

(٢) يمكن ملاحظة الفرق الكبير بين الأثر السلبي الذي تركته كلمات هوشي منه تلك بين الفرنسيين ، وبين الأثر الايجابي الذي أحدثته خطاباته الموجهة للأميركيين بعد عشرين عاماً ، نظراً لاقتران الأخيرة بمئات النعوش الأميركية العائدة عبر المحيط الهادي . . . وفي هذا مؤشر على مصير خطاباتنا العربية المقترنة بتوسل الضعفاء ، مع بعض العنتريات المكشوفة ، والقليل القليل من ممارسة القوة !

ـ وبين العوامل الموضوعية، برز الالتحام الاستراتيجي للمناطق المحررة في الشمال مع السلطة الثورية في الصين، وتدفق المساعدات الصينية القيمة، واعتراف الاتحاد السوفييتي بحكومة هوشي منه، وتواردت المساعدات من المعسكر الاشتراكي، وتوسعت جبهة القتال ضد الفرنسيين إلى لاوس وكمبوديا، اضافة إلى اتساع حجم المعارضة الفرنسية الداخلية للحرب، وفشل الامريكيين في حرب كوريا.

أما الطرف الآخر، فقد تحولت نقاط قوته السابقة إلى نقاط ضعف، وتضاعفت خسائره البشرية والمادية، وتصاعدت أزمته، وازداد اعتماده على المساعدات الأمريكية التي جلبت معها تدخلات امريكية متزايدة في شؤونه العسكرية والادراية.

وإذا أردنا الاختصار نقول:

إن اللجوء إلى الخيار العسكري «العنف الثوري» حقق للعامل الفيتنامي الذاتي صموداً لم يتوقعه العدو، وهذا العامل الذاتي هو الذي سمح باستثمار العامل الصيني (الخارجي) لتحقيق انجازات عسكرية، اخلت بميزان القوى الميداني لصالح الثورة،(٣) وهنا جاءت معركة ديان بيان فو كقول فصل:

فالبندقية المقاتلة خلقت واقعاً ثورياً مادياً جديداً، استندت إليه الدبلوماسية المفاوضة فحسن مواقعها في مواجهة الخصم الفرنسي فاضطرته لتقديم التنازلات التي كان يرفض، لسنوات طويلة الاقدام على أهونها.

النتيجة المنطقية لما تقدم، أن يحقق المفاوض الفيتنامي من الانجازات السياسية ما يوازي ما حققه المقاتل في ميادين القتال، لكن الذي حدث كما رأينا في الفصل الثاني، ان الدبلوماسية الفيتنامية عجزت عن تحقيق الانجازات المفترضة، حتى عندما أرادت ذلك وأصرت عليه.. والسبب كان موضوعياً، أكثر منه ذاتياً،

---

(٣) وهذه نقطة ضعف ملموسة في حالتنا الفلسطينية، فالعامل الموضوعي لم يحدث أثره ايجابياً على الذاتي الفلسطيني، لأن الموضوعي العربي غالباً ما يدفع بالفلسطينيين إلى المفاوضات ضعفاء، أكثر مما يوفر لهم من عناصر الدعم والمساندة لتعزيز مركزهم التفاوضي.

بمعنى أن العامل «الذاتي» الفيتنامي منع من التمادي في استثمار تفوقه على «الذاتي» الفرنسي، وأُجبر على التراجع إلى حدود معينة.

هذا الفشل الجزئي للدبلوماسية الفيتنامية، واضطرارها إلى تقديم تنازلات كبيرة وخطيرة في جنيف ـ مقابل عدة مكاسب سياسية ـ كان من الممكن تحقيقها في مفاوضات ثنائية مع فرنسا، والذي كان صعباً تجنبه عام ١٩٥٤ دفع القيادة الفيتنامية مرة أخرى للاستفادة من دروسه للمرحلة التالية.

صحيح أن هوشي منه راهن لبعض الوقت على امكانية استعادة ما فقد في جنيف تحت المظلة الدولية، بالطرق السلمية والديمقراطية، لكن تلك المراهنة لم تكن مضيعة للوقت، فقد تم خلال السنوات الفاصلة بين جنيف، وانطلاقة الكفاح المسلح مرة أخرى، اعداد المسرح الوطني لعرض ثوري متكامل.

هـ ـ التجربة الدبلوماسية الثالثة (١٩٦٨-١٩٧٣):

حرصت القيادة الفيتنامية، في التجربة الثالثة أن توفر للمفاوض الفيتنامي كما رأينا عاملين من عوامل القوة لم يتوفرا على الوجه الأكمل في التجربتين السابقتين:

الأول : تأمين الحد الأقصى من الاستقلالية والاعتماد على الذات في ادارة الحرب كما المفاوضات ولم يكن ذلك ممكناً دون توفير قاعدة مادية صلبة على المستوى الوطني، استغرق بناؤها وتطويرها وتعزيزها امكانيات وتضحيات هائلة.

الثاني : عدم الركون إلى الضمانات الدولية، والتقليل إلى الحد الأقصى، من تدخل القوى الخارجية السلبي، فالذي جرى في جنيف بضمانة الدول الكبرى لم ينفذ على الأرض. . ويبقى حبراً على ورقاته، أما الذي تقرر في باريس فقد وجدت القوة الذاتية القادرة على ترجمته وفق رؤياها.

وبتوفر هذين العاملين، تمكن الدبلوماسيون الفيتناميون في المرحلة الثالثة، على سبيل المثال، من تجاوز عقبة كبيرة كانوا قد اصطدموا بها في المرحلة الثانية، ونقصد بها ارادة القوى الكبرى، لقد أراد الفيتناميون مفاوضات ثنائية مع الفرنسيين تترجم فيها، دبلوماسياً، موازين القوة بينهما على الأرض، لكنهم

اضطروا للذهاب إلى « مؤتمر دولي » لا يشكلون فيه إلا رقماً صغيراً قياساً بالأرقام الكبيرة، أما في التجربة الثالثة فانهم استثمروا في مفاوضاتهم الثنائية السرية والعلنية، كامل تفوقهم الميداني، وعندما حل وقت « المؤتمر الدولي » فإنه كان لتثبيت النتائج التي توصلوا إليها سابقاً، وللاشراف على سير تنفيذها لا أكثر!

وهنا يجب التمييز بين موقفين من المؤتمر الدولي للسلام؛ في الموقف الأول، لم يستطع الدبلوماسيون الفيتناميون أن يتجنبوا تحويله إلى أداة ضغط عليهم، وميدان ابتزاز ضدهم، وفي الموقف الثاني، أحبط الفيتناميون خطة الدبلوماسية الامريكية لجرهم إلى مؤتمر دولي مماثل،[٤] فهم في العلن لم يكونوا ضد مؤتمر دولي للسلام بل معه، لكنهم لم يريدوه على صورة مؤتمر جنيف، بل أرادوه على الشكل، وبالدور الذي يرتأونه لخدمة قضيتهم.

وقد لاحظنا في التجربة الثالثة أن حركة الدبلوماسية الفيتنامية مرت بعدة محطات متصاعدة:

ـ في النصف الثاني من الخمسينات ركزت على الدعوة من أجل تطبيق اتفاقيات جنيف تطبيقاً صحيحاً، لكن أحداً لم يكترث لتلك الحملة (اقليمياً وعالمياً)!

ـ في أواخر الخمسينات صعدت الدبلوماسية الفيتنامية لهجتها درجة واحدة بانتقالها من الدعوة لتطبيق الاتفاقيات، إلى الاستنكار والتنديد بسياسات سايجون ـ واشنطن.

ـ في أوائل الستينات أخذت توفر الشرعية لنضالات الشعب الجنوبي المسلحة، مع تحذير الامريكيين من مخاطر التدخل في فيتنام.

ـ في اواسط الستينات بدأت الحرب الدبلوماسية موجهة في جزء هام منها،

---

(٤) حاولت الدبلوماسية الأميركية استثمار الاقتراح المفاجىء الذي قدمه المندوب السوفيتي في الأمم المتحدة، في مؤتمره الصحفي في منتصف نيسان (ابريل) ١٩٧٠ لعقد مؤتمر دولي في جنيف حول الهند الصينية، لكن آدم مالك أعلن عن سحب اقتراحه بعد ٤٨ ساعة فقط، بناء على تعليمات مركزية.

إلى داخل المجتمع الأمريكي، وقد أعطتها الخسائر الامريكية المتزايدة مصداقية وفاعلية.

لكن الضربة العسكرية ـ السياسيةـ النفسية التي تلقاها الامريكيون في هجوم ١٩٦٨ ، أتاحت لقطار التسوية السلمية الانطلاق من اصعب وأعقد محطات المواجهة العسكرية بين الطرفين، لكن في رحلة دبلوماسية شائكة، بدأت بمبادرات تكتيكية ومفاوضات ثنائية ومحادثات سرية وجولات رباعية، وتخللتها وقفات مجابهة دامية في ميادين القتال، لكن في ظل اختلال استراتيجي على الضفة الأمريكية، مكّن المفاوض الفيتنامي من القيام « بدور استاذ صارم يوبخ تلميذاً مشاكساً» باعتراف كبير المفاوضين الامريكيين.

فقد وضعت الدبلوماسية الفيتنامية، المستندة والمطمئنة إلى صلابة وضعها العسكري، بعد ١٩٦٨ ، هدفاً مركزياً من المفاوضات، وهو اخراج « العامل » الامريكي من خريطة الصراع، وظلت كل التكتيكات والمناورات وحتى التنازلات التي قامت بها طوال أربع سنوات، تدور لخدمة ذلك الهدف، والبحث عن طريقة مناسبة (أو مشرفة) لاشهار الهزيمة العسكرية الامريكية من ناحية، ولمساعدة الادارة الامريكية على تنفيذ (وعودها) بسحب قواتها العسكرية وإنهاء (التورط) الامريكي في الحرب.

أما الانتقادات التي وجهت للدبلوماسية الفيتنامية، حول تراجعها (في اتفاق باريس) عن الأهداف المعلنة (لثوار الجنوب) بتحريره كاملاً وتحقيق النصر الشامل، وحول تضحيتها بمصالح الثوار اللاوسيين والكمبوديين، استناداً إلى نص المادة رقم ٢٠ ، على « انهاء النشاطات العسكرية وسحب القوات والمواد الحربية الأجنبية وعدم اعادة ادخالها إلى أراضي البلدين، وترك المسائل الداخلية فيهما تحل بواسطة شعبيهما » مقابل التخلص من القصف والغارات الامريكية التدميرية، فإن تلك الانتقادات، لم تصمد طويلاً بسبب سقوط كل من سايجون وفنوم بنه وفانتيان في أيدي الثوار خلال عام واحد.

ولقد لعبت الدبلوماسية الفيتنامية المستندة إلى خبرة واسعة بشؤون العدو، بتفاصيل أوضاع جبهته الداخلية، دوراً هاماً في التأثير ايجابياً على التطور العسكري الأخير، حيث بيّنت أن قدرة الادارة الامريكية على الحركة أصبحت مشلولة،

فادارة نكسون أطاحت بها فضيحة ووترغيت في آب/أغسطس ١٩٧٤ ، وادارة فورد مكبلة بقيود مجلس النواب والشيوخ، واحتمال عودة القوات الامريكية من جديد أصبح غير وارد، مما « أطلق يد القيادة الفيتنامية حرة » من كل القيود.(٥)

من ناحية أخرى، لعبت الدبلوماسية الفيتنامية دوراً مهماً في تزويد القيادة السياسية بمعلومات كافية، حول الاتجاهات داخل الادارة الامريكية، وحول العلاقات المتشابكة بين الدول الكبرى، وانعكاساتها على القضية الفيتنامية، مما أبقى أمام القيادة عدة خيارات مفتوحة في معظم الأوقات.

وتلك كانت إحدى فضائل الدبلوماسية الثورية، قبل أن يتحقق وبجدارة عالية، النصر النهائي عام ١٩٧٥ ، الذي تخللته بعض المفاوضات الهامشية.

لقد لاحظنا، أن الانجازات العسكرية في المرحلة الثالثة قد مكنت الدبلوماسية الفيتنامية من التجلي بأكثر عروضها اثارة وابداعاً، ولم يعد المفاوض الفيتنامي ذلك الباحث استجداءً عن الحل السلمي، بل رأيناه يرد على محاولة نكسون إحراج هانوي مع حلفائها (بالكشف عن المفاوضات السرية عام ١٩٧٠)، بأن أماط اللثام هو الآخر عن الاتفاق السري الذي أراده نكسون عام ١٩٧٢ بعيداً عن معرفة حلفاء واشنطن المحليين، والذي أُجبر لاحقاً على توقيعه لتأمين ما أسماه بالانسحاب الامريكي « المشرف » من فيتنام.

---

(٥) للاطلاع على تفاصيل أوسع حول الآثار والارباكات التي تركتها الدبلوماسية الفيتنامية على ادارة الجمهوريين ، ننصح بمراجعة مذكرات الرئيس نكسون ، ووزير خارجيته كيسنجر . المترجمة إلى العربية: - مذكرات الرئيس نيكسون - الحرب الحقيقية - دار حسان للطباعة والنشر - دمشق. ترجمة د. سهيل زكار

- مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض - ترجمة خليل فرحات - دار طلاس - ١٩٨٥ دمشق .

ثانياً: استراتيجية التفاوض

بعد استعراضنا للتجارب الثلاث، هل يمكن القول، بموضوعية، أنّ الدبلوماسية الفيتنامية حققت في تجربتها الثالثة، ما لم تتمكن من تحقيقه في التجربتين السابقتين، لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فهي قد استفادت أخيراً، وإلى الحد الأقصى من أخطاء وثغرات الماضي، فلم تكن المفاوضات بالنسبة لها نزوعاً هروبياً نحو الأسهل بين الخيارات المطروحة ـ كما حدث في التجربة الأولى ـ ولا كانت ممراً اجبارياً تحت المظلة الدولية ـ كما حدث في التجربة الثانية ـ بل استندت إلى استراتيجية ثورية متكاملة، تنظيمياً وسياسياً وعسكرياً، كانت استراتيجية التفاوض، دون مغالاة، أحد خطوطها الرئيسة.

وبصراحة، نقول، انه من الزاوية البحثية الصرفة كان من الممكن ان نطلق على دراستنا هذه بفصولها الأربعة «قصة المفاوضات الفيتنامية»، وربما يكون هو العنوان الأصح والأنسب من غيره، لكننا آثرنا أن نعمم خلاصة التجربة الثالثة تحديداً باعتبارها شكلت قمة الانجاز الثوري الفيتنامي، وتجلى فيها العمل الدبلوماسي كاستراتيجية متكاملة متفاعلة ومظفرة.

واقرارنا بوجود الاستراتيجية الدبلوماسية في المرحلة الثالثة لا يعني اطلاقاً، الالغاء للتجارب السابقة، أو التجاهل لانجازاتها، أو القفز فوق فرسانها، فقد شكلت، بايجابياتها وسلبياتها، بخطواتها وعثراتها، خبرة ثورية قيمة، وتراكماً نضالياً غنياً، جرى الاستفادة منها إلى الحد الأعلى.

صحيح ان استراتيجية التفاوض لم تكن الوحيدة أو الرئيسة في التجربة لفيتنامية، فقد كانت جزءاً من النضال الدبلوماسي، وبالتالي النضال السياسي الذي كان مستنداً بدوره إلى العنف الثوري، أي إلى استراتيجية عسكرية وأخرى تنظيمية، وإلاّ فإنه كان سيتحول إلى مجرد ترف ثوري، عند اصطدامه بميزان القوى على الأرض.

ومع ذلك فقد كانت استراتيجية واضحة المعالم والحدود، لها تكتيكاتها

المستقلة، وأدواتها الخاصة بها ولم تكن مجرد عملية ارتجالية مرغوبة.

وصحيح أيضاً، ان الفيتناميين لم يتخرجوا من المدارس الدبلوماسية التقليدية، ولا اطلعوا على نصائح «هارفرد» التفاوضية(٦)، لكن المفاوضات بالنسبة لهم لم تكن خطوات اعتباطية أو مبادرات مرتجلة تتطلبها الشطارة والفهلوة، بل كانت علماً له أصوله وقوانينه.

● العناصر الأساسية:

ومن مراجعتنا لمفاوضات المرحلة الثالثة مع الامريكيين يمكن ان نتبين ثلاث ركائز وفرتها القيادة الفيتنامية لدبلوماسييها:

أولاً: استندت المفاوضات قبل أي شيء إلى تحليل واف لأوضاع الطرف الآخر العامة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وإلى تحليل سياسي لأوضاع الحزب الديمقراطي الحاكم، وإلى تحليل خاص للأوضاع داخل الادارة الاميركية وبين أجنحتها (البيت الأبيض والبنتاغون والخارجية)، وفي المقابل تقدير موضوعي لأوضاع الجبهة الفيتنامية وتحالفاتها الاقليمية والعالمية دون مبالغة أو مغالطة(٧).

ثانياً: وفي ضوء ذلك التحليل، جرى التخطيط للاستراتيجية التفاوضية من حيث هدفها الرئيسي، وأهدافها الفرعية، وانطلاقتها، ومراحلها وأساليبها المختلفة، وأدواتها المباشرة والبديلة.

ثالثاً: وعندما تقرر موعد المفاوضات، كانت الدبلوماسية الفيتنامية قد أعدت لمفاوضيها في ضوء التحليل السابق، ووفق الخطط المعتمدة، ملفات وافية

---

(٦) نشرت بعض الصحف العربية مشروع هارفارد حول « فن التفاوض » الذي أعده روجر فيشر، ووليام أوري بعنوان "كيف تصل إلى نعم دون استسلام!"
يمكن الاطلاع عليه في صحيفة الوطن الكويتية على حلقات بين الأول والعاشر من تموز (يوليه) ١٩٨٩.

(٧) وطبعاً دون ادعاء تبادل شبه يومي للرسائل « الهامة » مع القادة السوفييت أو الحلفاء السوفييت كما كان يحدث على الساحة الفلسطينية.

حول: الوضع الاميركي العام حتى ساعته، دوافع جونسون للمفاوضات، الحالة السياسية والمعنوية والشخصية للمفاوضين الاميركيين، القضايا السياسية والمسائل الاجرائية والأمور التفصيلية(٨).

وبعد توفر تلك الركائز كان سهلاً على المفاوض الفيتنامي ان يبدع في استثمار عناصر تفوقه، وفي محاصرة تكتيكات خصمه، ودون ان نغرق في التفاصيل أو نعيد قصة التفاوض، يمكننا الاستعانة بأمثلة تفاوضية محددة:

● لقد سجلت الدبلوماسية الفيتنامية أول انتصاراتها قبل ان تبدأ المفاوضات بثلاثة شهور، وذلك عندما اضطر جونسون إلى وقف القصف الجوي جزئياً عن شمال فيتنام كثمن أولي، مقابل موافقة الفيتناميين على التفاوض معه(٩)، لذلك عندما دخلت المفاوضات مرحلة التنفيذ في أيار (مايو) كان المفاوض الفيتنامي قد كسب نقطة على نظيره الاميركي، وأمام صلابة موقف الأول إنتهت الجولة الأولى من المفاوضات بحصول الفيتناميين على مكسب جديد يتعلق بايقاف القصف الجوي على كامل الشمال.

لكن هل تم ذلك بدون تنازل من الفيتناميين ؟

يعترف كيسنجر ان الوقف الجزئي للقصف تم «دون الحصول على شيء من الجانب الفيتنامي سوى افتتاح المفاوضات» لكنه يقول ان الوقف الكلي تم بعد موافقة الفيتناميين على الامتناع عن مهاجمة المدن الجنوبية من خارجها، لكن هذه الموافقة «لم تكن صريحة» على حد اعتراف كيسنجر بل جاءت عن طريق الدبلوماسية السوفيتية !(١٠)

نلاحظ في هذا المثال أولاً ان الفيتناميين استغلوا حاجة ادارة جونسون

---

(٨) لو سألنا أحد المفاوضين العرب ، لا على التحديد ، عن طبيعة الملفات التي حملتها الوفود العربية معها إلى مدريد وواشنطن والمتعددة . . فماذا ستكون اجابته ؟

(٩) من المؤلم أن ما يحدث في منطقتنا هو العكس تماماً ، فالعرب هم الذين يدفعون للعدو ثمن قبوله ، مجرد قبوله ، الجلوس معهم وما قدموه من تنازلات في هذا الشأن ليس بحاجة إلى تبيان.

(١٠) مذكرات كيسنجر ـ الجزء الأول ص ٣٧٤ ، ص ٣٩٣ .

الداخلية إلى التفاوض، وفرضوا عليها التنازلات الأولية الممكنة، دون ان تبدي هانوي لهفة على التفاوض مع ادارة مشكوك في قوتها، بل ادارت الجولة الأولى بهدوء واتزان.

ونلاحظ ثانياً ان المفاوضين الفيتناميين قد استثمروا مركزهم القوي في المفاوضات الثنائية لخلق قاعدة أفضل للمفاوضات الرباعية، ولم يتورعوا عن تعطيل المفاوضات السياسية لثلاثة شهور في سبيل مسألة إجرائية تتعلق بمكان وطريقة جلوس وفد جبهة التحرير الجنوبية، أي شكل طاولة المفاوضات الرباعية التي حسمتها الوساطة السوفيتية قبل أيام من تولي نكسون الادارة[11].

● لقد عمدت القيادة الفيتنامية إلى تجريد الدبلوماسية الاميركية من مكسبها حتى في الاطار الدعائي، وعلى عكس الوعد المزعوم شنت الوحدات الفيتنامية هجوماً شاملاً بعد شهر واحد من تولي نكسون الادارة الجمهورية، واستمرت القيادة الفيتنامية في تصعيد العمل العسكري، واستثمار الوضع الداخلي الاميركي بطريقة لم تسمح للطرف الآخر باعتماد استراتيجية دبلوماسية محددة طوال عام كامل، لأن ادارة نكسون حسب اعترافات أركانها وقعت بين مطرقة هانوي وسندان المعارضة، وهنا نصدق كيسنجر عندما يقول ان هدف الفيتناميين العسكري كان «قتل أكثر فأكثر من الامريكيين» أما هدفهم الآخر فكان «تحطيم تصميمنا الداخلي»[12].

نلاحظ في هذا المثال، أولاً، ان الفيتناميين ورغم انهم لم يقدموا تنازلاً مباشراً ومكتوباً للمفاوض الاميركي إلاّ انهم حرصوا على منع الطرف الاميركي من استثماره داخلياً حتى ولو استخدمت واشنطن اسم الحليف السوفيتي للفيتناميين.

ونلاحظ ثانياً، أنّ القيادة الفيتنامية أبدعت في الاستخدام المتبادل للعمل العسكري والعمل الدبلوماسي من أجل تحقيق تعميق الخلافات في جبهة العدو،

---

(١١) كان الأميركيون قد اقترحوا طاولة بيضاوية ، والفيتناميون طاولة مربعة ، وظلت المشكلة قائمة دون حل حتى تم الاتفاق في ١٦ / ١ / ١٩٦٩ على طاولة مستديرة دون أعلام . أي قبل تولي نكسون بايام ، لحرمانه من ادعاء للانجاز لادارته .

(١٢) المقتطفان السابقان من المصدر السابق ، على التوالي ص ٤٠٢ وص ٥١٣ ـ الجزء الأول

وارباك حالته النفسية.

● لقد حرص الفيتناميون على متابعة تكتيكات المفاوض الاميركي واحباطها في مهدها، وقد تطلب ذلك، الكثير من اليقظة والحذر وطول النفس وأحياناً تعليق المفاوضات أو التهديد بايقافها.

ونلاحظ في هذا الشأن أولاً؛ ان المفاوض الفيتنامي أحبط خطة اميركية لاعطاء الأولوية للعسكري على السياسي في المفاوضات، فقد أراد المفاوضون الجدد (من إدارة نكسون) حصر التفاوض الاميركي الفيتنامي بالشؤون العسكرية تحت حجة أنَّ السياسي من اختصاص الفيتناميين فيما بينهم، وهنا استثمر المفاوض الفيتنامي الخلاف بين الخارجية الاميركية والبيت الأبيض حول ذات التكتيك.

ونلاحظ ثانياً؛ ان الفيتناميين تمكنوا من احباط خطة اميركية أخرى لاغراق المفاوضات في شؤون تفصيلية (كالانتخابات والهدنة واللجان المشتركة) على حساب القضايا السياسية الأساسية التي تضمنتها مبادراتهم ومقترحاتهم السلمية الشهيرة.

ولأن الفيتناميين امتلكوا تحليلاً واقعياً لأوضاع الطرف الآخر ـ كما ذكرنا ـ فقد توفرت لمفاوضيهم القدرتان المتلازمتان، القدرة على احباط أية مناورات أو تهديدات اميركية مبالغ فيها، لمعرفتهم بحدودها، والقدرة على استثمار التناقضات والاختلافات الاميركية لاضعاف المفاوضين الاميركيين.

وقد شكا الرئيس نكسون من صعوبة الموقف التفاوضي، في ظل هذه الحالة التي أصبح معها غير قادر على خداع المفاوضين الفيتناميين الذي يعرفون ما يجري في ادارته، وغير قادر على خداع المفاوضين الاميركيين الذين يشكّون في ثقة شعبهم بقيادته(١٣).

● الأوراق التفاوضية:

هل نستطيع القول بعد ذلك أن الدبلوماسية الفيتنامية لم تكن نزهة ثورية،

---

(١٣) شكوى نكسون المذكورة نقلها كيسنجر في مذكراته ـ ص ٥١٤ ـ الجزء الأول.

أو ترفاً نضالياً، أو حقلاً تجريبياً، وانما شكلت ميداناً كفاحياً مكملاً، ومتفاعلاً مع الميادين العسكرية والتنظيمية والسياسية الأخرى(١٤) ؟

طبعاً ذلك لم يكن ممكناً لو لا استناد تلك الدبلوماسية إلى امكانيات بشرية ومادية وطبيعية هائلة ومواتية أمكن للقيادات العسكرية والسياسية ترجمتها إلى عوامل قوة مما ساعدها في بعض المراحل على تغطية النقص في العوامل الموضوعية المساندة كما رأينا سابقاً، وهذه في تقديرنا أول شروط قيام جبهة دبلوماسية فاعلة، فهل يتوفر هذا الشرط في حالتنا العربية، رغم ان الامكانيات البشرية والمادية والطبيعية العربية تفوق كثيراً ما كان عند الفيتناميين وحلفائهم الكمبوديين واللاوسيين(١٥).

انه من الأهمية بمكان، ان يستثمر ـ ولو الحد الأدنى ـ من الامكانيات العربية، لخدمة الدبلوماسية العربية، أي لتوفير القدر المعقول من الفاعلية والمصداقية للدبلوماسيين والمفاوضين العرب المرئي لحالهم.

وبالطبع لا يكفي توفر هذا الشرط أو الورقة الأساسية، بل الأهم هو القدرة على استثمارها أو تجنيدها في الوقت المناسب والمكان المناسب، وفي هذا المجال أبدع الفيتناميون كثيراً، ونستطيع القول، دون مبالغة، ان الفيتناميين استثمروا ببراعة كل ما على أرضهم من امكانيات، من أكبر سلسلة جبلية في المرتفعات الوسطى حتى أصغر قضيب بامبو في جداول الميكونغ، للضغط على المفاوض الاميركي في باريس وحرق أعصابه، فقد نجح الفيتناميون بفضل هذا الامتياز في تحويل المفاوضات إلى سلاح «لانهاك أعصابنا، وارباكنا، ولابعادنا عن حليفنا في

---

(١٤) اتفق المفاوضون الأميركيون في شهاداتهم حول وصفهم لطريقة التفاوض الفيتنامية ، وقد لخصها كيسنجر ، بأنه بعد عدة جولات تفاوضية أصبح على يقين أن المفاوضين الفيتناميين يعتبرون قاعات باريس وكأنها معركة أخرى ـ المذكرات ص ١٦٩ الجزء الثاني .

(١٥) ظهرت في السبعينات عدة مقالات ودراسات للمقارنة بين الحالتين العربية والفيتنامية ويمكن الرجوع إلى دراسة الأخ ناجي علوش المنشورة بعنوان « التجربة الفيتنامية : دروسها السياسية والعسكرية » الصادرة عن دار الطليعة ـ بيروت .

سـايجون، ولشق الـرأي العام الأمـيركي» حسب اعترافـات كبير المفـاوضين الاميركيين[١٦].

اما نحن العرب فلم نتمكن إلى الآن من الاستثمار الصحيح حتى لما في أيدينا من أوراق جاهزة، وأبسطها وحدة الحركة والتكتيك بين الوفود الدبلومـاسية والمفاوضين العرب دون ان نذهب بعيداً للمطالبة باستثمار ما يتوفر من شروط المواجهة العسكرية والتنيظيمة والسياسية المفترضة على الجبهة الدبلوماسية.

في فيتنام توفرت واستثمرت «الوحدة» على مستوى الشمال كما على مستوى الجنوب في تشكيلات جبهوية فاعلة ومناسبة بقيادة تنظيم طليعي، «والوحدة» على مستوى الهند الصينية بين القوى الثورية في كل من فيتنام ولاوس وكمبوديا (على مستوى الجبهات الوطنية أو الأحزاب الطليعية)، «والوحدة» بين القوى الاشتراكية والثورية والتقدمية في العالم، بمعنى تضامنها في دعم ومساندة الشعب الفيتنامي رغم الخلافات العقائدية والسياسية بين بعض فصائلها[١٧].

● الأسلوب والمستوى التفاوضي:

لاحظنا في المرحلة الأولى من التجربة الفيتنامية أنَّ دبلوماسيتها عانت من الرعونة والاندلاق في مـواجهة الـدبلوماسيـة المقابلة، وهـو ما يحـدث حاليـاً للدبلوماسية الفلسطينية والعربية، عندما لم تحافظ الدبلوماسية الفيتنامية على حدود برتوكولية معقولة في مستوى التفاوض، فرأينا رئيس الحكومة المؤقتة الذي هو رئيس الجمهورية الديمقراطية، يزاحم عام ١٩٤٥ وزير خارجيته ومفاوضيه الآخرين ليقود بنفسه الجلسات التفاوضية في مواجهة بعض الضباط والمستشارين الفرنسيين والاميركيين والصينيين، بل إنَّ الوفد المفاوض الذي ترأسه في فرنسا عام ١٩٤٦ كان يضم سبعة وزراء، اضافة إلى عدد من نواب الوزراءوالمسؤولين، بينما الوفد

---

(١٦) مصدر سابق ذكره ص ٤٣١ ـ الجزء الأول.

(١٧) لقد أبدعت القيادة في تطبيق سياسة التحالفات، داخلياً واقليمياً وخارجياً، ولعل انجازات هوشي منه في مجال العمل الجبهوي أبرزها، للمزيد، هناك دراسة للمؤلف في مجلة الكاتب الفلسطيني ـ الصادرة في دمشق ـ صيف ١٩٩٠.

الفرنسي المفاوض خلا من أي عضو في الحكومة الفرنسية، وضم مجموعة من موظفي ومستشاري وخبراء الادارة الاستعمارية، وبعد سفر الوفد الفيتنامي انحصرت المفاوضات بين رئيس الدولة الفيتنامية، وبين وزير الدولة الفرنسي لشؤون ما وراء البحار[١٨].

ولا شك أنَّ تلك الرعونة كانت تعبيراً عن حالتي الضعف وعدم الثقة اللتين كان المفاوض الفيتنامي يعيشهما ـ آنذاك ـ أكثر منها دليلاً على تواضعه، أو تعبيراً عن انسانيته[١٩]، لكن عندما امتلك الفيتناميون عناصر القوة العسكرية والسياسية اللازمة ـ لاحقاً ـ رأيناهم يفاوضون ذات العدو على قدم المساواة، آخذين بعين الاعتبار المرتبة الدبلوماسية والمستوى التفاوضي، وقد تجلى ذلك في مفاوضات المرحلة الثانية حيث برزت أسماء عدد من المفاوضين الفيتناميين في الحقلين السياسي والعسكري.

واذا انتقلنا إلى المرحلة الثالثة فاننا نجد الدبلوماسية الفيتنامية تعبر عن مركزها المتميز بثلاث صفات:

ـ في المجال الاجرائي: غالباً ما كان الاميركيون هم الذين يطلبون مواعيد للاجتماعات العلنية أو اللقاءات السرية، وقد كانت الردود والاجابات الفيتنامية عليهم غالباً ما تأتي متأخرة، ولم يكن المفاوضون الفيتناميون في عجلة من أمرهم، ولم يكترثوا كثيراً بالمواعيد التي يقترحها المفاوضون الاميركيون، وكانوا يتعمدون تأخيرها عدة أيام أو أسابيع[٢٠].

---

(١٨) لمن يرغب بالمزيد من المعلومات حول تشكيل الوفدين ـ مراجعة:
Joseph Buttinger: Vol.I — p. 644 — 646

(١٩) عن حالة فلسطينية مشابهة للكاتب راي محدد نشره في مجلة الهدف ـ العدد ٩٦٤ ـ ١٩٨٩ بعنوان «مجرد سفير!» أما الرعونة العربية فيمكن التعرف على مظاهرها في العلاقات العربية الأميركية!

(٢٠) الموقف في الحالة العربية ـ الاسرائيلية مقلوب تماماً، فقد كان منظر الوفود العربية إلى مفاوضات واشنطن يدعو للشفقة وهي تنتظر في ردهات الخارجية الأميركية وصول الوفد الاسرائيلي لعدة أيام متتالية بعد رفضه الموعد الذي حددته الادارة الأميركية على غير هواه.

ـ وفي المجال التفاوضي: ظل المفاوضون الفيتناميون يحتفظون بثقة عالية في النفس، وعلى أساس انهم سادة الطاولة كانوا يتصرفون، سواء عند تقديمهم مقترحاتهم أو القاء كلماتهم، أو عند استماعهم وردهم على المقترحات والخطابات الاميركية، في الحالة الأولى كان الفيتنامي يقدم مقترحاته على أساس انها المقبولة والمنطقية والعملية من أجل التوصل إلى تسوية سياسية عادلة، وفي الحالة الثانية كان الفيتنامي يفند الآراء ووجهات النظر الاميركية المضادة بطريقة تشكك الطرف الآخر في سلامة موقفه وقوة حجته لدرجة ان المفاوض الاميركي خال الفيتنامي يدفعه «لازالة الاحترام الذي يكنه لنفسه»(٢١).

وبالنسبة للأسلوب التفاوضي فقد لوحظ ان الدبلوماسيين الفيتناميين لم يلتزموا برتابة معينة، ولا بطقوس ثابتة، وكانوا يكيفون طرائقهم في الاتصال بالطرف الآخر ومخاطبته حسب مقتضيات الظرف المحدد، والهدف التكتيكي المحدد، مما أوقع المفاوضين الاميركيين في حيرة دائمة، وحدّ من قدرتهم على التكهن، وقد اعترف الاميركيون ان الأسلوب الفيتنامي في التفاوض قد ساعد في ارباك الوضع الداخلي الاميركي، وفي ابقاء عدة خيارات مفتوحة أمام الدبلوماسية الفيتنامية بل ذهب كيسنجر إلى حد القول ان المفاوضات بالنسبة للفيتناميين «لم تكن منفصلة عن المعركة بل كانت جزءاً منها، ولم تكن الوسيلة المؤدية إلى اتفاق، وإنما كانت أداة حرب سياسية»(٢٢).

---

(٢١) مذكرات كيسنجر ص ٥٢ ـ الجزء الثالث

(٢٢) المصدر السابق ص ٤٣١ ـ الجزء الأول

ثالثاً : دبلوماسية البامبو

ذكرنا سابقاً أن الفيتناميين هم أحد الشعوب التي ابدعت في استثمار وتطويع كل امكانياتها الطبيعية والبشرية في الصراع مع العـدو ، وقد لعبت شجـرة « البامبو » عبر التاريخ الفيتنامي دوراً متميزاً بين عطايا الطبيعة في المواجهة متعددة الأطراف ، فكانت صديقاً معيناً للفلاح في حياته المدنية ، وفي تصديه للوحوش والنوائب الطبيعية ، وفي الوقت نفسه كانت سلاحاً رئيساً في حركات التمرد والعصيان على السلطات المحلية أو الأجنبية طوال التاريخ السياسي للفيتناميين .

وفي عصرنا الحاضر ، احتل « البامبو » مكانة خاصة في التكتيكات الحربية المتنوعة ، وقد اعترف الفرنسيون ثم الأميركيون بما عانوه من الأفخاخ والخوازيق ومصائد المغفلين التي صنعت من البامبو دون غيره ، أو تلك التي كان البامبو عنصرها الغالب(٢٣) .

● البامبو . . لماذا ؟

وعلى اعتبار أن قضيب البامبو يجمع المتناقضين ، ويقرِّب المتقابلين ، فقد سمح بمساحة واسعة من الاستعمالات والاستثمارات ، فهو يتميز بالمرونة الشديدة في حركته وبالصلابة الكبيرة في مادته في الوقت ذاته . مستنداً إلى هذه الخصوصية الفريدة ، انطلقت في وصف الاستراتيجية الدبلوماسية التي اعتمدتها القيادة الفيتنامية غالباً ، وخاصة هوشي منه ، باستراتيجية البامبو ، فهي كانت تذهب بعيداً في مرونتها حتى يخيل للمرء أنه التفريط والاستسلام لا محالة ، ثم تعود إلى التصلب والتشدد حتى يعتقد المرء أنه لا تفاوض مع العدو بعد الآن ، وصلابة الفيتناميين كانت تعزز للمفاوض الفيتنامي مركزه التفاوضي وتوفر له الأوراق التفاوضية المطلوبة .

---

(٢٣) نظراً لأهميته في الحياة العملية فقد احتل البامبو في الأدب والفن الفيتنامي مكانة خاصة ، استطاع المؤلف أن يتعرف على الكثير من مظاهرها في مختلف المناطق التي زارها .

وفي هذا المجال ، استحق هوشي منه لقب الدبلوماسي الأول ، كما كان المقاتل الأول ، وكان الزعيم الفيتنامي للحق أوضح رفاقه وزملائه تمثيلاً لدبلوماسية البامبو[٢٤] ، التي تكللت مسيرتها بالنجاح الباهر في ربيع عام ١٩٧٥ :

ـ فقد رأينا خلال عرضنا للتجربة الأولى ، كم كان الرجل مرناً في تعاطيه مع الصينيين (كومنتانغ) والاميركيين والفرنسيين ، ثم كم كانت كبيرة ومتصاعدة إلى درجة الخطورة التنازلات التي قدمها المفاوضون الفيتناميون بقيادته المباشرة للمفاوضين مع السلطات الفرنسية ، لكنه عند النقطة الأكثر خطورة وأمام المفترق المصيري ، وجدناه يعود مائة وثمانين درجة في الاتجاه المعاكس ، أي إلى العنف الثوري ، إلى صلابة البامبو .

ـ وقد رأيناه في التجربة الثانية يتراجع عن مواقفه المتصلبة التي أظهرها وفده في بداية مؤتمر جنيف الدولي ، ويضطر إلى تليين موقفه إلى الدرجة التي تطلبتها ابتزازات الدول الغربية المعادية ، وضغوط الدول الاشتراكية الحليفة ، فكانت مرونة البامبو في هذه الحالة تحاشياً للدخول في مغامرة عسكرية منفردة غير مأمونة العواقب ونتيجة عدم قدرته على كسر طوق المؤتمر الدولي واشتراطاته .

ـ ورأيناه في التجربة الثالثة ، وقد أمّن قبل رحيله (١٩٦٩) الشروط الكفيلة بتأمين استمرارية العنف الثوري ، وتجلت خلال السنة الأخيرة من عمره (والأولى من المفاوضات) صلابة البامبو ، وإذا كان رفاقه الذين اكملوا المشوار من بعده ، قد لجأوا إلى بعض المرونة لاحقاً فإن تلك المرونة لم تكن إلاّ مؤقتة ومشروطة ، ما لبثت أن تبخرت أمام المتغيرات التي يصنعها الثوار على الأرض ، مما اضطر كبير المفاوضين الأميركيين للتراجع عن تبجحاته السابقة حول « التنازلات الفيتنامية الكبيرة » ، لقد شكل هوشي منه في تقديرنا مثالاً ساطعاً للمفاوض الثوري ، والمقاتل الثوري في آن واحد .

---

(٢٤) لا تخلو مذكرات القادة الفيتناميين وأحاديثهم الشخصية من التطرق إلى هذا الجانب في شخصية الزعيم التي تستحق عن جدارة أن تفرد لها دراسة خاصة .

● المفاوضون الثوريون :

عندما نتحدث عن الأسس والركائز التي قامت عليها الدبلوماسية الفيتنامية وعن الشروط والأوراق التي توفرت للعملية التفاوضية ، هل يمكننا تجاهل دور الأداة الدبلوماسية نفسها في الانجازات التي تحققت ؟

نحن نعتقد أن نجاحات الفيتناميين ما كانت ممكنة ، وبالشكل الذي جرت فيه ، لو لم يتوفر للدبلوماسية الفيتنامية دبلوماسيون من طراز خاص[٢٥] وهنا نستطيع أن نرصد أبرز صفاتهم التي تجلت خلال الممارسة :

ـ فقد كانوا دبلوماسيين ثوريين حقيقيين ، ولم يكونوا تقليديين ، ولم تكن ثوريتهم مزيفة أو مؤقتة أو موسمية ، بمعنى أنهم كانوا أناساً ملتزمين بالثورة نظرياً وعملياً ، وظلوا جزءاً متفاعلاً داخل المؤسسة الثورية ، أي أنهم لم يكونوا فريقاً أو فئة مترفة متميزة غريبة عن جسم الثورة تؤدي مهمات مؤقته ، ويتخلل أداؤها حركات استعراضية أو فولكلورية مطلوبة ، ونستحضر هنا ما قاله كيسنجر عن كبير المفاوضين الفيتناميين الذي لم يكن مجرد مفاوض سياسي بل أن « لي دوك تو . . كان يحترف اقامة الثورات ، والدعوة لحرب العصابات ، وفي نفس الوقت يحسن التحدث عن السلام بطلاقة »[٢٦]

ـ ما تقدم لا يعني أنَّ المفاوضين الفيتناميين لم يلجأوا إلى جذب الاهتمام الصحفي والتلفزيوني واثارة الرأي العام العالمي ، على العكس من ذلك ، فما زالت ذاكرة الستينيات والسبعينيات تحتفظ بتلك الصورة الشهيرة لوزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة وهي بالزي الوطني التقليدي ، ولم يكن مصدر الاثارة عند السيدة نجوين بنه بالطبع ، ملابسها أو فتنتها ، بل مواقفها الصلبة في قاعة المفاوضات ، وبياناتها المثيرة أمام رجال الاعلام .

---

(٢٥) لقد قدر للكاتب أن يتعرف عن قرب على معظم أعضاء الوفد الفيتنامي المفاوض وظروف حياتهم الشخصية خلال اقامته الطويلة في هانوي كرئيس للبعثة الدبلوماسية الفلسطينية ، وكتب لمجلة الحرية عن بطل المفاوضات السرية عند وفاته ـ الحرية ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٠ .

(٢٦) المذكرات ص ١٦٨ ـ الجزء الثاني .

ـ ولأنهم ثوريون حقيقيون ، فلم يكن فقر الدبلوماسيين الفيتناميين أو اصفرار وجوههم ، أو تواضع مظهرهم الشخصي العام يعيبهم أو ينتقص من هيبتهم أمام المفاوضين الغربيين البيض ، لأنهم ببساطة لم يكونوا محكومين بعقدة النقص تجاه الأسماء الأميركية اللامعة ، بل على العكس من ذلك ، فقد كانوا يعتزون بقوميتهم الفيتنامية وبتاريخ شعبهم العريق ، وكانوا يحملون كبرياءً قومياً ملحوظاً شكا منه الوزير الأميركي الأسبق كيسنجر عندما كانوا يقدمون له مقترحاتهم بطريقة الأمر الصارم « يجب على الولايات المتحدة . . . » وأمام الاحتجاج الأميركي تنازلوا لاستخدام تعبير « يجدر بالولايات المتحدة أن »(27) .

ـ ولأنهم متمسكون بعقيدتهم « الماركسية »(28). فلم يعطوا الطرف الآخر فرصة لممارسة أو اظهار أي تفوق عليهم ، فلم يظهر الدبلوماسيون الفيتناميون أي أطناب تجاه امتيازاته المادية والاستهلاكية ، ولم يعجبوا بمسلكياته ونمط حياته الدبلوماسية ، بل على العكس وجدنا كبير الدبلوماسيين الأميركيين يشكو من المفاوض الفيتنامي الذي « . . كان يكره ، بل يحتقر كل الاعتبارات البرجوازية وطرق التسوية التي يتبعها (الأميركيون) »(29) .

ولم يكن كل ذلك التمايز للمفاوض الفيتنامي نتيجة عنجهية فارغة أو فروسية مدّعاة ، بل نتيجة بنية عقائدية متماسكة (نظرياً وممارسة) ، ووعي سياسي وتفاوضي عالي الدرجة ، وإيمان غير محدود بالشعب الذي يمثله ، جعلت حجته القوية في قاعة المفاوضات قادرة على « اغاظة » الطرف الآخر(30)على حد تعبير

---

(27) المصدر السابق ص ٤٣٠ ـ الجزء الأول .

(28) مازال الحزب الشيوعي الفيتنامي من الأحزاب الشيوعية القليلة التي لم تتخل عن عقائديتها الماركسية رغم انهيار الاتحاد السوفيتي ومعسكره الاشتراكي الأوروبي ، وقد خرج الحزب الشيوعي الفيتنامي من مؤتمره الوطني العام السابع (حزيران / يونيه ١٩٩١) متمسكاً بهويته وبعنوانه ـ المؤلف

(29) مذكرات كيسنجر ص ٥٢ ـ الجزء الثالث .

(30) فهل هذا هو حال الدبلوماسيين العرب والمفاوضين الفلسطينيين ؟ ودون قصد التشكيك في وطنية أو اخلاص أي منهم ، فإن المسالة في تقديرنا أعمق بكثير من مجرد إتقانهم اللغة الانجليزية أو المامهم بفن العلاقات العامة أو معرفتهم بالعادات الغربية !

كيسنجر الذي رأى في كبير المفاوضين الفيتناميين ـ وهو بالتأكيد مثال للمفاوض الفيتنامي ـ حدة الذهن ، والذكاء والشجاعة والانتظام والنشاط .

● المفاوض والتنازلات :

بعد كل الصفات السابقة التي أعطيت له ، هل يمكن تطبيق المقياس التقليدي على المفاوض الفيتنامي ؟ وبين أي نوع من المفاوضين يمكن تصنيفه ؟ هل كان مبدئياً ، أم صلباً ، أم مرناً ؟

نستطيع الزعم ، دون الخوض في التفاصيل الأكاديمية أنّ الدبلوماسي الفيتنامي لم يتحصن في زاوية حركة محددة ولم يتمترس عند حدود تصنيف معين أثناء مهماته التفاوضية ، لكنه كان مبدئياً وصلباً ومرناً في الوقت ذاته :

ـ فهو كان مبدئياً ، ولم يتراجع عملياً عن الأهداف الأساسية للثورة الفيتنامية تحقيق الاستقلال الشامل والكامل (للشمال والجنوب) واعادة توحيد الوطن الفيتنامي والاعتراف الدولي بسيادته وحدوده الاقليمية ، ولم يساوم على الموقف من وجود القوات والقواعد الأميركية (وقبلها الفرنسية) .

ـ وهو كان صلباً ، ولم يتردد في التصدي لكل المحاولات الابتزازية والمناورات التي قام بها المفاوضون الأميركيون في كل مراحل المفاوضات ، في القضايا الاجرائية ، كما في القضايا السياسية الأساسية ، وكذلك في المسائل التفصيلية كما رأينا في الأمثلة السابق ذكرها .

ـ وهو كان مرناً(٣١) ، ولم يخش اظهار الليونة المطلوبة عندما تستدعي اللحظة الحرجة ذلك ، لكن تلك المرونة لم تكن مجانية أو مفتوحة ، بل كانت تأتي مشروطة

---

(٣١) لا بد من الاعتراف هنا بالفرق بين طبيعة المشكلة في الحالة الفيتنامية عنها في الحالة الفلسطينية ، ففي الأولى لم يكن هدف المفاوض الفيتنامي من تنازلاته الحصول على الاعتراف بالشعب الفيتنامي ، فالأعداء لا ينكرون وجوده ، وإنما الاعتراف بسلطته الوطنية ، أما في الثانية فإن هدف المفاوض الفلسطيني من تنازلاته أكثر صعوبة وهو الاعتراف بالشعب الذي ينكرون وجوده ، وتثبيت هذا الاعتراف قانونياً وسياسياً ودولياً في مواجهة استعمار استيطاني اجلائي عنصري .

ومؤقتة وخاضعة لحسابات دقيقة وخير مثال على ذلك ما اسماها الأميركيون بمرونة اللحظة الأخيرة الناتجة عن كثافة القصف الأميركي للشمال الفيتنامي في أواخر عام ١٩٧٢ ، وحددت واشنطن التنازل الفيتنامي في نقطتين :

الأولى : التراجع عن مطلب اقامة نظام سياسي جديد في الجنوب ، والقبول بالتعامل مع نظام سايجون لتطبيق بنود اتفاقية باريس .

الثانية : قبول التوقف عن الدعم المباشر للثوار اللاوسيين والكمبوديين وفق المادة العشرين القاضية بالانسحاب من ، وعدم التدخل في ، لاوس وكمبوديا .

لكن هذا التنازل الفيتنامي ، كما أثبتت التطورات ، لم يستمر لأكثر من المدة الزمنية اللازمة لخروج القوات الأميركية من المنطقة ، اي لاخراج العامل الأميركي من خارطة الصراع المباشر ، وهذا بالضبط كان هدفاً رئيساً للمفاوضات ساعدت التنازلات الفيتنامية المؤقتة على تسريع التوصل إليه .

وفي الحقيقة لم يكن غائباً عن ذهن الأميركيين أن التنازلات الفيتنامية مؤقتة ومخادعة ، لكنهم رأوا فيها سبباً لحفظ بعض ماء الوجه ، ففي الشهر التالي على توقيع الاتفاقية ، يقول كيسنجر بمناسبة زيارته لهانوي أنه لم يكن يثق في التزام الفيتناميين بالمحافظة على الاتفاقية برضاهم[٣٢] ولم يعد باستطاعة الأميركيين اجبارهم على ذلك .

ولمعرفة الفيتناميين باستحالة عودة التورط الأميركي العسكري ـ وهذا بالطبع نتيجة تحليل موضوعي دقيق وليس نتيجة تكهن قيادي ـ فإنهم عندما قرروا وقف العمل بالتنازلات المذكورة ، لم يكترثوا كثيراً بالتحذيرات والتهديدات والتصريحات الصادرة عن الأميركيين ، بل إن هانوي أظهرت حسب كيسنجر « أن أعصابها لا تزال قادرة على الاحتمال » مما جعل الوزير الأميركي يشعر ، وهو ذاهب لتهديد وانذار المفاوض الفيتنامي في آخر جلسة تفاوضية[٣٣] أنه « لم يكن ممثلاً

---

(٣٢) يروي الأميركيون للتدليل على « غدر » الفيتناميين كيف أنهم استخدموا موضوع أسرى الحرب الأميركيين لحرق أعصاب واشنطن حيث برمج الفيتناميون عمليات اطلاق سراحهم بما يخدم خطتهم لتقييد ردود الفعل الأميركية المحتملة .

(٣٣) يحلو للثنائي نكسون ـ كيسنجر الحديث عما أسموه غطرسة الجانب الفيتنامي في المفاوضات ، ٥

لأميركا القادرة على العقاب ، بل كرجل لا يملك ما يقترح » !

لقد سمحت الانجازات العظيمة في الميادين العسكرية والسياسية والتنظيمية أن يتحول الدبلوماسيون الفيتناميون بشكل عام إلى شخصيات هامة ومثيرة أينما ذهبوا أو تواجدوا ، لكن المفاوضين الفيتناميين ، وبشكل خاص ، أصبحوا أمثلة عالمية ساطعة في مقارعة المفاوضين الأميركيين ، الأكثر شهرة ووسامة وجاذبية ، وفي تحجيمهم وتبهيت صورتهم والحد من نجوميتهم ، رغم اعادة الاعتبار التي منحتهم اياها التنازلات العربية اللاحقة (١٩٧٧ - ١٩٧٩)[٣٤] .

● هوشي منه والمشهد الأخير :

لقد ذهب هوشي منه كما قلنا عام ١٩٦٩ ، أي قبل تحقيق النصر النهائي بنحو ست سنوات ، لكن قيادة الثورة بقيت محافظة على سلامة الخط الدبلوماسي كما الاستراتيجيات الأخرى ، لأن غياب الزعيم والقائد والمؤسس والأب بقدر ما كان مؤلماً لكنه لم يكن مأساوياً ، فالمؤسسات الثوريةالقيادية واصلت عملها بنفس الآلية والابداعية السابقتين ، لدرجة أن كيسنجر اكتشف بعد ثلاث سنوات ونصف على وفاة هوشي منه ، وفي زيارته الأولى لهانوي أن هوشي منه مستمر وحاضر في شخص فام فان دونغ رئيس الحكومة ، الذي رفض أي ربط بين المعونة الاقتصادية الاميركية المقررة لاعادة إعمار فيتنام ، وبين تطبيق اتفاقية باريس[٣٥] ،

لكن الذي جرى في آخر جلسة تفاوضية عام ١٩٧٣ عكس حجم الانجاز الذي حققته الدبلوماسية الفيتنامية ، فبعد انسحاب نصف مليون جندي اميركي ، هل تستطيع واشنطن أن تفعل ما عجزت عنه في ظل وجودهم ؟

(٣٤) تشاء الأقدار أن يتحول كيسنجر - الذي يعترف في مذكراته بتحقيره على يد جنود الحراسة الفيتناميين أثناء زيارته لهانوي - إلى شخصية مرموقة وعزيزة في بعض العواصم العربية بعد حرب تشرين أول - أكتوبر ١٩٧٣ أي في العام ذاته .

(٣٥) اختلف الطرفان حول طبيعة وحجم المساعدة الأميركية المذكورة في اتفاقية باريس ، فالفيتناميون يتعاملون معها على أساس أنها تعويض خسائر الحرب ، بينما يرى الأميركيون فيها مجرد معونة اقتصادية ، ورغم أنَّ واشنطن اعتمدت مبلغ ٣,٢٥ مليار دولار إلاّ أنها لم تدفعها حتى اليوم بحجة انتهاك هانوي للاتفاقية .

بل أن دونغ وعلى حد رواية الوزير الأميركي أظهر « وكأن هانوي ناوية أن تجود علينا بمعروف عند قبولها مساعدتنا »[٣٦]

لا غرابة إذاً ، أن يكون اسم الزعيم الفيتنامي الراحل على رأس الحملة العسكرية لتحرير سايجون ، العاصمة الجنوبية التي أصبحت منذ ساعة تحريرها مدينة هوشي منه ، فقد اتضح بعد ثلاثين عاماً أن الحس الجماهيري الذي غفر لهوشي منه تنازلاته الخطيرة عام ١٩٤٦ ، لم يكن قائماً على فراغ أو مستمداً من غيبية ، بل كان مستنداً إلى قناعة بصلاحية الأدوات ، وفاعلية المؤسسات ، وجدية الانجازات الثورية التي توفرت على يد قيادة هوشي منه ورفاقه الشيوعيين دون غيرهم من فصائل الساحة الوطنية .

موقف خليفة هوشي منه بشأن المساعدات الاقتصادية الأميركية لم يكن الصدمة الوحيدة التي تلقاها وزير الخارجية الأميركي في زيارته الأولى لفيتنام ، بل كانت واحدة من سلسلة الصدمات التي اضطر لتحملها برباطة جأش يحسد عليها ، على أمل أن يعود بشيء إلى واشنطن حيث ادارته المرتبكة .

كان كيسنجر يأمل في اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين ، لكن الفيتناميين لم يظهروا حماساً لذلك ، فطرح عليهم عدة صيغ مؤقتة للعلاقة ، وكل ما حصل عليه وحسب اعترافه « مجرد وعدٍ بالموافقة على ذلك ، في الوقت المناسب ، وعندما يستحق الأميركيون ذلك »[٣٧]

وأخيراً ، للاختصار نقول :

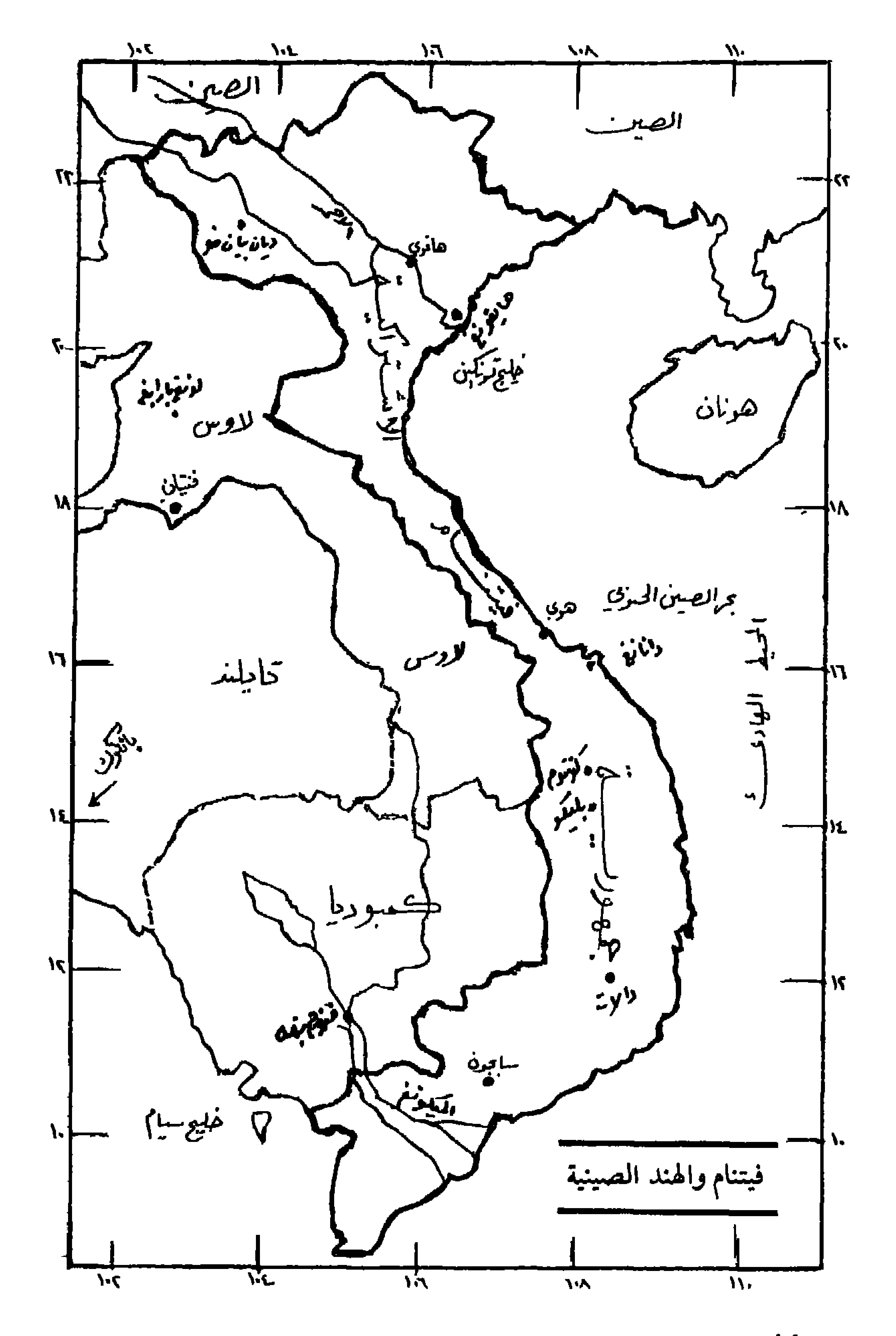
الدبلوماسية الفيتنامية لم تصنع النصر ، لكنها استطاعت أن تستثمر إلى الحد الأقصى داخل قاعات المفاوضات ، كل ما انجزته على الأرض ، وبابداع ، البندقية المقاتلة ، والسواعد الكادحة . .

وذلك في اعتقادنا أبلغ دروسها ! .

---

(٣٦) انطباعات كيسنجر عن لقائه مع دونغ ـ في مذكراته ص ٧٦ ـ الجزء الثالث .

(٣٧) المصدر السابق ص ٨٣ ـ الجزء الثالث .



الصين
الصين
هانوي
خليج تونكين
هونان
لاوس
فنيان
بحر الصين الجنوبي
هوي
دانانغ
المحيط الهادي
لاوس
تايلند
بانكوك
كمبوديا
دالات
سايجون
فنوم بنه
خليج سيام
فيتنام والهند الصينية

صدر للكاتب:

● **الحب في ظلال الفانتوم**

ـ عن الاعلام الموحد ـ م.ت.ف. ـ بيروت أواسط ١٩٧٥

● **حرب الشعب في عمان**

ـ عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ بيروت أواخر ١٩٧٥

● **التجربة العسكرية الفيتنامية**

ـ عن مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ـ قبرص ـ ربيع ١٩٩٠

استراتيجية التفاوض
«دبلوماسية البامبو»

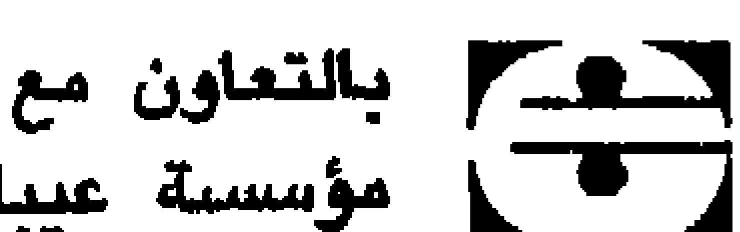
من المعروف أن «البامبو» احتل مكانة خاصة في تطور حياة وحضارة الشعب الفيتنامي، وكذلك في صراعه مع القوى الغازية والاستعمارية حيث كانت شجرته متعددة الاستعمالات في التكتيكات العسكرية المتنوعة، وقد اعترف الفرنسيون ثم الامريكيون بما عانوه من الافخاخ والخوازيق ومصائد المغفلين المصنوعة من «البامبو» دون غيره لان قضيب البامبو الذي يجمع بين النقيضين (المرونة الشديدة في حركته والصلابة الكبيرة في مادته) يسمح بمساحة واسعة من الاستثمارات!.

علي فياض يصف الاستراتيجية الدبلوماسية التي اعتمدتها القيادة الفيتنامية في نضالها الطويل والشاق والمظفر، باستراتيجية البامبو، فهي كانت تذهب بعيداً في مرونتها حتى يخيل للمرء انه «التفريط والاستسلام» ثم تعود الى التصلب حتى يعتقد المرء «ان لا تفاوض بعد الآن»! لكن المسيرة الدبلوماسية الفيتنامية لم تكن دائماً مظفرة!.

اين فشل المفاوض الفيتنامي؟ ولماذا؟ واين نجح وكيف؟ ومتى أبدع في مفاوضته؟ المؤلف، الذي قدم لنا التجربة العسكرية قبل عامين، يقدم لنا اليوم الوجه الآخر للنضال الفيتنامي في كتابه الجديد عبر اجابته على تلك التساؤلات ـ محاولاً ان يثير امام القارىء والمفاوض العربي والفلسطيني ابرز نتائج ودروس وعِبَرْ التجربة الدبلوماسية الفيتنامية ـ دون أن يغفل ما بين التجربتين من اختلافات ومفارقات.

الناشر




بالتعاون مع
مؤسسة عيبال للدراسات والنشر